دار الحديث بالغيضة
للعلوم الشرعية
The School of Hadith in Ghaydah for Legislative

متن تعليمي

بَيَانُ التَّوْحِيدِ

وَدَحْضُ الشِّرْكِ وَالتَّنْدِيدِ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ
أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الحَمِيدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ زَيْدٍ الزُّعْكُرِيِّ
حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

بيان التوحيد
وَدَحْضُ ٱلشِّرْكِ وَٱلتَّنْدِيدِ

بيان التوحيد

ودحض الشرك والتنديد

روابط قنوات فضيلة الشيخ على منصات التواصل

الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ حفظه الله تعالى

https://alzoukory.com.

https://t.me/A_Izoukory

A_Alzoukorys

https://www.youtube.com/channel

https://www.facebook.com/649918028352367

https://chat.whatsapp.com/FgIUKZ0nwzR5EYaguQttSz

بسم الله الرحمن الرحيم

دار الحديث بالغيضة

لِلعُلُومِ الشَّرعِيَّةِ

The School of Hadith in Ghaydah for Legislative knowledge

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م

الطبعة الثالثة

مزيدةٌ ومنقحةٌ ومصححةٌ

نرحب بالاقتراحات ولاستدراكات اللغوية على الأرقام التالية:

٧٧١١٨٠٤٩٢ ٧٧٦٣٨٢٨٢٨

الموقع الرسمي

فيسبوك

تلجرام

يوتيوب

منصة X

واتسآب

مُؤَلَّفَاتُ وَمَبَاحِثُ عِلْمِ التَّوْحِيدِ وَالْعَقِيدَةِ لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ

بَيَانُ التَّوْحِيدِ

وَدَحْضُ الشِّرْكِ وَالتَّنْدِيدِ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ

أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ زَيْدٍ الْحَجُورِيِّ الزُّعْكُرِيِّ

حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

By his Eminence Sheikh Abi Muhammad Abdul Hameed bin Yahya Al-Zoukory.

دَارُ الْحَدِيثِ بِالْغَيْضَةِ

لِلْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ

The School of Hadith in Ghaydah for Legislative knowledge

معاني الرموز المستعملة في الكتاب:

■ : مسائل/ أحكام.

●: تفسير/ شرح/ تعليل.

○: تعريف.

❖: تنبيهات.

: مسائل خلافية / رد.

▫: قواعد .

: أركان / شروط.

: تقسيم / أنواع.

اَلْمُقَدِّمَةُ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾

[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾

[النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾

[الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَنَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهِ، وَهُوَ: **(بَيَانُ التَّوْحِيدِ، حَقُّ اللهِ عَلَىٰ الْعَبِيدِ)**.

١

التَّوْحِيدُ حَقُّ اللهِ عَلَى الْعَبِيدِ

وَهُوَ **الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ، وَالْوَاجِبُ الْمُفَخَّمُ**، فَمِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِهِ خَلَقَ اللهُ الثَّقَلَيْنِ.

[١] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦].

• أَيْ: **لِيُوَحِّدُوهُ**، كَمَا قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ.

▫ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **"كُلُّ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْعِبَادَةِ فَمَعْنَاهَا التَّوْحِيدُ"**. تفسير البغوي (١/ ٧١).

○ فَـ(الْعِبَادَةُ) هِيَ: **الْغَايَةُ الَّتِي خَلَقَ اللهُ لَهَا الْخَلْقَ مِنْ جِهَةِ أَمْرِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَرِضَاهُ.**

■ وَهُوَ: **أَمْرُ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ، فَأَوَّلُ أَمْرٍ، وَأَوَّلُ نِدَاءٍ فِي الْقُرْآنِ كَانَ لِذَلِكَ.

[٢] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة:٢١].

• أَيْ: **وَحِّدُوا رَبَّكُم، خَالِقَكُم، وَرَازِقَكُم، وَمُدَبِّرَ شَأْنِكُم.**

■ **وَأَعْظَمُ وَأَوْجَبُ مَا يُتَّقَىٰ اللهُ بِهِ: التَّوْحِيدُ.**

[٣] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦].

[٤] / [١] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣].

• أَيْ: **حَكَمَ وَأَمَرَ بِالتَّوْحِيدِ.**

[٥] / [١] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء:٢٥].

•أَيْ: إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَوَحِّدُوهُ، وَأَفْرِدُوهُ بِمَا يَجِبُ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَأُلُوهِيَّتِهِ، وَأَسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ.

▫ **وَ إِنَّمَا كَانَ أَصْلُ النِّزَاعِ بَيْنَ الرُّسُلِ وَأَقْوَامِهِمْ فِي إِفْرَادِ اللهِ بِالْعِبَادَةِ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ.**

[٦] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢﴾ [الأنبياء:٩٢].

[٧] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [العنكبوت:٥٦].

■وَهُوَ: **حَقُّ اللهِ عَلَىٰ الْعَبِيدِ.**

(١) وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ**»، ثُمَّ فَسَّرَهَا بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**» أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، مسلم (٣٠).

▫ **فَأَصْلُ الإِيمَانِ وَقَاعِدَتُهُ الَّتِي عَلَيْهَا مَدَارُ أَعْمَالِ العِبَادِ، هُوَ: تَحْقِيقُ مَعْنَىٰ الشَّهَادَتَيْنِ قَوْلًا، وَعَمَلًا، وَعَقِيدَةً.**

■وَهُوَ: **الرُّكْنُ الْأَوَّلُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ.**

(٢) فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**»، وَذَكَرَ بَقِيَّتَهَا، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «**عَلَىٰ أَنْ يُوَحَّدَ اللهُ**» أخرجه البخاري (٨)، مسلم (١٦).

(٣) وَحِينَ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاذًا إِلَىٰ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَىٰ**» أخرجه البخاري (٧٣٧٢)، مسلم (١٩)، وهذا لفظ البخاري.

(٤) وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَلَفْظُهُمَا: «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ**» أخرجه البخاري (١٤٥٨)، مسلم (١٩).

(٥) وَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَعْظَمِ مَوْقِفٍ يَخْطُبُ النَّاسَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ يَقُولُ: «**اعْبُدُوا رَبَّكُمْ**» وَفِي رِوَايَةٍ: «**اتَّقُوا رَبَّكُمْ**» أخرجه أحمد (٢٢١٦١) عن أبي أمامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- **وَالتَّقْوَىٰ وَالْعِبَادَةُ قَدْ يُطْلَقُ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ.**

[٨] قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾ [الزخرف:٦٤].

- وَهُوَ: **أَوَّلُ دَعْوَةِ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٦) حَيْثُ كَانَ يَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ وَيَقُولُ: «**قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**» أخرجه الدارقطني (٢٩٧٦) عن طارق بن عبد الله المحاربي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- **وَأَنْزَلَ اللهُ الْقُرْآنَ لِتَحْقِيقِهِ.**

[٩] / [١] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾ [الزمر:٢].

- وَأَمَرَ اللهُ لِنَبِيِّهِ أَمْرٍ لِأُمَّتِهِ فَكُلُّنَا دَاخِلُونَ فِي هَذَا الْأَمْرِ.

- **وَأُرْسِلَتِ الرُّسُلُ لِلدَّعْوَةِ إِلَيْهِ.**

[١٠] / [١] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

○ **وَالطَّاغُوتُ: اِسْمٌ لِلشَّيْطَانِ وَلِلسَّاحِرِ، وَكُلَّ مَا عَبَّدَ مِنْ دُونِ اَللهِ.**

□ **وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ دِينَ الأَنْبِيَاءِ وَاحِدٌ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ وَالإِسْلَامُ.**

(٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا أَوْلَىٰ النَّاسِ بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**» أخرجه البخاري (٣٤٤٣).

■ **وَشُرِعَ الْجِهَادُ لِتَحْقِيقِهِ.**

[١١] فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة:٢٩].

(٨) وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ**» أخرجه البخاري (٢٥)، مسلم (٢٠) عن عمر وغيره.

■ **وَأَمَرَ اللهُ بِالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ.**

[١٢] فَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف:١٠٨].

■ **وَبِهِ انْقَسَمَ النَّاسُ** إِلَىٰ: مُؤْمِنِينَ أَبْرَارٍ، وَإِلَىٰ مُعْرِضِينَ كُفَّارٍ، وَإِلَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَهْلِ النَّارِ.

[١٣] فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧﴾ [الشورى:٧].

▪ **وَبِهِ انْشِرَاحُ الصَّدْرِ، وَطُمَأْنِينَةُ الْقَلْبِ.**

[١٤] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [الزمر:٢٢].

[١٥] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد:٢٨].

▫**وَكُلُّ: وَحْيِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ دَعْوَةٌ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ وَوَاجِبَاتِهِ وَمُسْتَحَبَّاتِهِ وَمُكَمِّلَاتِهِ:** وَإِخْبَارٌ بِحَالِ الْمُوَحِّدِينَ، وَمَنْ خَالَفَهُمْ مِنَ الْمُتَمَرِّدِينَ فِي دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ، وَهَذَا قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ، وَغَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ.

﴿ وَاعْلَمْ أَنَّ التَّوْحِيدَ يَنْقَسِمُ إِلَىٰ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ لَا يَتِمُّ الْإِيمَانُ بِهِ إِلَّا بِتَحْقِيقِهَا:

- **الْأَوَّلُ:** تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِأَفْعَالِهِ: الْخَلْقِ، وَالْمُلْكِ، وَالتَّدْبِيرِ.

- **الثَّانِي:** تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ، وَعَنْهُ نَتَكَلَّمُ فِي هَذَا الْكِتَابِ.

- **الثَّالِثُ:** تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

وَيَأْتِي بَيَانٌ لَهُ بِإِذْنِ اللهِ.

وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

٢

فَضْلُ التَّوْحِيدِ

ذَكَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وَذَكَرَ رَسُولُهُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِنْ فَضَائِلِ التَّوْحِيدِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ عَظِيمِ فَضْلِهِ.

[١٦] ■ مِنْهَا: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام:٨٢].

الْمُرَادُ: بِالْإِيمَانِ إِذَا أُطْلِقَ التَّوْحِيدُ؛ إِذْ لَا يَكُونُ إِيمَانٌ إِلَّا بِأَصْلِهِ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ.

(٩) وَبَيَانِ ذَلِكَ عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ**: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان:١٣]» أخرجه البخاري (٣٢)، مسلم (١٢٤).

• مَعْنَاهُ: أَنَّ مَنْ وَحَّدَ اللهَ، وَأَفْرَدَهُ بِمَا يَجِبُ لَهُ، وَلَزِمَ هَذَا السَّبِيلَ حَتَّىٰ تَوَفَّاهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُمُ: **الْأَمْنُ الْأُخْرَوِيُّ؛ كَمَا أَنَّ لَهُمُ الْأَمْنَ الدُّنْيَوِيَّ مِمَّا يُبِيحُ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَعْرَاضَهُمْ.**

وَالْحِصَّةُ بِالْحِصَّةِ: مَنْ كَانَ قَوِيَّ الْإِيمَانِ كَانَ رَفْعُهُ إِلَىٰ الْجِنَانِ رُبَّمَا أَسْرَعَ مِنَ الْبَرْقِ، وَأَسْرَعَ مِنَ الْخَيْلِ، وَأَسْرَعَ مِنَ الرِّكَابِ.

وَمَنْ كَانَ ضَعِيفَ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ لَحِقَهُ بِقَدْرِ ضَعْفِ ذَلِكَ.

[١٧] ▪ وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي بَيَانِ فَضْلِهِ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧].

▫ **وَكُلُّ: آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَكُلُّ:** حَدِيثٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا مَدْحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُتَّقِينَ، **فَهِيَ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ؛ فَلَا إِيمَانَ إِلَّا بِهِ.**

[١٨] ▪ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف:١٠٧].

[١٩] ▪ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٥].

[٢٠] ▪ وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [المرسلات:٤١-٤٢].

[٢١] ▪ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر:٥٤-٥٥].

(١٠) ▪ وَعَنْ عُثْمَانَ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**» أخرجه مسلم (٢٦).

(١١) ■ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنْ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**». أخرجه أحمد (٦٥٨٣).

وَ(**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**) هِيَ: **التَّوْحِيدُ**، كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ بَيَانُ ذَلِكَ.

(١٢) ■ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ قَالَ: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**». أخرجه البخاري (٩٩).

(١٣) ■ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَىٰ إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ**». أخرجه الترمذي (٢٦٣٩).

■ **وَهَذَا مِنْ أَصْرَحِ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ فَضْلِ التَّوْحِيدِ.**

فَهِيَ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ مَنْ قَالَهَا مُعْتَقِدًا لَهَا قَالَهَا مُعَظِّمًا لِشَأْنِهَا قَالَهَا بَرِيءٌ مِمَّا يُضَادُّهَا طَاشَتْ بِتِلْكَ السِّجِلَّاتِ الْكَثِيرَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي.

(١٤) ■ وَعَنْ طَارِقِ بْنِ أُشَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ**»، وَفِي رِوَايَةٍ: «**مَنْ وَحَّدَ اللهَ**». أخرجه مسلم (٢٣).

(١٥) ■ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ حِينَ ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثْرَةَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ، وَذَكَرَ أَنَّ فِيهِمْ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**». أخرجه البخاري (٥٧٠٥) ومسلم (٢١٨).

وَهَذَا مِنْ تَعْظِيمِهِمْ لِلتَّوْحِيدِ، وَهَذَا بَابٌ يَطُولُ الْكَلَامُ فِيهِ.

■ **وَمُلَخَّصُهُ**: أَنَّ قَبُولَ الْعَمَلِ يَعُودُ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ وَالثَّوَابُ عَلَىٰ الْعَمَلِ يَعُودُ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَلَا تُقْبَلُ شَفَاعَةٌ، وَلَا يَرْضَىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَّا عَنْ مُوَحِّدٍ.

[٢٢] ■ وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ﴾ [الزمر:٧].

(١٦) ■ وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ**».

أخرجه البخاري (٣٠٦٢)، ومسلم (١١١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ اخْتِصَارٌ لِبَيَانِ فَضِيلَةِ هَذَا الْبَابِ.

■ وَإِلَّا فَكَمْ هِيَ وُعُودُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لِلْمُوَحِّدِينَ فِي:

- جَنَّةِ النَّعِيمِ.

- وَبِرِضَا رَبِّ الْعَالَمِينَ.
- وَبِالْكَرَامَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
- وَبِالنَّصْرِ وَالْعِزِّ وَالتَّمْكِينِ.

■ وَهَذَا مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَىٰ مَنْ:

- أَخْلَصَ لِلَّهِ الْعَمَلَ.
- وَاجْتَنَبَ الشِّرْكَ.
- وَمَا يَجُرُّ إِلَيْهِ مِنَ الزَّلَلِ.

٣

تَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ وَمَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

○ **(التَّوْحِيدُ) هُوَ: هُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِمَا يَجِبُ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَأُلُوهِيَّتِهِ، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ،** وَالْكَلَامُ هُنَا عَنْ تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَهُوَ إِفْرَادِ اللهِ بِالْعِبَادَةِ، أَوْ شِئْتَ أَنْ تَقُولَ: إِفْرَادُ اللهِ بِأَفْعَالِ الْمُكَلَّفِينَ.

[٢٣] قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج:٦٢].

[٢٤] وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣]

[٢٥] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣].

[٢٦] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [يس:٢٢].

[٢٧] / [١] وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧].

[٢٨] ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل:١٢٠].

▫ **فَالحَنِيفِيَّةُ مِنْ مُوْجِبَاتِ الفِطْرَةِ الصَّحِيحةِ وَمُقْتَضَيَاتِهَا.**

○ **وَ(الْحَنِيفُ) هُوَ: الْمَائِلُ عَنِ الشِّرْكِ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ.**

[٢٩] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾﴾ [الزمر:١١-١٤].

[٣٠] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء:٥٧].

[٣١] / [١] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة:٢٥٦].

○فَتَبَيَّنَ مِنْ هَذَا: أَنَّ (**تَفْسِيرَ التَّوْحِيدِ**)، وَمَعْنَىٰ (**لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ**) هُوَ: **عِبَادَةُ اللهِ وَحْدَهُ، وَالْبَرَاءُ مِمَّا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ، **فَلَا يُشْرِكُ مَعَهُ غَيْرَهُ لَا مَلِكًا مُقَرَّبًا وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا.**

❖ **وَلَا يَكْفِي الْإِقْرَارُ بِأَنَّ اللهَ هُوَ: الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمَالِكُ الْمُدَبِّرُ،** فَإِنَّ هَذَا كَانَ يُقِرُّ بِهِ كُفَّارُ قُرَيْشٍ؛ وَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِهِ.

[٣٢] قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزمر:٣٨].

[٣٣] وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ

ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

[المؤمنون:٨٤-٨٩].

▫ **فَتَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ دليل علىٰ تَوْحِيدِ الإِلَهِيَّةِ بَلْ دَلِيلُهُ الأَكْبَرُ؛ لِأَنَّ اللهَ أَلْزَمَهُمْ** إِثْبَاتَ الْأُلُوهِيَّةِ بِإِقْرَارِهِمْ بِالرُّبُوبِيَّةِ.

(١٧) وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُ طَارِقِ بْنِ أُشَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ**». أخرجه مسلم (٢٣).

• **فَقَدْ تَضَمَّنَ الْحَدِيثُ: وُجُوبَ إِفْرَادِ اللهِ بِالْعِبَادَةِ مَعَ الْبَرَاءِ مِمَّا يُخَالِفُ هَذَا التَّوْحِيدِ.**

فَمَنْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ وَ(لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ) تَعَيَّنَ عَلَيْهِ الْكُفْرُ بِمَا سِوَىٰ ذَلِكَ.

وَبَيَانُ ذَلِكَ فِي نَفْسِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، فَإِنَّهَا: تَتَكَوَّنُ مِنْ رُكْنَيْنِ:

- (النَّفْيِ) فِي قَوْلِهِ: (لَا إِلَٰهَ).
- وَ(الْإِثْبَاتِ) فِي قَوْلِهِ: (إِلَّا اللهُ).

فَـ(النَّفْيُ) أَنْ تَكُونَ الْأُلُوهِيَّةُ لِغَيْرِ اللهِ، ثُمَّ أَثْبَتَهَا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ لَا يُشْرِكُهُ غَيْرُهُ لَا مَلِكًا مُقَرَّبًا وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا.

فَهَذَا هُوَ مَعْنَىٰ (**لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ**): التَّوْحِيدُ، فَفِيهَا:

- **التَّوْحِيدُ (لَا إِلَهَ) نَفْيُ الْأُلُوهِيَّةِ عَمَّا سِوَىٰ اللهِ مِنْ قَبْرٍ أَوْ صَنَمٍ أَوْ وَثَنٍ أَوْ جِنِّيٍّ أَوْ حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.**
- **(إِلَّا اللهُ)** الْإِلَٰهُ الْحَقُّ.

• أَيْ: الْمَعْبُودُ بِحَقٍّ.

فَإِنَّ (**الْإِلَهَ**) هُوَ: **الْمَعْبُودُ**، فَمَنْ صَرَفَ الْعِبَادَةَ لِغَيْرِ اللهِ؛ فَقَدْ اتَّخَذَهُ إِلَهًا؛ وَإِنْ لَمْ يُسَمِّهِ إِلَهًا.

وَالْعَجَبُ مَعَ وُضُوحِ مَعْنَىٰ هَذِهِ الْكَلِمَةِ؛ إِلَّا أَنَّهُمْ قَدْ فَسَّرُوهَا بِبَاطِلٍ مِنَ الْقَوْلِ:

- **أَوَّلُهَا**: قَالُوا: مَعْنَاهَا: (**لَا مَوْجُودَ إِلَّا اللهُ**).

وَهَذَا قَوْلُ: **أَصْحَابِ الْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ**.

فَكُلُّ: **مَوْجُودٍ فِي هَذَا الْعَالَمِ عِنْدَهُمْ هُوَ اللهُ**، قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ، مَعَ أَنَّهُ مَعْلُومٌ شَرْعًا وَعَقْلًا وَفِطْرَةً وَحِسًّا تَمَايُزُ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، وَالرَّبِّ وَالْمَرْبُوبِينَ، فَاللهُ تَعَالَىٰ بِذَاتِهِ عَلَىٰ عَرْشِهِ، كَمَا تَوَاتَرَتْ بِذَلِكَ النُّصُوصُ.

- **ثَانِيهَا**: قَالُوا: مَعْنَاهَا: (**لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللهُ**).

وَهَذَا: **تَفْسِيرٌ بَاطِلٌ**، فَقَدْ عُبِدَ غَيْرُ اللهِ -عَزَّوَجَلَّ- مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الْمَرْبُوبَاتِ مَا اللهُ بِهِ عَلِيمٌ، مِثْلُ: **عِيسَىٰ وَالْكَوَاكِبِ**.

- **ثَالِثُهَا**: قَالُوا: (**لَا خَالِقَ وَلَا رَازِقَ إِلَّا اللهُ**).

وَهَذَا يُثْبِتُهُ: **كُفَّارُ قُرَيْشٍ وَغَيْرُهُمْ**.

وَلَمْ يَدْخُلُوا بِهِ فِي الْإِسْلَامِ؛ إِذْ إِنَّهُمْ بِهَذَا أَفْرَدُوا اللهَ بِأَفْعَالِهِ، وَهَذَا نَوْعٌ مِنَ التَّوْحِيدِ، وَهُوَ: **الرُّبُوبِيَّةُ**، فَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْعَبْدُ حَتَّىٰ يُضَافَ إِلَيْهِ إِفْرَادُ اللهِ بِأَفْعَالِ الْمُكَلَّفِينَ.

فَتَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ لَا يَصِيرُ الْإِنْسَانُ بِهِ مُسْلِمًا حَتَّىٰ يَأْتِيَ بِأَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ الْأُخْرَىٰ.

- **رَابِعُهَا**: قَوْلُهُمْ: (**لَا حَاكِمِيَّةَ إِلَّا لِلَّهِ**).

كَمَا فَسَّرَهَا بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ، مِمَّنْ لَا عِنَايَةَ لَهُمْ بِالْعِلْمِ إِلَّا الْخُرُوجُ عَلَىٰ الْحُكَّامِ، مَعَ أَنَّ تَحْكِيمَ شَرْعِ اللهِ دَاخِلٌ فِي تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ.

- **خَامِسُهَا**: وَهُوَ: **الْقَوْلُ الصَّحِيحُ الَّذِي لَا غَيْرُهُ**: (**لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ**).

وَمَا عُبِدَ مِنْ غَيْرِ اللهِ فَبَاطِلٌ، فَلَا بُدَّ مِنْ هَذَا لِدَلَالَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالْعَقْلِ، وَالْفِطْرَةِ عَلَيْهِ.

[٣٤] قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٣٠﴾ [لقمان:٣٠].

[٣٥] / [٢] وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء:٢٥].

[٣٦] / [٢] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦].

[٣٧] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ [الأنبياء:٢٩].

■ **فَيَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ**:

- أَنْ يَعْتَقِدَ التَّوْحِيدَ، وَيَعْمَلَ بِهِ.
- وَيَتَبَرَّأَ مِنَ الشِّرْكِ وَالتَّنْدِيدِ فِي قَلْبِهِ، وَلِسَانِهِ، وَجَوَارِحِهِ.

[٣٨] / [٢] قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦].

[٣٩] وَقَالَ اللهُ فِي بَيَانِ ذَلِكَ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥﴾ [الكافرون:١-٥].

[٤٠] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:١-٤].

فَكَمَا أَنَّهُ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ، فَهُوَ وَاحِدٌ فِي عِبَادَتِهِ.

■ وَبِسَبَبِ عَدَمِ فَهْمِ هَذَا الْبَابِ وَتَحْقِيقِهِ، تَجِدْ كَثِيرًا مِمَّنْ يَقُولُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) بِلِسَانِهِ، يُخَالِفُهَا بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ، وَرُبَّمَا اعْتِقَادِهِ.

■ وَذَلِكَ أَعْظَمُ مَا أَوْصَلَ عُبَّادَ الْقُبُورِ إِلَىٰ عِبَادَتِهَا مِنْ دُونِ اللهِ، **ظَنُّوا أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ الْقَوْلُ الْمُجَرَّدُ**، وَلَيْسَ كَذَلِكَ؛ بَلْ لَابُدَّ مِنْ نُطْقِ اللِّسَانِ، وَاعْتِقَادِ الْقَلْبِ فِيمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ، وَعَمَلِ الْجَوَارِحِ عَلَىٰ مُقْتَضَىٰ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ.

■ وَسَبَبَ ضَلَالِ اَلْأُمَمِ هُوَ اَلْغَلَطُ فِي مُسَمَّىٰ اَلتَّوْحِيدِ.

■ فَهِيَ أَعْظَمُ كَلِمَةٍ، مَعَ اخْتِصَارِهَا، إِلَّا أَنَّهَا مُتَضَمِّنَةٌ لِلتَّوْحِيدِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ وَالتَّنْدِيدِ.

■ فَهَنِيئًا لِمَنْ حَقَّقَهَا، وَحَقَّقَ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ، وَالْوَيْلُ لِمَنْ جَهِلَهَا، وَجَهِلَ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

■ فَلَا بُدَّ مِنْ فَهْمِ مَعْنَىٰ كَلِمَةِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وَسَيَأْتِي أَنَّ مِنْ شُرُوطِهَا: (الْعِلْمَ)؛ بِحَيْثُ لَا يَبْقَىٰ الْإِنْسَانُ يَقُولُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وَيَقُولُ فِي دُعَائِهِ: (يَا هُودُ!)، وَ(يَا هَادِي!)، وَ(يَا حُسَيْنُ!)، وَ(يَا عَلِيُّ!)، فَهَؤُلَاءِ مَا عَرَفُوا (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) فِي سَرْدٍ وَلَا وَرْدٍ.

فَإِذَا رَأَيْتَ أَحَدَهُمْ يَقُولُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وَيَحُجُّ، وَيَعْتَمِرُ، وَيُصَلِّي، وَيَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُ، وَتَسْمَعُ مِنْهُ: (يَا حُسَيْنُ!)، أَوْ (يَا عَلِيَّاهْ!)، (يَا فَاطِمَةُ!)، (يَا زَهْرَاءُ!)، أَوْ (يَا عِيدْرُوسُ!)، وَ(يَا دَسُوقِي!)، وَ(يَا بَدَوِي!)، وَ(يَا جِيلَانِي!)، وَ(يَا ابْنَ عَلْوَانَ!)، وَغَيْرِهِمْ.

فَمَنْ كَانَ هَذَا حَالُهُ، **فَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)**؛ حَتَّىٰ يُقِرَّ، وَيَعْمَلَ بِهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا؛ فَالْكُفَّارُ عَلِمُوا مَعْنَىٰ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) وَأَبَوْا أَنْ يَقُولُوهَا، وَعُبَّادُ الْقُبُورِ قَالُوا (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) وَنَاقَضُوهَا، وَهَذَا مِنَ الْعَجَائِبِ!!

إِذْ تَلَفَّظُوا بِـ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) وَنَاقَضُوهَا بِأَفْعَالِهِمْ، وَأَقْوَالِهِمْ؛ لِجَهْلِهِمْ بِمَعْنَاهَا، وَتَرْكِ العَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا، بَيْنَمَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ أَبَوْا أَنْ يَقُولُوهَا مَعَ مَعْرِفَتِهِمْ بِمَعْنَاهَا.

[٤١] قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾

[ص:٥].

٤

كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

■ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، هِيَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ، **وَهِيَ أَفْضَلُ الذِّكْرِ**.

(١٨) كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**». أخرجه الترمذي (٣٣٨٣) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَدْ تَنَوَّعَتْ أَسْمَاؤُهَا:

- فَهِيَ كَلِمَةُ التَّقْوَىٰ.
- وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَىٰ.
- وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ.
- وَالْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ.
- وَالْكَلِمَةُ الَّتِي جَعَلَهَا إِبْرَاهِيمُ فِي عَقِبِهِ.
- وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ.
- وَالْكَلِمَةُ الْعُلْيَا.
- وَدَعْوَةُ الْحَقِّ.
- وَالْكَلِمُ الطَّيِّبُ.
- وَالْقَوْلُ الثَّابِتُ.
- وَالطَّيِّبُ مِنَ الْقَوْلِ.
- وَالْكَلِمَةُ السَّوَاءُ.

■ وَهِيَ كَلِمَةٌ: قَامَتْ بِهَا الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ.

■ وَخُلِقَتْ: لِأَجْلِهَا جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ.

- وَبِهَا أَرْسَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ، وَشَرَعَ شَرَائِعَهُ.
- وَلِأَجْلِهَا نُصِبَتِ الْمَوَازِينُ، وَوُضِعَتِ الدَّوَاوِينُ.
- وَقَامَتْ سُوقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ بِهَا.
- وَانْقَسَمَتِ: الْخَلِيقَةُ إِلَىٰ مُؤْمِنِينَ وَكُفَّارٍ، وَأَبْرَارٍ وَفُجَّارٍ.
- فَهِيَ: مَنْشَأُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.
- وَهِيَ: الْحَقُّ الَّذِي خُلِقَتْ لَهُ الْخَلِيقَةُ.
- وَعَنْهَا وَعَنْ حُقُوقِهَا السُّؤَالُ وَالْحِسَابُ.
- وَعَلَيْهَا يَقَعُ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ.
- وَعَلَيْهَا نُصِبَتِ الْقِبْلَةُ، وَعَلَيْهَا أُسِّسَتِ الْمِلَّةُ.
- وَلِأَجْلِهَا جُرِّدَتْ سُيُوفُ الْجِهَادِ.
- وَهِيَ: حَقُّ اللهِ عَلَىٰ جَمِيعِ الْعِبَادِ.
- فَهِيَ اَلْكَلِمَةُ اَلَّتِي لَا يَدْخُلُ اَلْإِسْلَامُ إِلَّا بِهَا.
- وَمِفْتَاحُ دَارِ السَّلَامِ.
- وَعَنْهَا يُسْأَلُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ.
- **فَلَا تَزُولُ قَدَمُ الْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ مَسْأَلَتَيْنِ: مَاذَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ وَمَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ؟**

فَجَوَابُ الْأُولَىٰ: بِتَحْقِيقِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا وَعَمَلًا.

وَجَوَابُ الثَّانِيَةِ: بِتَحْقِيقِ (أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ) مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا وَانْقِيَادًا وَطَاعَةً. أفاده ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة زاد المعاد.

وَلِهَذَا جَاءَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ عَلَىٰ حَالَيْنِ:

- الْأَوَّلُ: قَوْلُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) تَصْرِيحًا.

- الثَّانِي: فِيمَا فِيهِ مَعْنَىٰ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وَهَذَا فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ كَثِيرٌ طَيِّبٌ.

- فَمِنَ الْأَوَّلِ:

[٤٢] قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد:١٩].

[٤٣] وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات:٣٥]

- الثَّانِي: **وَجَاءَتْ بِمَعْنَىٰ كَلِمَةِ التَّوحِيدِ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةً:**

- فَجَاءَتْ بِلَفْظِ: (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) فِي تِسْعَةٍ وَعِشْرِينَ مَوْطِنًا.

- وَبِلَفْظِ: (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا) فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ.

- وَجَاءَتْ بِلَفْظِ: (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ) فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ.

[٤٤] وَقَالَهَا فِرْعَوْنُ بِمَعْنَاهَا: ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس:٩٠].

وَأَمَّا مَا يَدُلُّ عَلَىٰ مَعْنَاهَا: فَهُوَ كَثِيرٌ طَيِّبٌ.

- **فَكُلُّ: دَلِيلٍ تَضَمَّنَ النَّفْيَ وَالْإِثْبَاتَ، فَفِيهِ مَعْنَىٰ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ).**

[٤٥] / [٣] وَمِنْهُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٥٦].

[٤٦] / [٣] وَقَولُهُ: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦].

[٤٧] / [٢] وَمِنْهَا قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧].

[٤٨] / [٢] وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣].

[٤٩] وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦]

فِي آيَاتٍ كَثِيرَاتٍ، وَأَحَادِيثَ مُبَارَكَاتٍ.

▫ إِذْ: أَنَّ القُرْآنَ وَالسُّنَّةَ **دَعْوَةٌ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَالتَّحْذِيرُ مِنَ الشِّرْكِ وَالتَّنْدِيدِ،** عَلَىٰ مَا تَقَدَّمَ.

■ وَمِنْ أَشْهَرِهَا: **الكَلِمَةُ السَّوَاءُ.**

[٥٠] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤].

● يَعْنِي: حَيْثُ جَمَعَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وَأَمَرَ بِاجْتِمَاعِ النَّاسِ عَلَىٰ **الكَلِمَةِ السَّوَاءِ،** فَإِنْ أَقَرُّوا بِأَنْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، بَعْدَ ذَلِكَ يَقَعُ الِانْقِيَادُ لِمَا سِوَاهَا، وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَقَعِ الْإِقْرَارُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَلَنْ يَقَعَ الِانْقِيَادُ لِمَا سِوَاهَا.

وَمِنَ الطُّرُقِ الَّتِي تَقَعُ فِيمَا يُسَمُّونَهُ بِـ(حِوَارِ الْأَدْيَانِ) وَ(تَقَارُبِ الْأَدْيَانِ) وَنَحْوِ ذَلِكَ: أَنَّهُمْ يَتَحَاوَرُونَ عَلَىٰ غَيْرِ الكَلِمَةِ السَّوَاءِ.

■ فَلِذَلِكَ لَيْسَ فِيهَا نَجَاحٌ وَلَا خَيْرٌ، فَتَارَةً يَتَحَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِ كُرَةِ الْقَدَمِ، وَتَارَةً يَتَحَاوَرُونَ إِلَىٰ أَشْيَاءَ مُخَالِفَةٍ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

■ وَنَتَجَ مَا يُسَمَّىٰ بِـ(الْبَيْتِ الْإِبْرَاهِيمِيِّ)، أَوْ (اَلْمِيمَاتُ اَلثَّلَاثُ) نِسْبَةً إِلَىٰ مُحَمَّدْ وَمُوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمْ، وَالْوَاقِعُ أَنَّهُمْ فِي بُعْدٍ عَنْ طَرِيقِهِمْ وَهَدْيِهِمْ؛ بل وَهُوَ بَيْتُ زُورٍ، فَبَيْتُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

■ **وَالْبَيْتُ الْإِبْرَاهِيمِيُّ عِنْدَهُمْ يَتَكَوَّنُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَبْنِيَةٍ أَوْ أَقْسَامٍ:**

- الْأَوَّلُ: كَنِيسَةٌ يُعْبَدُ فِيهَا عِيسَىٰ.
- ثَانِيًا: بَيْعَةٌ يَفْعَلُ فِيهَا الْيَهُودُ مِنَ الْمُخَالَفَاتِ مَا اللهُ بِهِ عَلِيمٌ.
- ثَالِثًا: مَسْجِدٌ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ.

■ وَلَا يَسْتَقِيمُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُصَلِّيَ مَعَ هَؤُلَاءِ، وَأَسْوَأُ مِنْ ذَلِكَ: **أَنْ يَعْتَقِدَ تَصْوِيبَ هَذَا الْفِعْلِ.**

﴿ وَلَا بُدَّ فِي تَحْقِيقِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) مِنْ تَحْقِيقِ ثَمَانِيَةِ شُرُوطٍ:

- أَوَّلُهَا: **(الْعِلْمُ الْمُنَافِي لِلْجَهْلِ).**

[٥١] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

- ثَانِيهَا: **(الْإِخْلَاصُ الْمُنَافِي لِلرِّيَاءِ).**

[٥٢] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزمر: ١١].

- ثَالِثُهَا: **(الْيَقِينُ الْمُنَافِي لِلشَّكِّ).**

[٥٣] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات: ١٥].

- رَابِعُهَا: **(الصِّدْقُ الْمُنَافِي لِلْكَذِبِ).**

(١٩) قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ**». أخرجه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢) عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- خَامِسُهَا: (**الْمَحَبَّةُ الْمُنَافِيَةُ لِلْبُغْضِ**).

[٥٤] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

[٥٥] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

▫ **فَمَحَبَّةُ اللهِ هِيَ أَصْلُ الدِّينِ، وَالمَحَبَّةُ فِيهِ أَوْ لَهُ لِمَحَبَّتِهِ، وَالمَحَبَّةُ مَعَهُ تُضَادُّهُ وَتُنَاقِضُهُ.**

- سَادِسُهَا: (**الِانْقِيَادُ الْمُنَافِي لِلتَّرْكِ**).

[٥٦] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ﴾ [النور: ٥١].

- سَابِعُهَا: (**الْقَبُولُ الْمُنَافِي لِلرَّدِّ**).

[٥٧] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

- ثَامِنُهَا: (**الْكُفْرُ بِالطَّاغُوتِ**).

[٥٨] / [٤] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة:٢٥٦].

وَقَدْ قُلْتُ فِي اَلْمَنْظُومَةِ اَلزَّعَكَرِيَّةِ فِي مُهِمَّاتِ اَلْعَقِيدَةِ اَلْإِسْلَامِيَّةِ:

شُـــرُوطُهَا سَـــبْعٌ وَزِدْهَـــا وَاحِـــدَا فَحَقِّقَـــــنْ وَلَا تَكُـــــنْ مُعَانِـــــدَا
عِلْـــمٌ مَحَبَّـــةٌ يَقِـــينٌ وَالْقَبُـــولْ صِـدْقٌ وَإِخْـلَاصٌ فَحَقِّـقْ مَـا أَقُـولْ
وَالْكُفْـــرُ بِالطَّـــاغُوتِ يَـــا سَـــعِيدُ وَالِانْقِيَـــــادُ شَـــــرْطُهَا الْأَكِيـــــدُ

▫ **فَالكُفْرُ بِالطَّاغُوتِ أَصْلٌ فِي صِحَّةِ التَّوْحِيدِ.**

فَمَنْ حَقَّقَ هَذِهِ الشُّرُوطَ، وَعَمِلَ بِمُقْتَضَاهَا **كَانَ هُوَ الْمُوَحِّدَ ظَاهِرًا بَاطِنًا حَقًّا وَصِدْقًا**، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

❖ **تَنْبِيهٌ: لَيْسَ بِالشَّرْطِ: أَنْ يَحْفَظَ الْعَامِّيُّ مِثْلَ هَذِهِ الشُّرُوطِ، إِنَّمَا الْوَاجِبُ أَنْ يَعْمَلَ بِمُقْتَضَاهَا.**

لِأَنَّ كَثِيرًا مِنْ عَوَامِّ الْمُسْلِمِينَ إِذَا قُلْتَ لَهُ: مَا هِيَ شُرُوطُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟

لَا يَدْرِي؛ **لَكِنْ فِي الْوَاقِعِ هُوَ مُطَبِّقٌ لَهَا**، فَيَكُونُ عَالِمًا بِمَعْنَىٰ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَىٰ صَنَمٍ، وَلَا وَثَنٍ، وَمُحِبًّا لَهَا، وَمُصَدِّقًا بِهَا، وَمُخْلِصًا فِيهَا، وَمُنْقَادًا، وَقَابِلًا لَهَا، وَمُسْتَيْقِنًا بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ، وَكَانَ كَافِرًا بِمَا سِوَاهَا، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ.

٥

تَفْصِيلُ أَبْوَابِ التَّوْحِيدِ

وَتَفْصِيلُ القَوْلِ فِي أَبْوَابِ التَّوْحِيدِ مِنَ المُتَعَيِّنَاتِ:

- وَذَلِكَ؛ **لِكَثْرَةِ العِبَادَاتِ وَالمُخَالَفَاتِ فِي هَذَا البَابِ، وَلِتَحْرِيفِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ لِمَعْنَىٰ التَّوْحِيدِ.**

فَبَعْدَ أَنْ تَكَلَّمْنَا عَنْ مَعْنَىٰ التَّوْحِيدِ، وَفَضْلِهِ وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ، نَاسَبَ الكَلَامُ عَنْ: **أَعْمَالِ التَّوْحِيدِ**، كُلُّ وَاحِدٍ عَلَىٰ حِدَتِهِ؛ لِيَعْلَمَ المُسْلِمُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَمُعْتَقَدَاتِهِ.

- وَذَلِكَ أَنَّ التَّوْحِيدَ: **قَوْلٌ وَفِعْلٌ وَاعْتِقَادٌ.**
- وَأَفْعَالُ المُكَلَّفِينَ لَا تَخْرُجُ عَنْ هَذَا البَابِ، **فَمَنْ وَحَّدَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَمُعْتَقَدَاتِهِ، فَهُوَ المُسْلِمُ، وَمَنْ لَا؛ فَلَا.**

وَإِنَّنَا لَنَرَىٰ وَنَلْمَسُ وَنُشَاهِدُ وَنَعْلَمُ: أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَعْمَالِ التَّوْحِيدِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تُصْرَفَ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ قَدْ صُرِفَتْ لِغَيْرِهِ مِنَ المَخْلُوقِينَ المَرْبُوبِينَ، فَتَجِدُ أَنَّ (النَّصَارَىٰ) يُصْرِفُونَهَا لِعِيسَىٰ وَأُمِّهِ، وَ(اليَهُودَ) لَهُمْ حَظٌّ كَبِيرٌ مِنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ، سَوَاءً فِي عِبَادَةِ عُزَيْرٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَتَجِدُ أَنَّ (عُبَّادَ القُبُورِ) مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يُصْرِفُونَ العِبَادَاتِ أَوْ بَعْضَهَا لِغَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

- فَيُشْرِكُونَ فِي الأَقْوَالِ كَدُعَاءِ غَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ.
- وَيُشْرِكُونَ بِالأَفْعَالِ كَالذَّبْحِ، وَالنَّذْرِ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.
- وَيُشْرِكُونَ فِي عَقَائِدِهِمْ كَتَوَكُّلِهِمْ وَاعْتِمَادِهِمْ عَلَىٰ المَقْبُورِينَ المَرْبُوبِينَ.

إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَفْعَالِ الَّتِي رُبَّمَا فَاقُوا فِيهَا أَفْعَالَ مُشْرِكِي العَرَبِ الأَوَائِلِ.

○وَ(التَّوْحِيدُ) هُوَ: **عِبَادَةُ اللهِ بِالإِخْلَاصِ**.

تَقَدَّمَ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ: **إِفْرَادُ اللهِ بِمَا يَجِبُ لَهُ، وَهُوَ هُنَا إِفْرَادُ اللهِ بِأَفْعَالِ المُكَلَّفِينَ**.

وَيُسَمَّىٰ هَذَا النَّوْعُ:

- بِـ(تَوْحِيدِ الأُلُوهِيَّةِ).
- وَرُبَّمَا سُمِّيَ بِـ(تَوْحِيدِ القَصْدِ)؛ لِأَنَّ العَبْدَ يَقْصِدُ بِعِبَادَتِهِ اللهَ عَزَّوَجَلَّ.
- وَبِـ(تَوْحِيدِ النِّيَّةِ)؛ لِأَنَّهُ لَا قَبُولَ لِعَمَلِ العَبْدِ إِلَّا بِإِخْلَاصِ النِّيَّةِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ.
- وَ(تَوْحِيدِ الطَّلَبِ)؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ طَلَبَ هَذِهِ العِبَادَاتِ مِنَ المُكَلَّفِ.

■ وَأَسُّ وَأَسَاسُ هَذِهِ العِبَادَةِ: **الإِخْلَاصُ لِلَّهِ** عَزَّوَجَلَّ **فِي كُلِّ عِبَادَةٍ**.

[٥٩] قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة:٥].

[٦٠] وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر:٣].

[٦١] وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٢ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝١٣ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤﴾ [الزمر:١١-١٤].

[٦٢] وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦﴾ [الزمر:٦٦].

وَقَالَ الإِمَامُ المُجَدِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبدِ الوَهَّابِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"إذا أَمَرَ اللهُ العبدَ بأمرٍ، وَجَبَ عَلَيْهِ فِيهِ سَبْعُ مَرَاتِبَ:

- العِلْمُ بِهِ.
- مَحَبَّتُهُ.
- العَزْمُ عَلَىٰ الفِعْلِ.
- العَمَلُ.
- كَوْنُهُ يَقَعُ عَلَىٰ المَشْرُوعِ خَالِصًا صَوَابًا.
- التَّحْذِيرُ مِنْ فِعْلِ مَا يُحْبِطُه.
- الثَّبَاتُ عَلَيْهِ". اهـ الدرر السنية (ج٢ / ٧٤ص).

▪ فَيَتَعَيَّنُ عَلَىٰ العَبْدِ إِخْلَاصُ العَمَلِ لِلَّهِ تَعَالَىٰ لَا يُشْرِكُ مَعَهُ غَيْرَهُ:

لَا مَلَكًا مُقَرَّبًا، وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا.

فَلَا يَقْبَلُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ **مِنْ عَامِلٍ عَمَلًا كَيْفَ كَانَ إِلَّا بِأَمْرَيْنِ عَظِيمَيْنِ جَلِيلَيْنِ:**

- الأَوَّلُ: تَوْحِيدُ المُرْسِلِ.
  - وَهُوَ: اللهُ عَزَّوَجَلَّ.
- الثَّانِي: تَوْحِيدُ المُرْسَلِ.
  - وَهُوَ: النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَيُعَبَّرُ عَنْهُمَا:

- بِالإِخْلَاصِ.
- وَالمُتَابَعَةِ.

■ فَهُمَا: **شَرْطَا قَبُولِ العَمَلِ لِمَنْ عُمِلَتْ وَكَيْفَ عُمِلَتْ.**

فَإِنْ عُمِلَتْ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ طَرِيقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **قُبِلَ عَمَلُكَ.**

وَإِنْ عُمِلَتْ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ غَيْرِ طَرِيقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

أَوْ عُمِلَتْ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ طَرِيقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **حَبِطَ عَمَلُكَ.**

▫ **وَاعْتِبَارُ مَا صَدَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عِبَادَةً؛ مَوْقُوفٌ عَلَىٰ قَصْدِهِ التَّعَبُّدَ.**

◈ **وَاعْلَم -وَفَّقَكَ اللهُ لِسُنَّتِهِ- أَنَّ المُتَابَعَةَ لا تَتَحَقَّقُ إِلَّا إِذَا كَانَ العَمَلُ قَدْ وَافَقَ الشَّرِيعَةَ فِي سِتَّةِ أُمُورٍ؛ وَإِلَّا فَالْعَمَلُ بَاطِلٌ مَرْدُودٌ:**

- (السَّبَبُ): أَنْ يَكُونَ البَاعِثُ عَلَىٰ العِبَادَةِ سَبَبًا شَرْعِيًّا.
- (الجِنْسُ): أَنْ يَكُونَ العَمَلُ مِنْ جِنْسِ مَا شَرَعَهُ اللهُ.
- (القَدْرُ): أَنْ يَكُونَ بِالْقَدْرِ المَشْرُوعِ لَا أَكْثَرَ وَلَا أَقَلَّ.
- (الكَيْفِيَّةُ): أَنْ يَقَعَ العَمَلُ عَلَىٰ الكَيْفِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ.
- (الزَّمَانُ): أَنْ يَكُونَ فِي الزَّمَنِ الَّذِي شَرَعَهُ اللهُ.
- (المَكَانُ): أَنْ يَكُونَ فِي المَكَانِ الَّذِي شَرَعَهُ اللهُ.

[٦٣] وَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك:٢].

■ وأَحْسَنُهُ: **أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ.**

- فَالإِخْلَاصُ: لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ.
- وَالصَّوَابُ: مَا كَانَ عَلَىٰ طَرِيقَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

(٢٠) وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: عَنْ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ**». أخرجه البخاري (٦٩٥٣)، ومسلم (١٩٠٧).

• أَيْ: **قَبُولًا وَرَدًّا.**

▪ فَمَنْ صَلَحَتْ نِيَّتُهُ قُبِلَ عَمَلُهُ، وَمَنْ فَسَدَتْ نِيَّتُهُ رُدَّ عَمَلُهُ.

○ وَ(**الْمُخْلِصُ**): فِي عِبَادَتِهِ هُوَ: السَّالِمُ مِنْ تَرَبُّصٍ وَمَكْرِ الشَّيْطَانِ، حَيْثُ أَخْبَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَنْهُ.

[٦٤] بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص:٨٢-٨٣].

[٦٥] وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر:٣٧-٤٠].

وَقَدْ أَحْسَنَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إِذْ يَقُولُ:

النِّيَّـــةُ شَـــرْطٌ لِصَـــالِحِ الْعَمَـــلِ بِهَـا الصَّـلَاحُ وَالْفَسَـادُ لِلْعَمَـلِ

▫ **وَيَتَعَيَّنُ الإِخْلَاصُ فِي كُلِّ عِبَادَةٍ.**

○ **إِذْ أَنَّ (الْعِبَادَةَ) هِيَ: اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ وَالْمُعْتَقَدَاتِ.**

– فَعَلَىٰ هَذَا فَصَرْفُ الْعِبَادَاتِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ: **تَوْحِيدٌ.**

– وَصَرْفُهَا لِغَيْرِهِ: **شِرْكٌ وَتَنْدِيدٌ.**

○ وَ(**التَّوْحِيدُ**): هُوَ: **الإِخْلَاصُ لِلَّهِ** عَزَّوَجَلَّ.

○ **وَقَدْ عَرَّفَ الْعُلَمَاءُ (الإِخْلَاصَ) بِأَنَّهُ: تَرْكُ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ، وَهُوَ إِسْلَامُ الْوَجْهِ لِلَّهِ بِإِخْلَاصِ الْقَصْدِ وَالْعَمَلِ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.**

وَمَعَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الأَدِلَّةِ يَأْمُرُ اللهُ بِعِبَادَتِهِ نَفْسِهِ بِالإِخْلَاصِ.

[٦٦] قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

• ﴿فَٱدْعُوهُ﴾ أَيْ: **اعْبُدُوهُ**.

[٦٧] / [٢] وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾ [الزمر:٢].

• قَالَ المَنَاوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الإِخْلَاصُ**) تَخْلِيصُ القَلْبِ مِنْ كُلِّ شَوْبٍ يُكَدِّرُ صَفَاءَهُ، فَكُلُّ مَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَشُوبَ غَيْرَهُ، فَإِذَا صَفَا عَنْ شَوْبِهِ وَخَلَصَ مِنْهُ يُسَمَّىٰ خَالِصًا. اهـ. التوقيف علىٰ مهمات التعاريف (٤٢).

▪ فَتَعَيَّنَ أَنَّ شَرْطَ العَمَلِ: **الإِخْلَاصُ فِي كُلِّ طَاعَةٍ**، فَمَنْ جَعَلَ هٰذِهِ الطَّاعَةَ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، **فَقَدْ أَشْرَكَ وَنَدَّدَ**.

قَالَ البَغَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ (١/ ١٥٧): قَالَ الفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"تَرْكُ العَمَلِ لِأَجْلِ النَّاسِ: **رِيَاءٌ**.

وَالعَمَلُ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ: **شِرْكٌ**.

وَالإِخْلَاصُ: أَنْ يُعَافِيَكَ اللهُ مِنْهُمَا". اهـ.

وَلَا أَشَدَّ عَلَىٰ النَّفْسِ مِنَ الإِخْلَاصِ.

قَالَ بَعْضُهُمْ: "**عَالَجْتُ نَفْسِي فِي الإِخْلَاصِ خَمْسِينَ سَنَةً**".

وَاللهُ المُسْتَعَانُ.

٦

الصَّلاةُ وَالذَّبْحُ للهِ عَزَّوَجَلَّ

■ وَمِنْ أَشْهَرِ وَأَكْثَرِ عِبَادَاتِ الْمُوَحِّدِينَ: (**الصَّلَاةُ، وَالذَّبْحُ**).

[٦٨] قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

[٦٩] / [١] وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر:٢].

[٧٠] وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج:٣٤].

■ فَهَذِهِ عِبَادَاتٌ جَلِيلَاتٌ عَلَيْنَا فِعْلُهَا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ **تَوْحِيدًا**.

(٢١) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ**». أخرجه مسلم (٨٢).

(٢٢) وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**». أخرجه مسلم (١٩٧٨).

■ وَالصَّلَوَاتُ مِنْهَا الفَرَائِضُ وَمِنْهَا المُسْتَحَبُّ.

■ وَهَكَذَا النُّسُكُ **مِنْهُ الفَرْضُ**: كَدَمِ التَّمَتُّعِ وَالقِرَانِ، **وَمِنْهُ المُسْتَحَبُّ**: كَالعَقِيقَةِ وَالأُضْحِيَةِ، **وَالهَدْيِ المُتَطَوَّعِ بِهِ** إِلَّا مَا كَانَ مِنَ النُّذُورِ الَّتِي يَلْتَزِمُهَا العَبْدُ.

فَيَتَعَيَّنُ عَلَىٰ العِبَادِ إِخْلَاصُ هَذِهِ العِبَادَاتِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَا يَقْبَلُ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا صَوَابًا، فَمَنْ أَشْرَكَ مَعَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ غَيْرَهُ فِي عِبَادَتِهِ سَوَاءً كَانَ بِالرِّيَاءِ وَنَحْوِهِ، لَمْ يَقْبَلِ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِنْهُ طَاعَتَهُ.

▫ **لِأَنَّ الطَّاعَةَ لَا تَكُونُ طَاعَةً إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ، أَمَّا إِنْ تَجَرَّدَتْ عَنْهُ فَلَيْسَتْ بِطَاعَةٍ وَلَا قُرْبَةٍ.**

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

• قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "يَأْمُرُهُ تَعَالَىٰ أَنْ يُخْبِرَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللهِ، وَيَذْبَحُونَ لِغَيْرِ اسْمِهِ أَنَّهُ: مُخَالِفٌ لَهُمْ فِي ذَلِكَ؛ فَإِنَّ صَلَاتَهُ لِلَّهِ وَنُسُكَهُ عَلَىٰ اسْمِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ" اهـ التفسير (٣/ ٣٤٣).

[٧١] / [٢] وَهَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر:٢].

• أَيِ: "اخْلِصْ لَهُ صَلَاتَكَ وَذَبِيحَتَكَ، فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَيَذْبَحُونَ لَهَا؛ فَأَمَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِمُخَالَفَتِهِمْ وَالِانْحِرَافِ عَما هُمْ فِيه، وَالْإِقْبَالِ بِالْقَصْدِ وَالنِّيَّةِ وَالْعَزْمِ عَلَىٰ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَىٰ". اهـ

فَظَهَرَ بِمَجْمُوعِ الْأَدِلَّةِ:

▪ أَنَّ عَلَىٰ الْمُكَلَّفِ أَنْ يُخْلِصَ دِينَهُ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي حَالِ عِبَادَتِهِ وَصَلَاتِهِ وَتَقَرُّبِهِ بِالذَّبْحِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ؛ **لِأَنَّهُ بَابٌ دَقِيقٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ.**

فَعَلَىٰ الْمُسْلِمِ: أَنْ يَتَنَبَّهَ مِنْ شُبَهِ الْمُشْرِكِينَ، أَوِ الْمُخَالِفِينَ فِي التَّوْحِيدِ وَغَيْرِهِ.

▪ وَهَكَذَا مَا كَانَ مِنَ الذَّبْحِ لِلضَّيْفِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الذَّبَائِحِ، فَهَذِهِ مَأْذُونٌ فِيهَا مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

ثُمَّ إِنَّهُ عِنْدَ ذَبْحِهَا يُسَمِّي اللهَ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهَا.

وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ.

▪ فَالصَّلَاةُ تَقَرُّبٌ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِأَفْعَالٍ وَأَقْوَالٍ شَرَعَهَا، بَيَّنَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

▪ وَالذَّبْحُ تَقَرُّبٌ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِدَمٍ يُذْبَحُ عَلَىٰ الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ مِنَ التَّسْمِيَةِ وَمَوَاضِعِ الذَّبْحِ.

▪ وَفِي الْأُضْحَىٰ مِنْ أَشْهَرِ الْعِبَادَاتِ حَتَّىٰ قِيلَ فِي قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر:٢].صَلَاةُ الْعِيدِ، وَالنَّحْرُ ذَبْحُ الْأُضْحِيَةِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

٧

التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ

■ وَمِنْ أَشْهَرِ، وَأَذْكَرِ، وَأَوْجَبِ عِبَادَاتِ الْمُوَحِّدِينَ لَهُوَ: (**التَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللهِ**).

○ وَذَلِكَ: **بِصِدْقِ الِاعْتِمَادِ عَلَيْهِ فِي جَلْبِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ**.

[٧٢] قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة:٢٣].

■ وَالتَّوَكُّلُ وَاجِبٌ وَفَرْضٌ وَحَتْمٌ.

[٧٣] وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ أَمْرًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ أَمْرٌ لَنَا: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨﴾ [الفرقان:٥٨].

[٧٤] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٢٠﴾ [الشعراء:٢١٧-٢٢٠].

[٧٥] وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ٣﴾ [الأحزاب:٣].

[٧٦] / [١] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣﴾ [هود:١٢٣].

فَانْظُرْ إِلَىٰ كَثْرَةِ الْأَوَامِرِ الْإِلَهِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي وُجُوبِ وَتَعَيُّنِ التَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَالِاعْتِمَادِ عَلَيْهِ فِي جَلْبِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَحْتَاجُ إِلَىٰ هَذَا الْبَابِ إِلَّا إِذَا كَانَ قَدْ فَسَدَ قَلْبُهُ.

▪ فَالْأَمْرُ إِلَىٰ اللهِ فِي الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ، وَالْأَمْرُ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي الْقَبُولِ وَالرَّدِّ، وَلِذَلِكَ يَتَعَيَّنُ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَوَكَّلَ عَلَىٰ اللهِ فَيَعْتَمِدَ عَلَيْهِ وَيَصْدُقَ فِي الِاعْتِمَادِ عَلَيْهِ.

[٧٧] /[٢] قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود:١٢٣].

• أَمْرُ الطَّاعَةِ، وَأَمْرُ الْعِبَادَةِ، وَأَمْرُ الرِّزْقِ، وَأَمْرُ الْعَافِيَةِ، وَأَمْرُ السَّلَامَةِ كُلُّهُ يَعُودُ إِلَىٰ اللهِ، فَوَحِّدْهُ وَاعْتَمِدْ عَلَيْهِ، وَأَمِّلْ مِنْهُ الْخَيْرَ الْعَظِيمَ.

(٢٣) وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**».

أخرجه أحمد (٢٠٥).

• الطَّيْرُ لَا تَدَّخِرُ، وَإِنَّمَا رِزْقُهَا فِي يَوْمِهَا؛ لَكِنْ مَعَ ذَلِكَ تَفْعَلُ السَّبَبَ، تَخْرُجُ لِلْبَحْثِ عَنْ الرِّزْقِ، وَتَعُودُ وَقَدْ شَبِعَتْ، مِنَ الَّذِي أَعْطَاهَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

▪ فَلَوْ أَنَّ النَّاسَ يَصْدُقُونَ فِي التَّوَكُّلِ مَعَ اللهِ مَعَ فِعْلِ الْأَسْبَابِ، لَجَاءَهُمُ الْخَيْرُ الْعَظِيمُ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

(٢٤) وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الَّذِي اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ: مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**».أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢١٨).

▪ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِ الْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ (التَّوَكُّلُ) وَلَيْسَ (التَّوَاكُلَ).

(٢٥) فَقَدْ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ قَدْ ظَاهَرَ بَيْنَ دِرْعَيْنِ.

وَهُوَ رَسُولُ اللهِ مُتَوَكِّلٌ عَلَىٰ اللهِ، وَمَعَ ذَلِكَ أَخَذَ السَّبَبَ لِاتِّقَاءِ ضَرَبَاتِ السُّيُوفِ.

[٧٨] وَكَانَ يَتَّخِذُ حِرَاسَةً حَتَّىٰ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧].

(٢٦) وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،عِندَ التِّرْمِذِيِّ، -وَيُحَسِّنُهُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ، أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: «**اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ**». أخرجه الترمذي (٢٥١٧).

• وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَنَّ الِاعْتِمَادَ عَلَىٰ اللهِ فِي حِفْظِهَا، وَعَقْلِهَا لَا يُنَافِي الْأَخْذَ بِالْأَسْبَابِ، وَلَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ عَلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي جَامِعِ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ (ص: ٤٠٩):

○ "(حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ): **صِدْقُ الِاعْتِمَادِ عَلَىٰ اللهِ فِي جَلْبِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ**، وَكِلَاهُمَا لَا يَكُونُ إِلَّا بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ اللهَ أَمَرَ بِالسَّعْيِ فِي الْأَسْبَابِ، فَالْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ طَاعَةٌ لَهُ.

○ وَ(**التَّوَكُّلُ**) عَلَيْهِ إِيمَانٌ بِهِ هُوَ :**صِدْقُ اِعْتِمَادِ الْقَلْبِ عَلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي اِسْتِجْلَابِ الْمَصَالِحِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**".

• وَقَالَ ابْنُ قُدَّامَةَ فِي مُخْتَصَرِ مِنْهَاجِ الْقَاصِدِينَ (٣٣٢):"(**التَّوَكُّلُ**) عِبَارَةٌ عَنْ اِعْتِمَادِ الْقَلْبِ عَلَىٰ الْمُوَكَّلِ، وَلَا يَتَوَكَّلُ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ غَيْرِهِ إِلَّا إِذَا اِعْتَقَدَهُ.

اِعْتَقَدَ فِيهِ أَشْيَاءَ: الشَّفَقَةَ، وَالْقُوَّةَ، وَالْهِدَايَةَ، فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَقِسْ عَلَيْهِ التَّوَكُّلَ عَلَىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وَإِذَا ثَبَتَ فِي نَفْسِكَ أَنَّهُ لَا فَاعِلَ سِوَاهُ، وَاعْتَقَدْتَ مَعَ ذَلِكَ أَنَّهُ تامُ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ وَرَاءَ قُدْرَتِهِ قُدْرَةٌ، وَلَا وَرَاءَ عِلْمِهِ عِلْمٌ، وَلَا وَرَاءَ رَحْمَتِهِ رَحْمَةٌ اِتَّكَلَ قَلْبُكَ عَلَيْهِ وَحْدَهُ لَا مَحَالَةَ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَىٰ غَيْرِهِ بِوَجْهٍ".اهـ

- **إِذًا مَا سَبَبُ عَدَمِ الاعْتِمَادِ عَلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُكَلَّفِينَ؟**

[٧٩] ضَعْفُ **الْعِلْمِ فِيمَا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ مِنْ عَظِيمِ الصِّفَاتِ**، وَإِلَّا فَهُوَ تَامُّ الْقُدْرَةِ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ، تَامُّ الْعِلْمِ لَا يُخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ، تَامُّ الرَّحْمَةِ، كَامِلُ الرَّحْمَةِ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦].

إِذًا الإِنْسَانُ عَلَيْهِ أَنْ يُبَادِرَ إِلَىٰ اللهِ، وَيَرْجُو مِنْهُ الْخَيْرَ الْعَظِيمَ وَيُؤْمَلُ.

- **قَالَ ابنُ القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي مَدَارِجِ السَّالِكِينَ (٢/ ١١٣):"

- التَّوَكُّلُ نِصْفُ الدِّينِ.
- وَالنِّصْفُ الثَّانِي الْإِنَابَةُ.

- فَإِنَّ الدِّينَ اِسْتِعَانَةٌ، وَعِبَادَةٌ.
- فَـ(التَّوَكُّلُ) هُوَ: الِاسْتِعَانَةُ، وَالْإِنَابَةُ هِيَ الْعِبَادَةُ.

وَقَدْ قِيلَ: **الاعْتِمَادُ عَلَىٰ السَّبَبِ شِرْكٌ وَتَرْكُ السَّبَبِ قَدْحٌ فِي الشَّرِيعَةِ**"اهـ.

- يَعْنِي: كَوْنَكَ تَفْعَلُ السَّبَبَ فِي جَلْبِ الرِّزْقِ وَدَفْعِ الضَّرِّ؛ لَكِنْ تَعْتَقِدُ أَنَّ هذَا هُوَ السَّبَبُ، وَهذَا هُوَ الدَّافِعُ، وَهذَا هُوَ الرَّافِعُ، هذَا شِرْكٌ، بَلِ الدَّافِعُ وَالرَّافِعُ هُوَ اللهُ.

■ وَتَرْكُ الْعَمَلِ بِالسَّبَبِ قَدْحٌ فِي الشَّرِيعَةِ، تَقُولُ أَنَا، مَا سَأَعْمَلُ، وَإِذَا كَانَ لِي رِزْقٌ سَيَأْتِي، فَلَا يَأْتِي الرِّزْقُ إِلَّا بِالْعَمَلِ.

[٨٠] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ ﴿١٥﴾﴾ [الملك:١٥].

■ وَهَكَذَا: **لا تُنَالُ الْجَنَّةُ إِلَّا بِالْعَمَلِ.**

[٨١] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزخرف:٧٢].

وَأَمَّا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِمَّنْ لَا حَظَ لَهُ مِنْ فَهْمِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ مِنْ أَنَّ فِعْلَ الْأَسْبَابِ يُنَاقِضُ، أَوْ يُخَالِفُ التَّوَكُّلَ، فَهَذَا لِجَهْلِهِ بِالتَّوْحِيدِ وَلِلشَّرِيعَةِ، فَمَا زَالَ الْأَنْبِيَاءُ، وَهُمْ أَعْظَمُ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ يَفْعَلُونَ الْأَسْبَابَ، فَكَانَ زَكَرِيَّا نَجَّارًا، وَدَاوُدُ حَدَّادًا.

[٨٢] وَرَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حَازَ قَصْبَ السَّبْقِ فِي ذَلِكَ حِينَ قِيلَ لَهُ: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران:١٧٣].

(٢٧) وَإِبْرَاهِيمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ قَالَ: «**حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**» **فَاسْتَجَابَ اللهُ لَهُ دُعَاءَهُ.** أخرجه البخاري برقم(٤٥٦٣)عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

[٨٣] وَقَالَ: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء:٦٩].

وَالْعَجَبُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَعْتَمِدُونَ عَلَىٰ الْمَقْبُورِينَ، وَالْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ، فِي جَلْبِ مَنَافِعِهَا وَدَفْعِ مَضَارِّهَا، وَتَسْمَعُ هَذَا يَقُولُ فِي كَلَامِهِمْ وَتَلْحَظُهُ فِي أَفْعَالِهِمْ: (أَنَا بِكَ)، وَنَحْوِ ذَلِكَ، لَا يَقُولُ: (أَنَا بِاللهِ)، وَلَا يَرْجِعُ

إِلَىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَرُبَّمَا دَعَا ابْنَ عِلْوَانَ مِنْ دُونِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَقْبُورِينَ الْمَرْبُوبِينَ.

وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

٨

الرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ للهِ عَزَّوَجَلَّ

■ الرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَقَدْ يُعَبَّرُ عَنْهُمَا بِـ(الصَّلَاةِ)، وَيُعَبَّرُ بِهِمَا عَنْ الصَّلَاةِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهَاتَانِ عِبَادَتَانِ جَلِيلَتَانِ لَا يَجُوزُ بِحَالٍ أَنْ تُصْرَفَا لِأَحَدٍ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ الْمَرْبُوبِينَ.

[٨٤] قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت:٣٧].

[٨٥] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧].

●وَالْمُرَادَ بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ الصَّلَاةِ، فَهُمَا مِنْ أَظْهَرِ أَعْمَالِهَا.

[٨٦] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾﴾ [العلق:١٩].

[٨٧] وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي وَصْفِ خُلَصِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة:١١٢].

[٨٨] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران:٤٣].

[٨٩] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف:٢٠٦].

[٩٠] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [النحل:٤٩].

[٩١] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الإسراء:١٠٧].

[٩٢] وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي وَصْفِ خُلَّصِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان:٦٤].

[٩٣] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم:٥٨].

[٩٤] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الفتح:٢٩].

[٩٥] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾﴾ [الانشقاق:٢٠-٢١].

■ فَمِمَّا تَقَدَّمَ يَظْهَرُ بِشَكْلٍ وَاضِحٍ لِكُلِّ مُكَلَّفٍ يَفْهَمُ خِطَابَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَنَّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ، فَلَا تُصْرَفُ هَذِهِ الْعِبَادَةُ لَا لِنَبِيٍّ مُرْسَلٍ، وَلَا لِمَلِكٍ مُقَرَّبٍ.

(٢٨) وَجَاءَ عِنْدَ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ: وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَىٰ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا**»، مِنْ عِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا. أخرجه الترمذي (١١٥٩) وأحمد (١٩٤٠٣).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُٱللَّهُ:" وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ: أَنَّ السُّجُودَ لِغَيْرِ اللهِ مُحَرَّمٌ ". اهـ المجموع (٤/ ٣٥٨).

وَقَالَ أيضًا: " لَا يَجُوزُ السُّجُودُ لِغَيْرِ اللهِ مِنَ الْأَحْيَاءِ، وَالْأَمْوَاتِ، وَلَا تَقْبِيلُ الْقُبُورِ، وَيُعَزَّرُ فَاعِلُه ". اهـ المجموع (٤/ ٣٥٩).

وَقَالَ الرُّحِيبَانِيُّ: "أَوَ سَجَدَ لِصَنَمٍ، أَوْ كَوْكَبٍ كَشَمْسٍ ،أَوْ قَمَرٍ كَفَرَ؛ لِأَنَّهُ أَشْرَكَ بِهِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وَيَتَّجِهُ السُّجُودُ لِلْحُكَّامِ وَالْمَوْتَىٰ بِقَصْدِ الْعِبَادَةِ؛ كُفْرٌ قَوْلًا وَاحِدًا بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَالتَّحِيَّةُ لِمَخْلُوقٍ بِالسُّجُودِ لَهُ كَبِيرَةٌ مِنَ الْكَبَائِرِ الْعِظَامِ". اهـ مطالب أُولِي النُّهَىٰ (٦/ ٢٧٨).

▪ فَعَلَىٰ الصَّحِيحِ: أَنَّهُ كُفْرٌ بِإِطْلَاقٍ، إِلَّا لِمَنْ جَهِلَ ذَلِكَ، فَيُنَبَّهُ وَيُعَلَّمُ، فَإِنِ اسْتَمَرَّ كَفَرَ؛ لِأَنَّهُ صَرَفَ عِبَادَةً لِغَيْرِ اللهِ.

فَبِمَا تَقَدَّمَ يُعْلَمُ: أَنَّ السُّجُودَ وَالرُّكُوعَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلهِ عَزَّوَجَلَّ عِبَادَةً جَلِيلَةً، فَمَنْ صَرَفَهَا لِغَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ.

❖ وَأَمَّا سُجُودُ الْمَلَائِكَةِ لِآدَمَ؛ فَهُوَ سُجُودُ تَحِيَّةٍ بِأَمْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

❖ وَأَمَّا سُجُودُ إِخْوَةِ يُوسُفَ لَهُ فَكَذَلِكَ، وَلَعَلَّ هَذَا كَانَ جَائِزًا فِي شَرِيعَتِهِمْ.

فَمَا يَفْعَلُهُ عُبَّادُ الْقُبُورِ عِنْدَ الْأَضْرِحَةِ مِنَ السُّجُودِ وَالرُّكُوعِ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَهَذَا شِرْكٌ أَكْبَرُ، مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ.

(٢٩) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اِعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَا وَيْلَهُ أَوْ يَا وَيْلِي أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَلَمْ أَسْجُدْ فَلِي النَّارُ**». أخرجه مسلم (٨١).

■ وَتُلَاحِظُ: أَنَّ عُبَّادَ الْقُبُورِ، وَعُبَّادَ الْأَصْنَامِ، وَالْأَوْثَانِ يَعْمَلُونَ هَذِهِ الْفِعْلَةَ بِدُونِ تَحَرُّجٍ أَوْ وَرَعٍ.

■ فَلَا يَجُوزُ وَضْعُ الْجَبْهَةِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا لِلهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ دَلِيلًا عَلَىٰ الْخُضُوعِ لَهُ، وَالْخُشُوعِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالِانْقِيَادِ لِأَمْرِهِ.

ثُمَّ إِنَّ السُّجُودَ لَا يَصْلُحُ مُسْتَقِلًّا إِلَّا فِي حَالَيْنِ:

- سُجُودُ الشُّكْرِ.
- سُجُودُ التِّلَاوَةِ.

وَإِلَّا فَلَيْسَ هُوَ عِبَادَةً مُنْفَرِدَةً.

وَأَمَّا الرُّكُوعُ، فَلَا يَكُونُ إِلَّا فِي الصَّلَاةِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

٩

الدُّعَاءُ وَالاستِعَانَةُ وَالاستِغَاثَةُ وَالاستِعَاذَةُ

النَّاسُ بِحَاجَةٍ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي كُلِّ حِينٍ، وَلَا غِنَىٰ لَهُمْ عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلِهَذَا شَرَعَ لَهُمُ الدُّعَاءَ، فَهِيَ عِبَادَةٌ قَوْلِيَّةٌ عَظِيمَةٌ.

[٩٦] ■ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر:٦٠].

[٩٧] ■ وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦].

(٣٠) ■ وَعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةِ**». أخرجه الترمذي (٣٢٤٧).

(٣١) ■ وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**اَلدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ**»؛ وَلَكِنَّهُ ضَعِيفٌ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ لَهِيعَةَ.

فَهَذِهِ الْأَدِلَّةُ دَالَّةٌ عَلَىٰ عَظِيمِ شَأْنِ الدُّعَاءِ، وَأَنَّهُ عِبَادَةٌ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، كَمَا تَتَعَبَّدُ لَهُ بِالصَّلَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، تَتَعَبَّدُ لَهُ بِالدُّعَاءِ، بَلْ إِنَّ الدُّعَاءَ أَكْثَرُ الْعِبَادَاتِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ، وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالسِّرِّ وَالْجَهَارِ، وَالْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، وَفِي كُلِّ حَالٍ، وَالْإِنْسَانُ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ ضَرُورَةً، لَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ.

[٩٨] وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٩].

(٣٢) وَبَاتَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَيْلَةَ بَدْرٍ يَدْعُو اللهَ طَوِيلًا، حَتَّىٰ سَقَطَ الرِّدَاءُ مِنْ عَلَىٰ جَنْبِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «**اَللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اَللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ أَبَدًا**». أخرجه مسلم (١٧٦٣) عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣٣) وَهَكَذَا يَقُولُ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِذَا اِسْتَعَنْتَ فَاسْتَعَنْ بِاللهِ**». أخرجه الترمذي (٢٥١٦) عن عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣٤) وَيَقُولُ رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**اِحْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعَنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ**». أخرجه مسلم (٢٦٦٤) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

[٩٩] وَقَالَ مُوسَىٰ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: لِقَومِهِ: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوا۟﴾ [الأعراف:١٢٨]

(٣٥) وَكَانَ مِنْ دُعاءِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَحَثَّ عَلَيْهِ: «**اَللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**». أخرجه أبو داود (١٥٢٢) عن معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فَإِنَّ الإِنسَانَ لَيْسَ بِشَيْءٍ إِنْ لَمْ يُعِنْهُ اللهُ، بَلْ إِنَّ العَطَبَ فِيمَا يَظُنُّهُ سَلَامًا.

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللهِ لِلْفَتَىٰ ... فَأَوَّلُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ

■ وَمَدَارُ الْعِبَادَةِ عَلَىٰ إِفْرَادِ اللهِ بِالْعَمَلِ، مَعَ الِاسْتِعَانَةِ بِهِ.

[١٠٠] قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥].

بَلْ إِنَّ (البَاءَ) فِي (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) لِلاسْتِعَانَةِ، فَأَنْتَ حِينَ تَقُولُ: (بِسْمِ اللهِ) قَبْلَ أَكْلِكَ، وَقَبْلَ قِرَاءَتِكَ، وَقَبْلَ كِتَابَتِكَ، كُلُّ هَذَا اسْتِعَانَةٌ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لِحَاجَتِكَ إِلَيْهِ، وَعَدَمِ اسْتِغْنَائِكَ عَنْهُ.

[١٠١] وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل:٦٢].

[١٠٢] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف:٥٥].

[١٠٣] وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون:٩٧-٩٨].

■ فَهَذِهِ عِبَادَاتٌ جَلِيلَاتٌ: الدُّعَاءُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، لَا يَجُوزُ أَنْ تُطْلَبَ وَتُصْرَفَ إِلَّا لِلهِ عَزَّوَجَلَّ.

■ وَصَرْفُهَا لِغَيْرِهِ مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ، أَوْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ مَيِّتٍ، أَوْ حَجَرٍ، أَوْ شَجَرٍ شِرْكٌ أَكْبَرُ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ.

■ وَإِنَّمَا أَبَاحَ اللهُ الطَّلَبَ مِنْ حَيٍّ حَاضِرٍ قَادِرٍ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ تَتَوَفَّرْ فِيهِ هَذِهِ الشُّرُوطُ، فَصَرْفُ الطَّلَبِ إِلَيْهِ وَرَجَاءُ الْإِعْطَاءِ مِنْهُ يُخَالِفُ الْمُعْتَقَدَ الصَّحِيحَ فِيمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ.

■ وَالْمُتَأَمِّلُ لِأَحْوَالِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، يَجِدْ أَنَّهُمْ قَامُوا بِهَذَا الْأَمْرِ خَيْرَ قِيَامٍ، وَالْتَزَمُوهُ فِي كُلِّ حَالٍ، عَلَّقُوا قُلُوبَهُمْ بِاللهِ، وَانْطَلَقَتْ أَلْسِنَتُهُمْ بِدُعَاءِ اللهِ، وَالِاسْتِعَانَةِ، وَالِاسْتِغَاثَةِ، وَالِاسْتِعَاذَةِ بِهِ أَوْ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ.

(٣٦) كما قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّىٰ يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**». أخرجه مسلم (٢٧٠٨) عن خولة بنت حكيم رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

(٣٧) وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «**أَعُوذُ بِاللهِ الْعَظِيمِ وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**». أخرجه أبو داود (٤٦٦) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

■ فَتَعَيَّنَ وَتَلَخَّصَ: أَنَّ عِبَادَةَ الدُّعَاءِ، وَمَا يَدْخُلُ تَحْتَهَا مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ وَأَرْجَىٰ الطَّاعَاتِ، وَلَا يَجُوزُ صَرْفُهَا لِغَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، بَلْ عَلَىٰ الْمُوَحِّدِ أَنْ يَلْتَزِمَهُ فِي حَالِ الشِّدَّةِ، وَالرِّخَاءِ، وَالسَّرَّاءِ، وَالضَّرَّاءِ دَاعِيًا اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يَفْتَحَ عَلَيْهِ بِالْخَيْرِ الْعَظِيمِ، وَأَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ الشَّرَّ الْكَثِيرَ، وَأَنْ يُصْلِحَ دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ، فَبِيَدِهِ النَّفْعُ وَالضُّرُّ، وَأَمَّا مَنْ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِغَيْرِ اللهِ وَدَعَا غَيْرَهُ فَانْقَطَعَ عُمُرُهُ وَتَحَقَّقَ ضَرُّهُ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

○ وَ(**الدُّعَاءُ**) هُوَ: **الطَّلَبُ لَكِنْ مِنَ الأَدْنَىٰ إِلَىٰ الأَعْلَىٰ وَهُوَ لِلَّهِ** عَزَّوَجَلَّ.

✍ أَمَّا مَا يَقَعُ بَيْنَ النَّاسِ مِنَ الطَّلَبِ الْمُبَاحِ فَلَا حَرَجَ مِنْهُ، وَيُسَمَّىٰ: (**إِلْتِمَاسًا**).

وَالطَّلَبُ مِنَ **الْغَيْرِ عَلَىٰ وَجْهِ الاسْتِعْلَاءِ**، يُسَمَّىٰ: (**أَمْرًا**).

وَقَدْ يَكُونُ **طَلَبَ تَرْكٍ**، فَيُسَمَّىٰ: (**نَهْيًا**) وَلِذَلِكَ قِيلَ:

أَمْرٌ مَعَ اسْتِعْلَا وَعَكْسُهُ دُعَا ... وَفِي التَّسَاوِي فَالْتِمَاسٌ وَقَعَا

❖ وَ(الدُّعَاءُ): يَنْقَسِمُ إِلَىٰ:

- دُعَاءِ عِبَادَةٍ.
- وَدُعَاءِ مَسْأَلَةٍ.

فَمِنَ الْأَوَّلِ: الصَّلَاةُ، وَبَقِيَّةُ الطَّاعَاتِ، **وَقَدْ تَتَضَمَّنُ دُعَاءَ الْمَسْأَلَةِ**.

وَالثَّانِي هُوَ: الطَّلَبُ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَبَابُهُ وَاسِعٌ، لَكَ أَنْ تَطْلُبَ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ الْعَطَاءَ، لَكَ أَنْ تَطْلُبَ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ الْمَنْعَ.

▫ **فَكُلُّ مَا وَرَدَ فِي القُرْآنِ مِنَ الأَمْرِ بِالدُّعَاءِ وَالنَّهْيِ عَنْ دُعَاءِ غَيْرِ اللهِ، يَتَنَاوَلُ دُعَاءَ المَسْأَلَةِ وَدُعَاءَ العِبَادَةِ.**

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

١٠

الحَلَفُ بِاللهِ

جَرَىٰ تَأْكِيدُ الأَمْرِ فِعْلًا، أَوْ تَرْكًا.

○وَيَكُونُ هَذَا بِـ(الحَلِفِ) **بِاللهِ** عَزَّوَجَلَّ **بِاسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ، أَوْ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ.**

(٣٨) قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**». أخرجه البخاري (٦٦٤٦) ومسلم (١٦٤٦).

(٣٩) وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وَلَا تَحْلِفُوا إِلَّا بِاللهِ وَلَا تَحْلِفُوا بِاللهِ إِلَّا وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ**». أخرجه أبو داود (٣٢٤٨).

■ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُٱللَّهُ: "لَا يَجُوزُ الْحَلِفُ بِغَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَلَا عَلَىٰ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَهَذَا أَمْرٌ مُجْتَمَعٌ عَلَيْهِ". اهـ التمهيد (٩/ ٢٥٤).

■ وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَىٰ أَنَّ (الْيَمِينَ) لَا تَكُونُ إِلَّا بِاللهِ أَوْ بِصِفَاتِهِ، وَأَجْمَعُوا عَلَىٰ الْمَنْعِ مِنَ الْحَلِفِ بِغَيْرِهِ.

وَكِلَا الْإِجْمَاعَيْنِ حَكَاهُمَا الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللهِ فِي كِتَابِهِ "تَيْسِيرُ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ".

■ وَقَدْ قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِهَذَا الْأَمْرِ خَيْرَ الْقِيَامِ، **فَكَانَ يَحْلِفُ بِغَيْرِ اسْتِحْلَافٍ.**

(٤٠) يَقُولُ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ**».

(٤١) وَيَقُولُ: «**وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ**».

(٤٢) وَيَقُولُ: «**لَا وَمُقَلِّبُ الْقُلُوبِ**».

وَهَكَذَا (والله)، وَهَكَذَا أَكْثَرُهَا.

❖ وَلَمْ يَثْبُتْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ**، وَمَا جَاءَ أَنَّهُ قَالَ: «**وَأَبِيهِ**»:

- لَمْ تَثْبُتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ بِحَالٍ، شَذَّ بِهَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ.
- وَقِيلَ: بِأَنَّهَا تَحَرَّفَتْ مِنْ قَوْلِهِ: «**وَاللهِ**».
- وَقِيلَ: بِأَنَّهَا كَانَتْ مَبَاحَةً ثُمَّ نُسِخَتْ.
- وَقِيلَ: هُنَا تَقْدِيرَ وَهُوَ: (وَرَبِّ أَبِيهِ).
- وَقِيلَ: بِأَنَّ هَذِهِ كَلِمَةٌ لَا يُرِيدُ الْعَرَبُ حَقِيقَتَهَا مِثْلُ: (تَرِبَتْ يَدَاكَ) وَنَحْوِهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

■ وَعَظَّمَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ شَأْنَ (**الْيَمِينِ الْغَمُوسِ**).

○ **لِأَنَّ فَاعِلَهَا: يَحْلِفُ بِاللهِ عَلَىٰ الْكَذِبِ، مِنَ الْقَوْلِ أَوِ الْفِعْلِ، لِتَأْكِيدِهِ أَوْ تَأْكِيدِ نَفْيِهِ.**

■ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ مَضَىٰ وَانْقَضَىٰ، فَيَقُولُ: «**وَاللهِ فَعَلْتُ**» أَوْ «**وَاللهِ مَا فَعَلْتُ**»، وَهُوَ كَاذِبٌ فِي ذَلِكَ.

(٤٣) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الكَبَائِرُ: الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ**». أخرجه البخاري (٦٦٧٥).

(٤٤) وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينِ صَبْرٍ، يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**». أخرجه البخاري(٤٥٤٩)، ومسلم (١٣٨).

(٤٥) **وَفِي رِوَايَةٍ**: «**وَهُوَ عَنْهُ مُعْرِضٌ**». أخرجه مسلم (٢٢٣).

(٤٦) وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ إِياسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنِ اِقْتَطَعَ حَقَّ أَمرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ وحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**» فَقَالَ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ.

(٤٧) **قَالَ: «وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ»**. أخرجه مسلم (١٣٧).

■ فَلَا يَجُوزُ الحَلِفُ بِغَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَلَا يَجُوزُ الحَلِفُ بِاللهِ كَاذِبًا، بَلْ يَجِبُ حِفْظُ الأَيْمَانِ.

[١٠٤] كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾ [المائدة:٨٩].

• وَالْمَعْنَىٰ: أَنَّهُ إِذَا حَلَفْتُمْ، فَأَبْرُوا أَيْمَانَكُمْ.

[١٠٥] ■ وَمَنْ حَنِثَ فَيُكَفِّرَ عَنْهَا بِمَا ذَكَرَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٨٩﴾ [المائدة:٨٩].

(٤٨) **وَعَنْ** عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِذَا حَلَفْتَ عَلَىٰ يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ وَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ**». أخرجه البخاري (٦٦٢٢)، ومسلم (١٦٥٢).

(٤٩) ■ وَيَجُوزُ الْكَفَّارَةُ قَبْلَ وَبَعْدَ الْحَنْثِ: لِقَولِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي وَاللهِ إِنْ شَاءَ اللهُ لا أَحْلِفُ عَلَىٰ يَمِينٍ فَأَرَىٰ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وتحللتها**». أخرجه البخاري (٥٥١٨)، ومسلم (١٦٤٩) عن أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

○ وَالْكَفَّارَةُ تَكُونُ فِي (الْيَمِينِ الْمُسْتَقْبَلَةِ)، أَمَّا (الْيَمِينُ الْغَمُوسُ)، فَلَا تُكَفَّرُ عَلَىٰ الصَّحِيحِ مِنْ أَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وَمِنْهَا رَدُّ الْمَظْلَمَةِ إِنْ كَانَ أُخِذَتْ بِهِ، وَمَا أَكْثَرَهَا!.

○ وَأَمَّا كَثْرَةُ الْحَلْفِ بِـ(كَلَا وَاللهِ)، (وَبَلَىٰ وَاللهِ)، بِغَيْرِ نِيَّةِ الْيَمِينِ وَتَعْقِيدِهِ، فَقَدْ تَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُ، وَهُوَ: (**لَغْوُ الْيَمِينِ**).

[١٠٦] قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ٢٢٥﴾ [البقرة:٢٢٥].

قَالَ البَغَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ (١/ ٢٦٣-٢٦٤):

"وَاعْلَمْ أَنَّ الْيَمِينَ لَا تَنْعَقِدُ إِلَّا:

- بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ.
- أَوَ بِاسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ.
- أَوَ بِصِفَةٍ من صفاتِهِ.

فَالْيَمِينُ بِاللهِ أَنْ يَقُولَ: وَالَّذِي يَعْبُدُهُ، وَالَّذِي يُصَلِّي لَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَالْيَمِينُ بِأَسْمَائِهِ كَقَوْلِهِ: وَاللهِ، والرَّحْمَنِ، ونَحْوُه.

والْيَمِينِ بِالصِّفَاتِ كَقَوْلِهِ: وَعِزَّةِ اللهِ، وَعَظَمَةِ اللهِ، وَجَلَالِ اللهِ، وَقُدْرَةِ اللهِ وَنَحْوِهَا.

فَإِذَا حَلَفَ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَىٰ أَمْرٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، فَحَنِثَ يَجِبُ عَلَيْهِ الْكَفَّارَةُ، وَإِذَا حَلَفَ عَلَىٰ أَمْرٍ مَاضٍ أَنَّهُ كَانَ وَلَمْ يَكُنْ، أَوْ عَلَىٰ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَقَدْ كَانَ عَالِمًا بِهِ حَالَ مَا حَلَفَ، فَهُوَ مِنَ الْيَمِينِ الْغَمُوس".اهـ

(٥٠) ■ وَقَدْ نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَنْ كَثْرَةِ الْحَلْفِ، لَاسِيَّمَا فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، فقَالَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلِفِ فِي الْبَيْعِ، فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ، ثُمَّ يَمْحَق**». أخرجه مسلم (١٦٠٧) عن أبي قتادة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وَسَيَأْتِي مَزِيدُ بَيَانٍ إِنْ شَاءَ اللهُ فِي بَابِ الْحَلْفِ بِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ.

١١

طَلَبُ الشَّفَاعَةِ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ

[١٠٧] [١] قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة:٢٥٥].

[١٠٨] وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء:٢٨].

[١٠٩] وَقَالَ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنْ حَالِ الْكُفَّارِ: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ﴾ [الأعراف:٥٣].

فَالْشَفَاعَةُ جَاءَتْ فِي الْقُرْآنِ عَلَىٰ: **الْإِثْبَاتِ، وَالنَّفْيِ.**

فَالْمُثْبَتَةُ هِيَ:

مَا تَضَمَّنَتْهُ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ شروط:

- الَّتِي تَطْلُبُ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.
- وَتَكُونُ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.
- وَتَكُونُ بِرِضَا اللهِ عَزَّوَجَلَّ عَنْ الشَّافِعِ وَالْمَشْفُوعِ لَهُ.

وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَنَّ شَأْنَ الشَّفَاعَةِ مِنْهُ وَإِلَيْهِ.

- أَيْ: **إِذْنًا وَقُبُولًا.**

[١١٠] قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤].

- أَيْ: **هُوَ مالِكُها كُلِّها طَلَبًا وَإِذْنًا وَقُبُولًا.**

[١١١] وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم:٢٦].

■ واللهُ عَزَّوَجَلَّ يَرْضىٰ التَّوْحيدَ، وَيَرْضىٰ عَنْ المُوَحِّدِينَ، فَتَبَيَّنَ مِن هذِهِ الأدِلَّةِ أَنَّ الشَّفَاعَةَ تُطْلَبُ مِنَ اللهِ، وَتَكُونُ بِإِذْنِ اللهِ لِمَن قَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَتَكُونُ مِمَّن قَدْ رَضِيهِ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، فَهِيَ تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَأَسْعَدُ النَّاسِ بِهَا أَهْلُ التَّوْحِيدِ؛ بَلْ لَا تَنَالُ غَيْرَهُمْ.

(٥١) وَلِذَلِكَ جَاءَ فِي صَحِيحِ البُخَارِي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ قَالَ: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَىٰ الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ**». أخرجه البخاري (٩٩)، (٦٥٧٠).

■ فَمَن أَرَادَ نَيْلَ شَفَاعَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلِيَطْلُبْهَا مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَلِيَكُنْ عَلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَلِيَكُنْ مُحَافِظًا عَلَىٰ الْأَعْمَالِ الَّتِي يُشْفَعُ لَهُ بِسَبَبِهَا.

■ وَالشَّفَاعَةُ فِي الدُّنْيَا عِنْدَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ تَكُونُ بِالدُّعَاءِ لِلْمُسْلِمِ؛ وَلِذَلِكَ شُرِعَتْ صَلَاةُ الْجَنَازَةِ، وَنَحْوِهَا.

(٥٢) قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ مَيِّتٍ صُلِّيَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ تَبْلُغُ مِائَةَ كُلُّهُمْ يُشَفِّعُونَ لَهُ إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ**». أخرجه مسلم (٩٤٧) عن عائشة وأنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٥٣) وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَىٰ جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَّعُوا لَهُ عِنْدَ اللهِ**». أخرجه مسلم (٩٤٧).

■ وَقَدْ شَفَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُكَّاشَةَ بْنِ مِحْصَنٍ الْأَسَدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفًا الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ.أخرجه البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٢٢٠).

❖ وَفِي الآخِرَةِ شَفَاعَاتٌ كَثِيرَةٌ خَاصَّةٌ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

١- الشَّفاعةُ العُظمىٰ:

[١١٢] قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَنْهَا: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء:٧٩]، وَتَكُونُ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ.

٢- الشَّفَاعَةُ فِي فَتْحِ بَابِ الْجَنَّةِ.

(٥٤) كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«**آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**». أخرجه مسلم (١٩٧) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٣- الشَّفَاعَةُ فِي تَخْفِيفِ الْعَذَابِ فِي عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ.

وَهِيَ شَفَاعَةٌ لَا تُخْرِجُهُ مِنَ النَّارِ.

(٥٥) قَالَ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**مَاذَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ أَبِي طَالِبٍ، كَانَ يَحُوطُكَ، وَيَغْضَبُ لَكَ**»، قَالَ: «**هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**».أخرجه البخاري(٣٨٨٣)ومسلم (٢٠٩)عن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

٤- **وَتَكُونُ الشَّفَاعَةُ فِي أَهْلِ الْكَبَائِرِ.**

وَأَحَادِيثُهَا مُتَوَاتِرَةٌ، وَهِيَ شَفَاعَةٌ تَقَعُ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ، وَيَتَفَضَّلُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَوْقَ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُوَحِّدِينَ.

(٥٦) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**». أخرجه الترمذي (٢٤٣٥)، وأخرجه شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "كتاب الشفاعة".

(٥٧) وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ، وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ، لِأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَىٰ، أَتَرَوْنَهَا لِلْمُتَّقِينَ؟ لَا، وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ، الْخَطَّائِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ**». أخرجه ابن ماجه (٤٣١١).

٥- **الشَّفَاعَةُ فِي رَفْعِ بَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ.**

[١١٣] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ﴾ [الطور:٢١].

■ وَبَابُ الشَّفَاعَةِ الْمَقْبُولِ: التَّوْحِيدُ، وَالْعَمَلُ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ.

وَاللهُ الْمُوَفِّقُ.

١٢

الْحُكْمُ بِمَا أَنزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ

مِنْ أَظْهَرِ وَأَشْهَرِ أَعْمَالِ التَّوْحِيدِ، الْحُكْمُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي الْمَسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ هُوَ الْحَكِيمُ، الَّذِي لَا يَكُونُ مِنْ شَرْعِهِ وَقَدَرِهِ إِلَّا مَا كَانَ مُوَافِقًا لِلْحِكْمَةِ وَالْعَدْلِ.

[١١٤] ■ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة:٥٠].

[١١٥] ■ وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التين:٨].

[١١٦] ■ وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَنَّ الْحُكْمَ لَهُ قَدَرًا وَشَرْعًا، فقَالَ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧].

(٥٨) ■ وَأَمَرَ بِالْحُكْمِ بِشَرْعِهِ، فقَالَ: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة:٤٨].

[١١٧] ■ بَلْ نَفَىٰ الإِيمَانَ عَمَّنْ لَا يَتَحَاكَمُ إِلَىٰ حُكْمِهِ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء:٦٥].

[١١٨] ■ وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورىٰ:١٠].

(٥٩) ■ وَفِي حَدِيثِ أَبِي شُرَيْحٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ (٤٩٥٥): قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ**».

■ وَأَخْبَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَنَّ مِنْ مَقَاصِدِ إِنْزَالِ الْكِتَابِ: الْحُكْمَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ.

[١١٩] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة:٢١٣].

[١٢٠] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء:١٠٥].

[١٢١] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة:٤٢].

[١٢٢] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [المائدة:٤٩].

■ فَمِنْ هذِهِ الأَدِلَّةِ وَغَيْرِهَا كَثِيرٌ نَعْلَمُ أَنَّ الحُكْمَ وَالتَّحَاكُمَ إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الْوَاجِبَاتِ الْمُتَحَتِّمَاتِ فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ، بَلْ إِنَّ سَلَامَةَ الْمُجْتَمَعِ وَرِفْعَتَهُ عَائِدَةٌ إِلَىٰ هذَا الْبَابِ الْعَظِيمِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ الْقُصُورُ مِنَ الحُكَّامِ وَالمَحْكُومِينَ حَتَّىٰ ضَعُفَ النَّاسُ وَلَحِقَهُمْ مَا لَحِقَهُمْ.

(٦٠) قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَتُنْقَضَنَّ عُرَىٰ الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ**» أخرجه أحمد (٢٢١٦٠) عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٦١) وَفِي لَفْظٍ: «**لَيُنْقَضَنَّ الْإِسْلَامُ عُرْوَةً عُرْوَةً، كَمَا يُنْقَضُ الْحَبْلُ قُوَّةً قُوَّةً**» أخرجه أحمد (١٨٠٣٩).وَاللهُ المُسْتَعَانُ.

■ التَّحَاكُمُ إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِيهِ صَلَاحُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَالتَّحَاكُمُ إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِيهِ السَّلَامَةُ مِنَ الِاخْتِلَافِ، فِيهِ السَّلَامَةُ مِنَ الظُّلْمِ، فِيهِ السَّلَامَةُ مِنَ التَّجَاوُزِ، وَالتَّحَاكُمُ إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ تَحَاكُمٌ إِلَىٰ مَعْصُومٍ.

وَاللهُ المُسْتَعَانُ.

١٣

طَلَبُ الْبَرَكَةِ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ

○ وَ(البَرَكَةُ) هِيَ: **وَضْعُ الخَيْرِ الإِلٰهِيِّ فِي الشَّيْءِ بِكَثْرَتِهِ وَوَفْرَتِهِ، أَوْ زِيَادَتِهِ وَنَمَائِهِ، أَوْ لُزُومِهِ وَاسْتِمْرَارِهِ.**

وَمَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ يَطْلُبُهَا وَيُرِيدُهَا وَيَرْغَبُ فِيهَا، فَإِنْ بَارَكَ اللهُ فِي الشَّيْءِ صَارَ قَلِيلُهُ كَثِيرًا، وَضَعِيفُهُ قَوِيًّا، وَحَقِيرُهُ عَظِيمًا، وَصَغِيرُهُ كَبِيرًا.

■ وَلِذَلِكَ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ وَأَخْبَرَنَا عَنْ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

[١٢٣] ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم:٣١].

[١٢٤] ■ وَجَعَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الْحَرَمَ مُبَارَكًا، وَبِلَادِ الشَّامِ كَذَلِكَ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء:١].

(٦٢) ■ وَقَدْ دَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، وَفِي يَمَنِنَا**» قَالَ: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: قَالَ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا**» قَالَ: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: قَالَ: «**هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ**». أخرجه البخاري (١٠٣٧) عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٦٣) ■ وَكَانَ إِذَا تَزَوَّجَ الإِنْسَانُ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَارَكَ اللهُ لَكَ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ**». أخرجه أبو داود (٢١٣٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٦٤) ■ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُؤْتَى بِالصِّبْيَانِ فَيُبَرِّكُ عَلَيْهِمْ وَيُحَنِّكُهُمْ**». أخرجه البخاري (٦٣٥٥)، ومسلم (٢١٤٧) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٦٥) ■ وَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمدينة بِالْبَرَكَةِ حَيثُ قَالَ: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا**». أخرجه البخاري (١٨٨٩)، ومسلم (١٣٧٦) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٦٦) ■ بَلْ قَالَ فِي شَأْنِهَا: «**اللهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَجَعَلَهَا حَرَمًا، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ حَرَامًا مَا بَيْنَ مَأْزِمَيْهَا، أَنْ لَا يُهْرَاقَ فِيهَا دَمٌ، وَلَا يُحْمَلَ فِيهَا سِلَاحٌ لِقِتَالٍ، وَلَا تُخْبَطَ فِيهَا شَجَرَةٌ إِلَّا لِعَلْفٍ، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللهُمَّ اجْعَلْ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ**». أخرجه مسلم (١٣٧٤) عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦٧) ■ وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا**». أخرجه الترمذي (١٢١٢) عن صخر بن وداعة الغامدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦٨) ■ وَدَعَا لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: «**اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ**». أخرجه البخاري (٦٣٣٤)، ومسلم (٢٤٨٠) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[١٢٥] ■ وَقَدْ جَعَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الْقُرْآنَ مُبَارَكًا حَيثُ يَقُولُ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام:١٥٥].

[١٢٦] ■ وَجَعَلَ الْكَعْبَةَ مُبَارَكَةً، فَقَالَ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران:٩٦].

[١٢٧] ■ وَجَعَلَ شَجَرَةَ الزَّيْتُونِ مُبَارَكَةً، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾ [النور:٣٥].

[١٢٨] ■ وَبَارَكَ فِي تَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١].

(٦٩) ■ وَلَفْظُهَا دُعَاءٌ بِالْبَرَكَةِ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ**». أخرجه مسلم (٢٤٧٣) عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[١٢٩] ■ وَجَعَلَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مُبَارَكَةً، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣].

[١٣٠] ■ وَجَعَلَ الْمَطَرَ مُبَارَكًا، فَقَالَ: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩﴾ [ق: ٩].

■ وَجَعَلَ بَرَكَةً عَظِيمَةً فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.

■ وَكَانَ مَاءُ زَمْزَمَ مُبَارَكًا: كَانَ طَعَامَ طُعْمٍ وَشِفَاءَ سُقْمٍ.

■ وَهَكَذَا الْبَرَكَةُ الْعَظِيمَةُ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالتَّمَسُّكِ بِهَا، وَالسَّيْرِ عَلَيْهَا فِي الْعَقَائِدِ وَالْأَحْكَامِ، وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ.

(٧٠) ■ وَلِاتِّقَاءِ شَرِّ الْعَيْنِ شَرَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدُّعَاءَ بِالْبَرَكَةِ فَقَالَ: «**إِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ أَوْ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مِنْ مَالِهِ مَا يُعْجِبُهُ فَلْيَبْرَكْ، فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ**». أخرجه أحمد (١٥٧٠٠) عن عبدالله بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وله شواهد.

(٧١) ■ وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لِي فِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَبَارِكْ لِي فِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَبَارِكْ لِي فِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي**». أخرجه البزار كما في كشف الأستار (٣١٨٨) عن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللهِ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهُوَ مُعْطِيهَا وَمُسْدِيهَا، وَقَدْ جَعَلَ الْبَرَكَةَ فِيمَا شَاءَ؛ لَكِنِ التَّبَرُّكَ بِهِ عَلَىٰ الْوَجْهِ الْمَشْرُوعِ.
- فَيَتَبَرَّكُ بِالْقُرْآنِ بِقِرَاءَتِهِ، وَالْعَمَلِ بِهِ وَحِفْظِهِ.
- وَالتَّبَرُّكُ بِالسُّنَّةِ بِمُتَابَعَتِهَا.
- وَالتَّبَرُّكُ بِالْكَعْبَةِ بِالطَّوَافِ بِهَا.
- وَبِمَاءِ زَمْزَمَ بِشُرْبِهِ.
- وَبِدُعَاءِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ.

❖ لَا بِالتَّمَسُّحِ وَنَحْوِهِ؛ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ آثَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَيْسَ مِنْهَا الْآنَ شَيْءٌ، فَقَدْ كَانُوا يَتَبَرَّكُونَ بِرَشَحِهِ وَشَعْرِهِ وَرِيقِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

١٤

تَمْكِينُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ

[١٣١] ■ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور:٥٥].

[١٣٢] ■ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة:٣٣].

[١٣٣] ■ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف:٨].

[١٣٤] ■ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأنفال:٨].

[١٣٥] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [يونس:٨٢].

[١٣٦] ■ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات:١٧٣].

[١٣٧] ■ وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران:١٢٣].

• الشَّاهِدُ مِنْ سُوقِ هَذِهِ الأَدِلَّةِ: أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ نَصَرَ التَّوْحِيدَ، وَأَعْلَاهُ، وَأَيَّدَ أَهْلَهُ.

(٧٢) ■ حَتَّىٰ بَلَغَ الْحَالَ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**».

أخرجه مسلم (٢٨١٢) عن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فَبِسَبَبِ قُوَّةِ الْإِسْلَامِ، وَظُهُورِهِ يَئِسَ الشَّيْطَانُ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ، فِي زَمَنِ ظُهُورِ الدِّينُ.

❖ لَكِنْ لَا يُفْهَمُ مِنْ الْحَدِيثِ أَنَّ الشِّرْكَ لَا يَقَعُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فَالشِّرْكَ قَدْ عَادَ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَرْجَاءِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، عِبَادَةُ الْقُبُورِ، وَعِبَادَةُ الْأَضْرِحَةِ، وَالدُّعَاءِ، وَالنَّذْرِ، وَالذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَكَمْ هِيَ الْعِبَادَاتُ الَّتِي تُصَرَّفُ لِغَيْرِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

لَكِنَّ هَذَا الْقَوْلَ قَالَهُ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي حَالِ قُوَّةِ الْإِسْلَامِ، حَيْثُ إِنَّ الشَّيْطَانَ أَيِسَ؛ وَلَكِنَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَعُودُ النَّاسُ إِلَىٰ مَا هُمْ فِيهِ، وَيَتَسَلَّطُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا مَنْ رَحِمَ الرَّحْمَنُ.

(٧٣) وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّىٰ يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَىٰ حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَىٰ غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**». أخرجه البخاري (٣٦١٢) عن خباب بن الأرت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٧٤) وَعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ**».

أخرجه أحمد (١٦٩٥٧).

■ وَالْأَدِلَّةُ فِي الْبَابِ كَثِيرَةٌ جِدًّا بَلْ هِيَ مُتَوَاتِرَةٌ؛ حَيْثُ قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ خَيْرَ قِيَامٍ، وَنَصَرَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ نَصْرًا مُؤَزَّرًا حَتَّىٰ دَخَلَ الْكَعْبَةَ، وَكَسَرَ الْأَصْنَامَ، وَالْأَوْثَانَ، وَأَعْلَىٰ اللهُ بِهِ مِنَارَ الدِّينِ فِي أَرْجَاءِ الْجَزِيرَةِ، وَبَعْدَهُ بَلَغَ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ.

(٧٥) عَلَىٰ وَفْقِ مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ زَوَىٰ لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ**». أخرجه مسلم (٢٨٨٩).

■ فَالتَّوْحِيدُ بِهِ يَقَعُ التَّمْكِينُ وَالْعِزُّ وَالنَّصْرُ.

(٧٦) وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالرِّفْعَةِ وَالدِّينِ وَالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ**». أخرجه أحمد (٢١٢٢٠).

■ فَحَقَّقُوا التَّوْحِيدَ حَيْثُ مَكَّنَ اللهُ لَهُمْ فِي طُولِ الْبِلَادِ وَعَرْضِهَا، وَمِنْ لَمْ يَدْخُلْ فِي التَّوْحِيدِ دَانَ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ، وَلِحُكْمِ الْإِسْلَامِ.

[١٣٨] حَيْثُ يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ [التوبة:٢٩] .

■ فَعَاشَ النَّاسُ فِي عِزَّةِ التَّوْحِيدِ وَظُهُورِهِ، وَانْطَمَسَتْ مَعَالِمُ الشِّرْكِ لَاسِيَّمَا فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ.

(٧٧) ■ حَتَّىٰ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَا يَبْقَيَنَّ دِينَانِ بِأَرْضِ الْعَرَبِ**». أخرجه مالك (٢٦٠٦).

(٧٨) وَقَالَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ العَرَبِ**». أخرجه البخاري (٣٠٥٣)، ومسلم (١٦٣٧).

• فَهَذَا هُوَ الْمُتَعَيَّنُ عَلَىٰ وُلَاةِ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فِي حَالِ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ وَقُوَّتِهِ؛ لِأَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

(٧٩) حَيثُ يَقُولُ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ**». أخرجه البخاري (١٣٩٩، ١٤٠٠)، ومسلم (٢٠) عن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وغيره.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

١٥

حِمَايَةُ جَنَابِ التَّوْحِيدِ

لِأَهَمِّيَّةِ التَّوْحِيدِ شَرَعَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ وَبَلَّغَ رَسُولَهُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ السُّبُلَ الْكَفِيلَةَ لِثَبَاتِهِ وَحِمَايَتِهِ مِنَ التَّغَيُّرِ وَالتَّبَدُّلِ، يُلَاحَظُ ذَلِكَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالدَّعْوَةِ، وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ، وَالْحَثِّ عَلَىٰ الْعِلْمِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

■ فَشَرَعَ اللهُ الدَّعْوَةَ لِإِقَامَةِ التَّوْحِيدِ.

[١٣٩] كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل:١٢٥].

[١٤٠] وَقَالَ تَعَالَىٰ آمِرًا مُحَمَّدًا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف:١٠٨].

[١٤١] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت:٣٣].

• إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، وَهَكَذَا شَرَعَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَأَعْلَاهُ التَّوْحِيدُ، لِهٰذَا الْمَقْصِدِ.

[١٤٢] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران:١٠٤].

■ والْخَيْرِيَّةُ فِي التَّوْحِيدِ

(٨٠) كَمَا قَالَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَ اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟" قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَعَمْ**». أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

• فَالْخَيْرُ الْمَذْكُورُ فِي الْحَدِيثِ، هُوَ الْإِسْلَامُ، وَأَسَاسُهُ التَّوْحِيدُ، حَقُّ اللهِ عَلَىٰ الْعَبِيدِ.

▪ **وَهَكَذَا شَرَعَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ النَّصِيحَةَ؛ لِأَنَّ الرُّسُلَ بُعِثُوا بِهَا، وَأَعْلَىٰ ذَلِكَ النُّصْحُ بِالتَّوْحِيدِ.**

[١٤٣] قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف:٦٢].

[١٤٤] وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَنْ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف:٦٨].

[١٤٥] وَقَالَ اللهُ عَنْ شُعَيبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ [الأعراف:٧٩].

(٨١) وَقَالَ رَسُولُنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدين النصيحة**»، قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**». أخرجه مسلم (٥٥) عن تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

• فَيَدْخُلُ فِيهِ ابْتِدَاءً: النَّصْحُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ وَإِخْلَاصِ الْعَمَلِ لِلَّهِ.

وَالنُّصْحُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مُلَازَمَةِ التَّوْحِيدِ وَمَا إِلَيْهِ، وَمِمَّا دَعَا إِلَيْهِ.

وَالنُّصْحُ لِكِتَابِ اللهِ بِالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ وَأَشْرَفُهُ التَّوْحِيدُ.

وَالنُّصْحُ لِلنَّاسِ بِدَعْوَتِهِمْ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ وَمَا يَلْتَحِقُ بِهِ.

▪ وَهَكَذَا شَرَعَ اللهُ طَلَبَ الْعِلْمِ لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْرِفَةِ التَّوْحِيدِ إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا، وَمَا يَلْتَحِقُ بِهِ.

[١٤٦] قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩].

[١٤٧] وَأَوَّلُ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْقُرْآنِ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق:١].

[١٤٨] فَلَمَّا قَرَأَ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المدثر:١-٢].

• بَلْ لَا أَبْرَكَ عَلَىٰ تَوْحِيدِ الْمَرْءِ وَصَلَاحِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ بِمِثْلِ الْعِلْمِ.

▪ وَلِذَلِكَ كَانَ الْعُلَمَاءُ وَرَثَةَ الْأَنْبِيَاءِ؛ لِعِلْمِهِمْ، وَعَمَلِهِمْ، وَدَعْوَتِهِمْ بِالتَّوْحِيدِ وَلِلتَّوْحِيدِ وَمَا يَلْتَحِقُ بِهِ.

▫فَأَيُّ دَعْوَةٍ لَا تَقُومُ عَلَىٰ عِلْمِ التَّوْحِيدِ وَالْعَمَلِ بِهِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ دَعْوَةٌ فَاشِلَةٌ.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، وَذَكَرَهُ رَسُولُهُ الْأَمِينُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِنَ التَّرْغِيبِ فِي سَبِيلِ التَّوْحِيدِ، وَذِكْرِ مَا لَهُ مِنَ الْفَضَائِلِ:

▫ وَالْأَخْبَارِ بِأَنَّ جَمِيعَ الرُّسُلِ اتَّفَقُوا عَلَيْهِ.

▪ وَأَنَّهُ لَا سَبِيلَ لِلْجَنَّةِ إِلَّا بِهِ وَلَا سَلَامَةَ مِنَ النَّارِ إِلَّا بِهِ.

▪ حَتَّىٰ نَهَىٰ عَنْ صَلَاةِ التَّطَوُّعِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَعِنْدَ غُرُوبِهَا؛ لِئَلَّا يَكُونَ ذَرِيعَةً إِلَىٰ: **التَّشَبُّهِ بِعُبَّادِ الشَّمْسِ** الَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهَا فِي هَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ.

• وَسَدَّ الذَّرِيعَةَ بِأَنْ مَنَعَ الصَّلَاةَ بَعْدَ الْعَصْرِ وَالصُّبْحِ؛ **لِاتِّصَالِ هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ بِالْوَقْتَيْنِ الَّذِي يُسْجَدُ فِيهَا الْمُشْرِكُونَ لِلشَّمْسِ.**

وَمِنْ ذَلِكَ:

- مَنْعُ شَدِّ الرِّحَالِ لِلْقُبُورِ.
- وَالصَّلَاةِ عِنْدَهَا، وَإِلَيْهَا.

وَالْبَابُ وَاسِعٌ وَإِنَّمَا هٰذِهِ إِشَارَاتٌ.

- **فَكُلُّ: كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **دَعْوَةٌ لِحِمَايَةِ هٰذَا الْبَابِ.**
- **وَالشَّرِيعَةَ مَبْنَاهَا عَلَىٰ إِقَامَةِ التَّوحِيدِ وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الشَّرْكِ وَالتَّنْدِيدِ.**

١٦

بَيَانُ الحَقِّ فِي النُّجُومِ وَالكَوَاكِبِ

خَلَقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ النُّجُومَ:

- زِينَةً لِلسَّمَاءِ.
- وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ.
- وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَىٰ بِهَا.

[١٤٩] قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام:٩٧].

[١٥٠] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الحجر:١٦].

[١٥٦] وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧﴾ [الصافات:٦-٧].

[١٥٧] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا﴾ [فصلت:١٢].

[١٥٨] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك:٥].

وَعَنْدَ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عَنْ قَتَادَةَ قَالَ** ": إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِنَّمَا جَعَلَ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلاثِ خِصَالٍ:

- جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ.
- وَجَعَلَهَا يُهْتَدَىٰ بِهَا.
- وَجَعَلَهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ.

فَمَنْ تَعَاطَىٰ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ، فَقَدْ قَالَ: رَأْيَهُ وَأَخْطَأَ حَظَّهُ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ.

وَإِنَّ نَاسًا جُهَلًا بِأَمْرِ اللهِ قَدْ أَحْدَثُوا فِي هَذِهِ النُّجُومِ كَهَانَةً، مِنْ أَنَّ أَعْرَسَ بِنَجْمِ كَذَا وَكَذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَمِنْ سَافَرَ بِنَجْمِ كَذَا وَكَذَا، كَانَ كَذَا وَكَذَا.

وَلَعَمْرِي مَا مِنْ نَجْمٍ إِلَّا يُولَدُ بِهِ الْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ وَالطَّوِيلُ وَالْقَصِيرُ وَالْحَسَنُ وَالْقَبِيحُ، وَمَا عَلِمَ هَذَا النَّجْمُ، وَهَذِهِ الدَّابَّةُ، وَهَذَا الطَّائِرُ بِشَيْءٍ مِنَ الْغَيْبِ.

[١٥٩] وَقَضَىٰ اللهُ أَنَّهُ: ﴿لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥﴾ [النمل:٦٥].

- **فَلَا يَعْلَمُ الغَيْبَ المطلق إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ.**

[١٦٠] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ٢٧﴾ [الجن:٢٦-٢٧].

وَلَعَمْرِي! لَوْ أَنَّ أَحَدًا عَلِمَ الْغَيْبَ لَعَلِمَهُ آدَمُ الَّذِي خَلَقَهُ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَهُ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَسْكَنَهُ الْجَنَّةَ، يَأْكُلُ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شَاءَ، وَنُهِيَ عَنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ الْبَلَاءُ حَتَّىٰ وَقَعَ فِيمَا نُهِيَ عَنْهُ.

وَلَوْ كَانَ يَعْلَمُ الْغَيْبَ لَعَلِمَهُ الْجِنُّ حِينَ مَاتَ سُلَيْمَانُ، وَكَانَتِ الْجِنُّ تَقُولُ قَبْلَ ذَلِكَ أَنَّهَا تَعْلَمُ الْغَيْبَ وَتَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ، فَبْتَلَاهُمُ اللهُ بِذَلِكَ وَجَعَلَ مَوْتَ سُلَيْمَانَ لِلْجِنِّ عِظَةً". اهـ التفسير (٩/ ٢٩١٣).

وَقَالَ ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: **تَعَلَّمْ مِنَ النُّجُومِ مَا تَعْرِفُ بِهِ الْقِبْلَةَ وَالطَّرِيقُ**.

وَكَانَ النَّخْعِيُّ لَا يَرَىٰ بَأْسًا بِتَعَلُّمِ الرَّجُلِ مِنَ النُّجُومِ مَا يَهْتَدَىٰ بِهِ.

وَرَخَّصَ فِي تَعَلُّمِ مَنَازِلِ الْقَمَرِ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ، وَيَتَعَلَّمُ مِنْ أَسْمَاءِ النُّجُومِ مَا يَهْتَدَىٰ بِهِ.

وَكَرِهَ قَتَادَةُ تَعَلُّمَ مَنَازِلِ الْقَمَرِ، وَلَمْ يَرْخِصْ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِيهِ، ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهُمَا.

وَقَالَ طَاوُوسٌ: رُبَّ نَاظِرٍ فِي النُّجُومِ مُتَعَلِّمًا حُرُوفَ (أَبْجَدٍ) لَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللهِ خَلَاقٌ. أخرجه حرب وخرجه حميد من زنجويه من رواية طاووس عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

■ **وَهٰذِا مَحْمُولٌ عَلَىٰ عِلْمِ التَّأْثِيرِ لَا عَلْمِ التَّسْيِيرِ، فَإِنَّ عِلْمَ التَّأْثِيرِ بَاطِلٌ مُحَرَّمٌ.**

(٨٢) وَفِيهِ: وَرَدَ الحَدِيثُ المَرْفُوعُ: «**مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ**». أخرجه أبو داود (٣٩٠٥) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

فَعِلْمُ تَأْثِيرِ: النُّجُومِ بَاطِلٌ مَحْرُمٌ، وَالعَمَلُ بِمُقْتَضَاهُ، كَالتَّقَرُّبِ إِلَىٰ النُّجُومِ وَتَقْرِيبِ القُرْبَانِيَّاتِ لَهَا كُفْرٌ.

وَأَمَّا عِلْمُ التَّسْيِيرِ: فَإِذَا تَعَلَّمَ مِنْهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِلاهْتِدَاءِ، وَمَعْرِفَةِ الْقِبْلَةِ، وَالطُّرُقِ كَانَ جَائِزًا عِنْدَ الْجُمْهُورِ، وَمَا زَادَ عَلَيْهِ فَلَا حَاجَةَ إِلَيْهِ، وَهُوَ يُشْغِلُ عَمَّا هُوَ أَهَمُّ مِنْهُ". اهـ فضل علم السلف علىٰ الخلف (٣/ ١١).

فَعُرِفَ مِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ: الْكَوَاكِبَ وَالنُّجُومَ آيَاتٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ عَظَمَتِهِ، وَالدَّاعِيَةِ إِلَىٰ إِفْرَادِهِ بِمَا يَجِبُ لَهُ.

[١٦١] ■ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت:٣٧].

[١٦٢] ■ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [النحل:١٢].

(٨٣) وَعَنْ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: انْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَىٰ سُوقِ عُكَاظَ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ.

فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟

قَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَ عَلَيْنَا الشُّهُبُ.

قَالُوا: مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا شَيْءٌ حَدَثَ، فَانْظُرُوا مَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ.

فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَهُوَ بِنَخْلَةَ، وَهُوَ يُصَلِّي الْفَجْرَ، فَلَمَّا سَمِعُوهُ.

قَالُوا: هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ".أخرجه البخاري (٧٧٣)، ومسلم (٤٤٩).

■ الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا: أَنَّ النُّجُومَ مَسْخَرَاتٌ بِأَمْرِ اللهِ، لَيْسَ لَهَا قُدْرَةٌ عَلَىٰ نَفْعٍ أَوْ ضَرٍّ.

■ فَالتَّعَلُّقَاتُ الْبَاطِلَةُ بِهَا مَفْسَدَةٌ لِلدِّينِ.

عَلَىٰ مَا يَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ فِي دَحْضِ الشِّرْكِ وَالتَّنْدِيدِ.

١٧

بَيَانُ الْمَحَبَّةِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالْخَشْيَةِ وَالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ

وَهَذِهِ عِبَادَاتٌ عَظِيمَاتٌ رَغِبَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِيهَا، وَمَدَحَ أَهْلَهَا لِمَا فِيهَا مِنْ تَحْقِيقِ الْعُبُودِيَّةِ وَالتَّذَلُّلِ، وَالْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ، عِبَادَاتٌ قَلْبِيَّةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ تَعْظِيمِ رَبِّ الْبَرِيَّةِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَتَدُلُّ عَلَىٰ مُرَاقَبَةِ الْعَبْدِ وَتَعْظِيمِهِ لَهُ، عِبَادَاتٌ اتَّصَفَ بِهَا خُلَصُ الْبَشَرِيَّةِ بَلْ وَالْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ.

▫ **بِهَذَا تَعْلَمُ -وَفَّقَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ- أَنَّ مَنَاطَ العِبَادَةِ غَايَةُ الحُبِّ مَعَ غَايَةِ الذُّلِّ، وَلَا تَنْفَعُ عِبَادَةٌ بِوَاحِدٍ دُونَ الآخَرِ.**

[١٦٣] ■ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

[١٦٤] وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾ [الشرح:٨].

[١٦٥] وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [التوبة:٥٩].

[١٦٦] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ [النحل:٥١].

(٨٤) ■ وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو، وَذَكَرَ مِنْهَا: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا، لَكَ مِطْوَاعًا إِلَيْكَ، مُخْبِتًا، أَوْ مُنِيبًا**»، أخرجه أبو داود (١٥١٠). وَفِي بَعْضِهَا: «**إِلَيْكَ رَاغِبًا**».

[١٦٧] ■ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ [البقرة:١٥٠].

[١٦٨] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٤٤].

[١٦٩] وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ [التوبة:١٣].

[١٧٠] ■ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠].

[١٧١] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء:١٠٤].

[١٧٢] ■ وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ﴾ [الإسراء:٥٧].

[١٧٣] ■ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران:١٧٥].

[١٧٤] وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠].

[١٧٥] ■ وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

[١٧٦] وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤].

(٨٥) وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ**»، وَذَكَرَ مِنْهَا: «**أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**». أخرجه البخاري (٢١)، مسلم (٤٣).

▫ **فَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُعْبَدُ: بِالْمَحَبَّةِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ.**

فَمَنْ عَبَدَ اللهَ بِالْخَوْفِ وَحْدَهُ فَهُوَ: حَرُورِيٌّ.

وَمَنْ عَبَدَ اللهَ بِالرَّجَاءِ وَحْدَهُ فَهُوَ: مُرْجِئٌ.

وَمَنْ عَبَدَ اللهَ بِالْحُبِّ وَحْدَهُ فَهُوَ: زِنْدِيقٌ.

وَمَنْ عَبَدَ اللهَ بِالْحُبِّ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ فَهُوَ: الْمُوَحِّدُ الْمُتَابِعُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَاةُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فَأَصْلُ الْمَحَبَّةِ الْمَحْمُودَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهَا وَخَلَقَ خَلْقَهُ لِأَجْلِهَا هِيَ: **مَحَبَّتُهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ**، الْمُتَضَمِّنَةُ لِعِبَادَتِهِ دُونَ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ، **فَإِنَّ الْعِبَادَةَ تَتَضَمَّنُ غَايَةَ الْحُبِّ وَغَايَةَ الذُّلِّ**، ولا يصح ذلك إلا للهِ وَحْدَهُ". اهـ إغاثة اللهفان (٢/ ٨٥٢).

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَمِنْ خَصَائِصِ الْإِلَهِيَّةِ: **الْكَمَالُ الْمُطْلَقُ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ الَّذِي لَا نَقْصَ فِيهِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ**، وَذَلِكَ يُوجِبُ أَنْ تَكُونَ الْعِبَادَةُ كُلُّهَا لَهُ وَحْدَهُ، وَالتَّعْظِيمُ، وَالْإِجْلَالُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالدُّعَاءُ، وَالرَّجَاءُ، وَالْإِنَابَةُ، وَالتَّوْبَةُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالِاسْتِعَانَةُ، **وَغَايَةُ الذُّلِّ مَعَ غَايَةِ الْحُبِّ** - كُلُّ ذَلِكَ يَجِبُ عَقْلًا، وَشَرْعًا، وَفِطْرَةً أَنْ يَكُونَ لَهُ وَحْدَهُ، وَيَمْتَنِعُ عَقْلًا، وَشَرْعًا، وَفِطْرَةً أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ، فَمَنْ جَعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لِغَيْرِهِ، فَقَدْ شَبَّهَ ذَلِكَ الْغَيْرَ بِمَنْ لَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا مَثِيلَ وَلَا نِدَّ لَهُ، وَذَلِكَ أَقْبَحُ التَّشْبِيهِ وَأَبْطَلُهُ". اهـ الداء والدواء (١/ ٣١٤).

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"وَهُوَ سُبْحَانَهُ كَمَا جَعَلَ الرَّجَاءَ لِأَهْلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَكَذَلِكَ جَعَلَ الْخَوْفَ لِأَهْلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَعُلِمَ أَنَّ الرَّجَاءَ وَالْخَوْفَ النَّافِعَ مَا اقْتَرَنَ بِهِ الْعَمَلُ. الداء والدواء (٤٠).

[١٧٧] ■ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

■ وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَصَفَ أَهْلَ السَّعَادَةِ بِالإِحْسَانِ مَعَ الْخَوْفِ، وَوَصَفَ الأَشْقِيَاءَ بِالإِسَاءَةِ مَعَ الأَمْنِ.

وَمَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَجَدَهُمْ فِي غَايَةِ الْعَمَلِ مَعَ غَايَةِ الْخَوْفِ". اهـ

وَقَالَ:"وَالْخَشْيَةُ لِقَاحُ الْمَحَبَّةِ، فَإِذَا اجْتَمَعَا أَثْمَرَا امْتِثَالَ الْأَوَامِرِ، وَاجْتِنَابَ النَّوَاهِي". اهـ الفوائد لابن القيم (ص: ١٩٩).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَلَا فَلَاحَ لَهُ إِلَّا بِهَا: الشُّكْرُ، وَطَلَبُ الْعَافِيَةِ، وَالتَّوْبَةُ النَّصُوحُ ثُمَّ فَكَّرْتُ، فَإِذَا مِدَارُ ذَلِكَ عَلَىٰ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ، وَلَيْسَا بِيَدِ الْعَبْدِ؛ بَلْ بِيَدِ مُقَلِّبِ الْقُلُوبِ وَمُصَرِّفِهَا كَيْفَ يَشَاءُ؛ فَإِنْ وَفَّقَ عَبْدَهُ أَقْبَلَ بِقَلْبِهِ إِلَيْهِ، وَمَلَأَهُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً، وَإِنْ خَذَلَهُ تَرَكَهُ وَنَفْسَهُ". اهـ الفوائد (٢٠٤-٢٠٥).

■ **فَتَلَخَّصَ مِمَّا سَبَقَ**: أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُعْبَدُ وَيُفْرَدُ بِمَا هُوَ لَهُ مِنَ الْمَحَبَّةِ، وَالْخَوْفِ، وَالرَّجَاءِ، وَالرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالإِنَابَةِ، وَالْخَشْيَةِ، وَالْخُشُوعِ، وَالْخُضُوعِ، وَالإِخْلَاصِ، وَالتَّوَكُّلِ.

■ فَعَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يُعَلِّقَ قَلْبَهُ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَلْيَكُنْ نُطْقُهُ مُوَافِقًا لِمَا فِي قَلْبِهِ مِنْ إِخْلَاصِ الْعَمَلِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَكَذَلِكَ جَوَارِحُهُ.

○ فَهَذِهِ هِيَ **(الْعِبَادَةُ)**، اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ، وَالأَفْعَالِ، وَالِاعْتِقَادَاتِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي الْمَجْمُوعِ (١٠/١٩٣):" فَكُلَّمَا ازْدَادَ الْقَلْبُ حُبًّا لِلَّهِ ازْدَادَ لَهُ عُبُودِيَّةً، وَكُلَّمَا ازْدَادَ لَهُ عُبُودِيَّةً ازْدَادَ لَهُ حُبًّا، وَحُرِّيَّةً عَمَّا سِوَاهُ.

وَالْقَلْبُ فَقِيرٌ بِالذَّاتِ إِلَىٰ اللهِ مِنْ وَجْهَيْنِ:

- مِنْ جِهَةِ الْعِبَادَةِ وَهِيَ الْعِلَّةُ الغائية.
- وَمِنْ جِهَةِ الِاسْتِعَانَةِ وَالتَّوَكُّلِ، وَهِيَ الْعِلَّةُ الْفَاعِلِيَّةُ.

فَالْقَلْبُ لَا يَصْلُحُ، وَلَا يُفْلِحُ، وَلَا يَلْتَذُّ، وَلَا يُسَرُّ، وَلَا يَطِيبُ، وَلَا يَسْكُنُ، وَلَا يَطْمَئِنُّ إِلَّا بِعِبَادَةِ رَبِّهِ وَحُبِّهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَلَوْ حَصَلَ لَهُ كُلُّ مَا يَلْتَذُّ بِهِ مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ لَمْ يَطْمَئِنَّ وَلَمْ يَسْكُنْ ". اهـ

١٨

إِضَافَةُ النِّعْمَةِ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ

[١٧٨] ■ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم:٣٤].

[١٧٩] ■ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران:١٠٣]. فِي تِسْعِ آيَاتٍ.

[١٨٠] ■ وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [النحل:١١٤].

[١٨١] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر:٣].

(٨٦) ■ وَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَبْنِي مَعَهُمُ الْمَسْجِدَ وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا، فَأَنْزِلْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا**». أخرجه البخاري (٣٠٣٤)، ومسلم (١٨٠٣).

[١٨٢] ■ وَقَدْ أَمَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِالتَّحَدُّثِ بِنِعَمِهِ شُكْرًا لَهَا، حَيْثُ قَالَ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى:١١].

(٨٧) وَعَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»**.

أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

[١٨٣] وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣].

(٨٨) وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ لَيَرْضَىٰ عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»**. أخرجه مسلم (٢٧٣٤).

[١٨٤] وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مُخْبِرًا عَنْ سُلَيْمَانَ: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل:٤٠].

[١٨٥] وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنْ سُلَيْمَانَ وَدَاوُدَ: ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ [النمل:١٥].

فَإِنَّ اللهَ يَتَفَضَّلُ عَلَىٰ عِبَادِهِ بِأَنْوَاعِ الْعَطَايَا الْحَسِّيَّاتِ وَالْمَعْنَوِيَّاتِ.

- فَيَجِبُ إِضَافَةُ النِّعْمَةِ إِلَيْهِ فَهُوَ مُعْطِيهَا، وَمُسَدِّيهَا.
- وَإِذَا أَرَادَ ذِكْرَ السَّبَبِ عَطَفَهَا عَلَيْهِ بِـ(ثُمَّ) يَقُولُ: لَوْلَا اللهُ ثُمَّ كَذَا.

[١٨٦] ■ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء:٨٣].

فِي كَثِيرٍ مِنْ مِثْلِ هَذَا، وَتَجِدُ النَّاسَ إِلَّا مِنْ رَحِمَ اللهُ فِي حَدِيثِهِمُ الْيَوْمِيِّ: «**لَوْلَا فُلَانٌ**» وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَلَوْلَا كَذَا وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَالْمُتَعَيَّنُ ابْتِدَاءً: «**لَوْلَا اللهُ**» أَنْ يَسَّرَ، وَأَعَانَ، وَفَرَّجَ، وَرَزَقَ، وَوَفَّقَ، وَسَلَّمَ، وَهَكَذَا دَوَالِيكَ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَىٰ (٨/ ٣٣)": فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَن يُضِيفُ إِنْعَامَهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ وَيُشْرِكُهُ بِهِ". اهـ

■ وَلِهَذَا أَمَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ لَهُ، بَلْ وَحَمِدَ نَفْسَهُ، وَحَمِدَهُ رُسُلُهُ، وَخُلَّصِ الْمُؤْمِنِينَ لِعِلْمِهِمْ بِعَظِيمِ حَقِّهِ.

■ فَمَا مِنْ نِعْمَةٍ إِلَّا وَهُوَ مُعْطِيهَا، وَمُسْدِيهَا، وَمَا مِنْ شَرٍّ إِلَّا وَهُوَ الَّذِي يَصْرِفُهُ وَيَدْفَعُهُ، فَنِعْمَةُ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ بِحُصُولِ الْمَطْلُوبِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ الْمَرْهُوبِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:"فَالْمِنَّةُ أَنْ يَشْهَدَ الْمُعْطِي أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الْفَضْلِ، وَالْإِنْعَامِ، وَأَنَّهُ وَلِيُّ النِّعْمَةِ، وَمُسْدِيهَا، **وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا لِلَّهِ**". اهـ طريق الهجرتين (١٥٩).

وَقَالَ أَيْضًا:"أَضافَ النِّعْمَةَ إِلَيْهِ إِذْ هُوَ وَلِيُّهَا، وَمُسْدِيهَا، وَالْمُنْعِمُ بِهَا عَلَيْهِمْ، فَهِيَ نِعْمَتُهُ حَقًّا، وَهُمْ قَابَلُوهَا". اهـ مفتاح دار السعادة (١/ ٣٠٢).

■ وَلَنْ يَكُونَ شُكْرُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ عَظِيمِ فَضْلِهِ، وَرَدِّ النِّعْمَةِ إِلَيْهِ.

فَأَرْكَانُ الشُّكْرِ ثَلَاثَةٌ:

- أَحَدُهَا: الإِقْرَارُ بِالنِّعْمَةِ.
- الثَّانِي: نَسْبَتُهَا إِلَىٰ الْمُنْعِمِ.
- الثَّالِثُ: بَذْلُهَا فِيمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ.

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي الْقَولِ السَّدِيدِ (١٤٠):"الْوَاجِبُ عَلَىٰ الْخَلْقِ إِضَافَةُ النِّعَمِ إِلَىٰ اللهِ قَوْلًا، وَاعْتِرَافًا، **وَبِذَلِكَ يَتِمُّ التَّوْحِيدُ**، فَمَن أَنْكَرَ نِعَمَ اللهِ بِقَلْبِهِ، وَلِسَانِهِ: فَذَلِكَ كَافِرٌ، لَيْسَ مَعَهُ مِنَ الدِّينِ شَيْءٌ.

وَمَن أَقَرَّ بِقَلْبِهِ أَنَّ النِّعَمَ كُلَّهَا مِنَ اللهِ وَحْدَهُ، وَهُوَ بِلِسَانِهِ تَارَةً يُضِيفُهَا إِلَىٰ اللهِ، وَتَارَةً يُضِيفُهَا إِلَىٰ نَفْسِهِ، وَعَمَلِهِ، وَإِلَىٰ سَعْيِ غَيْرِهِ - كَمَا هُوَ جَارٍ عَلَىٰ أَلْسِنَةِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ -.

فَهَذَا يَجِبُ عَلَىٰ الْعَبْدِ أَنْ:

- يَتُوبَ مِنْهُ.
- وَأَنْ لَا يُضِيفَ النِّعَمَ إِلَّا إِلَىٰ مَوْلِيِّهَا.
- وَأَنْ يُجَاهِدَ نَفْسَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ.

وَلَا يَتَحَقَّقُ الْإِيمَانُ، وَالتَّوْحِيدُ إِلَّا بِإِضَافَةِ النِّعَمِ إِلَىٰ اللهِ قَوْلًا، وَاعْتِرَافًا".اهـ

فَهذا بَابٌ واسِعٌ، وكَما أَشارَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَّ كَثيرًا مِنْ خِطَاباتِ النّاسِ في غَيْرِ ذَلِكَ، حَتّىٰ رُبَّما تَجدُها بَينَ بَعضِ طُلّابِ العِلمِ إِذا عُولِجَ مِنْ مَرَضٍ قَالَ: لَوْلا الدُّكتورُ أَعطاني كَذا، أَوْ لَوْلا إِبْرَةُ كَذا، أَوْ لَوْلا حُبُّهُ كَذا.

وَإِذا فَرَّجَ عَنْهُ في أَمْرٍ قَالَ: لَوْلا كَذا.

■ وَالمُتَعَيَّنُ أَن يَكونَ اللهُ هُوَ المَشْهُودَ أَوَّلًا، وَالنِّعْمَةُ مُضافَةٌ إِلَيْهِ ابْتِدائًا، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ لَكَ أَنْ تَقُولَ: ثُمَّ كَذا.

وَلَا يَصْلُحُ عَطْفُهَا بِالْوَاوِ عَلَىٰ مَا يَأْتِي إِنْ شَاءَ اَللهُ.

وَاللهُ المُسْتَعانُ.

١٩

بَيَان مَعْنَى الوَلِي

[١٨٧] ■ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

• دَلَّتْ هذِهِ الآيَةُ بِمَنْطُوقِها، وَمَفْهُومِها أَنَّ الوَلِيَّ هُوَ المُؤْمِنُ التَّقِيُّ، وَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ: (**مَن كَانَ لِلَّهِ تَقِيًّا كَانَ لَهُ وَلِيًّا**).

وَهُوَ الْعَامِلُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَا طَرِيقَ لِنَيْلِ الْوِلَايَةِ إِلَّا عَنْ طَرِيقِ اتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وَقَدْ بَيَّنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ طَرِيقَةَ الوِلَايَةِ وَأَنَّهَا تَنَالُ بِالمُحَافَظَةِ عَلَىٰ الوَاجِبَاتِ وَالتَّزَوُّدِ مِنَ النَّوَافِلِ وَالمُسْتَحَبَّاتِ.

(٨٩) ■ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**» أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

■ وَشَرَحَهُ الإِمَامُ الشَّوكَانِيُّ، وَبَيَّنَ أَنَّ وِلَايَةَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ تَنَالُ:

- بِالمُحَافَظَةِ عَلَىٰ الْفَرَائِضِ.
- وَالاسْتِكْثَارِ مِنَ النَّوَافِلِ.

وَبِهذَا بَلَغَ الصَّحَابَةُ دَرَجَةَ الْوِلَايَةِ، وَقَبْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ.

[١٨٨] ■ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنْ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف:١٩٦].

• فَالآيَةُ صَرِيحَةٌ عَلَىٰ أَنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ الصَّالِحُونَ مَن كَانُوا وَأَيْنَمَا كَانُوا، وَلَمَّا ادَّعَىٰ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ وِلَايَةَ اللهِ وَكَانُوا مُخَالِفِينَ لَهَا رَدَّ عَلَيْهِمْ دَعْوَاهُمْ.

[١٨٩] كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ﴾ [المائدة:١٨].

فَأَوَّلُ أَعْمَالِ أَوْلِيَاءِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ تَحْقِيقُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ السِّتَّةِ، وَهِيَ:

- الإِيمَانُ بِاللهِ.
- وَمَلَائِكَتِهِ.
- وَكُتُبِهِ.
- وَرُسُلِهِ.
- وَالْيَوْمِ الآخِرِ.
- وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

■ وَمِنْ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ:

(٩٠) قَوْلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ لِمَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**». أخرجه البخاري (٨) ومسلم (١٦).

(٩١) ■ وَهَكَذَا مُرَاقَبَةُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حِينَ سُئِلَ عَنْ الإِحْسَانِ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**». أخرجه البخاري (٥٠) عن أبي هريرة، وأخرجه مسلم (٩) عن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فَمَن خَرَجَ عَنْ مَدْلُولِ مَا تَقَدَّمَ فِي طَلَبِ الْوِلَايَةِ، فَهُوَ عَلَىٰ غَيْرِ الْجَادَّةِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي بَيَانِ مَن هُوَ الْوَلِيُّ:"وَلَا بُدَّ فِي الْإِيمَانِ مِنْ أَنْ يُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأَنْ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، مُرْسَلٌ إِلَىٰ جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

▫ **فَكُلُّ: مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِمَا جَاءَ بِهِ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ الْمُتَّقِينَ.**

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِهِ، الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ الْوَسِيطَةُ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، فِي تَبْلِيغِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، فَالْحَلَالُ مَا أَحَلَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَالدِّينُ مَا شَرَعَهُ اللهُ، وَبَلَّغَهُ رَسُولُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ". اهـ الفرقان (١/ ١١).

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

○ "وَإِذَا كَانَ أَوْلِيَاءُ اللهِ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ، فَبِحَسَبِ إِيمَانِ الْعَبْدِ وَتَقْوَاهُ تَكُونُ وِلَايَتُهُ لِلَّهِ تَعَالَىٰ، فَمَنْ كَانَ أَكْمَلَ إِيمَانًا وَتَقْوَىٰ، كَانَ أَكْمَلَ وِلَايَةً لِلَّهِ، فَالنَّاسُ مُتَفَاضِلُونَ فِي وِلَايَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، بِحَسَبِ تَفَاضُلِهِمْ فِي الإِيمَانِ وَالتَّقْوَىٰ، وَكَذَلِكَ يَتَفَاضَلُونَ فِي عَدَاوَةِ اللهِ، بِحَسَبِ تَفَاضُلِهِمْ فِي الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ". اهـ الفرقان (١/ ٨).

فَمِنْ هُنَا تَتَعَلَّمُ أَنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ هُمْ أَهْلُ التَّوْحِيدِ لا أَهْلُ الشِّرْكِ وَالتَّنْدِيدِ، وَأَنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ هُمْ الْعَابِدُونَ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَلَا يَجُوزُ بِحَالٍ أَنْ يَكُونُوا مَعْبُودِينَ، وَحَالُهُمْ.

[١٩٠] كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ [الإسراء:٥٧].

(٩٢) يُبَيِّنُ ذَلِكَ مَا جَاءَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "نَزَلَتْ فِي نَفَرٍ مِنَ الْعَرَبِ كَانُوا يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ، فَأَسْلَمَ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِذَلِكَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ". أخرجه البخاري (٤٧١٤)، مسلم (٣٠٣٠).

■ وَهَكَذَا الْقَوْلُ فِي الْمَلَائِكَةِ، فَوَصَفَهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

[١٩١] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٩].

[١٩٢] وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢﴾ [النساء:١٧٢].

■ فَالْمَلَائِكَةُ وَرُسُلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَالْأَوْلِيَاءُ كُلُّهُمْ عَبِيدٌ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، التَزَمُوا التَّوْحِيدَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُشْرَكَ مَعَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ غَيْرُهُ، لَا مَلَكًا مُقَرَّبًا وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا.

[١٩٣] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ:٤٠-٤١].

(٩٣) ■ وَرَسُولُنَا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنْكَرَ عَلَىٰ مَنْ قَالَ: (مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ)، فقَالَ: «**جَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدْلًا، بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**». أخرجه أحمد (٢٥٦١)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٣)، والطبراني (١٣٠٠٥)، وفي رواية عند أحمد (١٨٣٩): «**أَجَعَلْتَنِي وَاللهَ عَدْلًا بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**».

(٩٤) ■ وَعَنْ مُطَرِّفٍ، قَالَ: قَالَ أَبِي: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «**السَّيِّدُ اللهُ تبارك وتعالىٰ**» قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**» أخرجه أبو داود (٤٨٠٦) عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

■ فَرَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رَسُولٌ فَلَا يُكَذَّبُ، وَعَبْدٌ فَلَا يُعْبَدُ، وَإِذَا كَانَ هَذَا الْقَوْلُ فِيهِ فِي غَيْرِهِ مِمَّنْ يُسَمَّوْنَهُمْ بِالْأَوْلِيَاءِ، فَمِنْ بَابِ الْأَوْلَىٰ فَحَقُّ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لِلَّهِ لَا يُشْرِكُهُ غَيْرُهُ، لَا مَلَكًا مُقَرَّبًا وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا.

■ وَلَا طَرِيقَ لِوِلَايَتِهِ إِلَّا بِتَوْحِيدِهِ وَإِفْرَادِهِ بِمَا يَجِبُ لَهُ مِنْ إِضَافَةِ بَقِيَّةِ الْفَرَائِضِ إِلَىٰ هَذَا الْبَابِ الْعَظِيمِ.

ذَكَرْتُ هَذَا الْبَابَ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ لِمَا يَأْتِي بَيَانُهُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ اتَّخَذُوا مَا يُسَمُّونَهُمْ بِالْأَوْلِيَاءِ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

[١٩٤] كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ﴾ [التوبة:٣١].

وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا غَلَّتْ فِيهِ السَّبْئِيَّةُ، وَأَخْرَجُوهُ عَنْ طَوْرِهِ الْبَشَرِيِّ حَرَّقَهُمْ بِالنَّارِ، وَقَالَ قَوْلَتَهُ الْمَشْهُورَةَ الْمَذْكُورَةَ:

لَمَّا رَأَيْتُ الْأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرًا ... أَجَجْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قَنْبَرًا

(٩٥) وَأَقَرَّهُ ابنُ العَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا علىٰ قَتْلِهم، وَإِنَّما أَنْكَرَ تَحْرِيقَهُم بالنار، فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحَرِّقْهُمْ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللهِ**»، وَلَقَتَلْتُهُمْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**». أخرجه البخاري (٣٠١٧).

■ فَهَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ أَصْحَابَ الْوِلَايَةِ حَقًّا لَا يَرْضَوْنَ فِي أَنفُسِهِمْ، وَلَا لِغَيْرِهِمْ الْغُلُوَّ وَالْمُجَاوَزَةَ، إِذْ أَنَّهُمْ لَوْ رَضُوا ذَلِكَ خَرَجُوا مِنَ الْوِلَايَةِ إِلَىٰ الْعَدَاوَةِ.

■ فَأَوْلِيَاءُ اللهِ: (**الْمُتَّقُونَ**).

○ وَ(الْمُتَّقِي) هُوَ: فَاعِلُ الْمَأْمُورِ، وَتَارِكُ الْمَحْظُورِ، وَالصَّابِرُ عَلَىٰ الْمَقْدُورِ.

○ وَهُوَ الْمُتَابِعُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْمُخْلِصُ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

○ وَهُوَ السَّالِكُ السَّائِرُ عَلَىٰ مَنْهَجِ السَّلَفِ الْكِرَامِ، وَالْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ فِي التَّوْحِيدِ، وَغَيْرِهِ مِنْ أَبْوَابِ الدِّينِ، هُدًىٰ بَيْنَ ضَلَالَتَيْنِ، وَحَقًّا بَيْنَ بَاطِلَيْنِ، وَنُورًا بَيْنَ ظُلْمَتَيْنِ.

[١٩٥] وَحَالُهُمْ كما قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ٦٦﴾ [النحل:٦٦].

فَأَسْأَلُ اللهَ الَّذِي يَتَوَلَّىٰ الصَّالِحِينَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ وِلَايَتِهِ الْمُسْتَقِيمِينَ عَلَىٰ شَرِيعَتِهِ، وَالْمُتَابِعِينَ لِرَسُولِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

٢٠

حُسْنُ الرَّجَاء

■ مِنْ أَفْضَلِ وَأَزْكَىٰ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ (حُسْنُ رَجَائِهِمْ فِي رَبِّهِمْ عَزَّوَجَلَّ)، إِذْ هُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ وَمِنْ أَسْمَائِهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَلِذَلِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ فَيَتُوبُونَ وَيَرْجِعُونَ.

[١٩٦] ■ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر:٥٣].

[١٩٧] ■ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: إِنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ قَتَلُوا فَأَكْثَرُوا وَزَنُوا، فَأَكْثَرُوا ثُمَّ أَتَوْا مُحَمَّدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالُوا: «**إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو لَحَسَنٍ وَلَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً**.

[١٩٨] ■ فَنَزَلَ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ [الفرقان:٦٨]، ونزل: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٣]» أخرجه مسلم (١٩٣).

(٩٦) ■ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنِطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ**» أخرجه البخاري(٦٤٤٩)، أخرجه مسلم (٢٧٥٥).

• قَالَ الْحَافِظُ: "اشْتَمَلَ عَلَىٰ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ الْمُقْتَضِيَيْنِ لِلرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ، فَمَن عَلِمَ أَنَّ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ الرَّحْمَةَ لِمَن أَرَادَ أَنْ يَرْحَمَهُ وَالانْتِقَامَ لِمَن أَرَادَ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْهُ، لَا يَأْمَنُ انْتِقَامَهُ مَنْ يَرْجُو رَحْمَتَهُ، وَلَا يَيْأَسُ مِنْ رَحْمَتِهِ مَنْ يَخَافُ انْتِقَامَهُ، وَذَلِكَ بَاعِثٌ عَلَىٰ مُجَانَبَةِ السَّيِّئَةِ، وَلَوْ كَانَتْ صَغِيرَةً، وَمُلَازَمَةِ الطَّاعَةِ وَلَوْ كَانَتْ قَلِيلَةً". اهـ فتح الباري (١١/ ٣٠٢).

■ **وَالْمُتَأَمِّلُ لِلْأَدِلَّةِ يَجِدُ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ الطَّيِّبَ مِنْ ذَلِكَ:**

- أَنَّهُ تَابَ عَلَىٰ قَوْمٍ يُونُسَ حِينَ تَابُوا.
- وَتَابَ عَلَىٰ مَنْ قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ حِينَ جَاءَ تَائِبًا.
- وَغَفَرَ لِبَغِيٍّ فِي سُقْيَا كَلْبٍ.
- وَأَدْخَلَ رَجُلًا الْجَنَّةَ فِي غُصْنِ شَوْكٍ أَزَالَهُ مِنْ طَرِيقِ النَّاسِ.

[١٩٩] ■ وَمِنْ رَحْمَتِهِ شَرَعَ التَّوْبَةَ، وَقَبِلَهَا مِنْ عَبْدِهِ وَيُبَدِّلُ؛ لِعَظِيمِ كَرَمِهِ سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف:٥٦].

■ فَلَا يَيْأَسُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ رُوحِ اللهِ أَبَدًا، فَإِنَّ انْتِظَارَ الْفَرَجِ مَعَ رَجَاءِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَاتِ، فَإِنَّهَا تَحْمِلُكَ عَلَىٰ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ.

(٩٧) ■ وَاللهُ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**». أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَمَهْمَا طَالَتِ الشِّدَّةُ بِإِذْنِ اللهِ سَتَنْجَلِي مَرِضَ أَيُّوبُ ثَمَانِيَ عَشَرَ سَنَةً، وَشُفِيَ، وَغَابَ يُوسُفُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَجُمِعَ مَعَ أَبِيهِ وَإِخْوَتِهِ بَعْدَهَا.

■ فَيَدْخُلُ الرَّجَاءُ فِي بَابِ التَّوْحِيدِ:

- مِنْ جِهَةٍ أَنَّ اللهَ يُعْبَدُ بِالرَّجَاءِ.
- وَيَدْخُلُ مِنْ جِهَةِ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ .

• لِمَا عُلِمَ مِنْ عَظِيمِ صِفَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ إِحْسَانِهِ، وَعَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، وَكَرَمِهِ، وَجُودِهِ، وَلُطْفِهِ، وَرَحْمَتِهِ، وَرَأْفَتِهِ، وَحِلْمِهِ.

[٢٠٠] ■ وَلَوْلَا أَنَّ اللهَ جَعَلَ الرَّجَاءَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لَذَابَتْ أَجْسَادُهُمْ مِنْ خَوْفِ اللهِ، وَلَضَاقَ حَالُهُمْ مِنْ هَمِّ الْحَيَاةِ؛ وَلَكِنَّهُمْ بِاللهِ وَمَعَ اللهِ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١﴾ [غافر:٥١].

[٢٠١] ■ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَأْلُونَ فِي مُلَازَمَةِ الطَّاعَةِ، وَالتَّوْبَةِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢﴾ [طه:٨٢].

(٩٨) وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**».

أخرجه الترمذي (٣٥٤٠).

وَفِي سَنَدِهِ (**كَثِيرُ بْنُ فَايِدَ الْبَصْرِيِّ**) لَمْ يُوَثِّقْهُ مُعْتَبَرٌ؛ لَكِنَّ الْحَدِيثَ فِي الشَّوَاهِدِ.

(٩٩) ■ وَيَشْهَدُ لَهُ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مُسْلِم (٢٦٨٧) وَلَفْظُهُ: «**وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً**».

■ وَالرَّجَاءُ يَسْتَلْزِمُ: (**الْخَوْفَ**)؛ وَلَوْلَا ذَلِكَ كَانَ أَمْنًا مِنْ مَكْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

■ وَالْخَوْفُ يَسْتَلْزِمُ: (**الرَّجَاءَ**)، وَلَوْلَا ذَلِكَ كَانَ يَأْسًا، وَقُنُوطًا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

٢١

التَّوَسُّلُ الْمَشْرُوعُ

[٢٠٢] ■ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء:٥٧].

[٢٠٣] ■ وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المائدة:٣٥].

قَالَ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

○ "وَ(**الوَسِيلَةُ**): هِيَ الَّتِي يَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَىٰ تَحْصِيلِ الْمَقْصُودِ".

○ وَهِيَ: عَلَمٌ عَلَىٰ أَعْلَىٰ مَنْزِلَةٍ فِي الْجَنَّةِ.

○ وَهِيَ: مَنْزِلَةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَارُهُ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ أَقْرَبُ أَمَاكِنِ الْجَنَّةِ إِلَىٰ الْعَرْشِ. اهـ التفسير (٣/ ١٠٣).

■ وَالتَّوَسُّلُ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مِمَّا يُقَرِّبُ إِلَيْهِ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ مِنَ الْعَبْدِ، فَيَصِلُ إِلَىٰ قُرْبِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِالإِخْلَاصِ لَهُ، وَالْمُتَابَعَةِ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَفِي بَابِ دُعَاءِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ يَكُونُ التَّوَسُّلُ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِأُمُورٍ:

- أَوَّلًا: بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

[٢٠٤] قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠].

• قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ "وَهَذَا شَامِلٌ لِدُعَاءِ الْعِبَادَةِ، وَدُعَاءِ الْمَسْأَلَةِ، **فَيُدْعَىٰ فِي كُلِّ مَطْلُوبٍ بِمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ الْمَطْلُوبَ**".اهـ في التفسيره (٣٠٩).

فَإِذَا أَرَدْتَ الرَّحْمَةَ تَقُولُ: "يَا رَحْمَنُ ارْحَمْنِي"، وَإِذَا أَرَدْتَ الرِّزْقَ تَقُولُ: "يَا رَزَّاقُ ارْزُقْنِي"، وَهَكَذَا.

- ثَانِيًا: التَّوَسُّلُ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِعَمَلٍ صَالِحٍ قَامَ بِهِ الدَّاعِي.

[٢٠٥] كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنْ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران:٥٣].

[٢٠٦] وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [آل عمران:١٩٣].

(١٠٠) وَفِي السُّنَّةِ مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قِصَّةِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ آوَاهُمْ الْمَبِيتُ إِلَىٰ الْغَارِ، وَسُدَّ عَلَيْهِمْ بَابُ الْغَارِ، فَقَالُوا: «**إِنَّهُ لَنْ يُخَلِّصَكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ عَزَّوَجَلَّ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ**» الْحَدِيثُ.

أخرجه البخاري(٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣).

• قَالَ ابْنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي اِقْتِضَاءِ اَلصِّرَاطِ اَلْمُسْتَقِيمِ (٢/ ٣١٢): "أَمَّا التَّوَسُّلُ وَالتَّوَجُّهُ إِلَىٰ اللهِ، وَسُؤَالُهُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا، كَدُعَاءِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ آوَوْا إِلَىٰ الْغَارِ بِأَعْمَالِهِمْ الصَّالِحَةِ، وَبِدُعَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَشَفَاعَتِهِمْ، **فَهَذَا مِمَّا لَا نِزَاعَ فِيهِ**". اهـ

- ثَالِثًا: التَّوَسُّلُ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِدُعَاءِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ الْحَيِّ.

[٢٠٧] قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مُخْبِرًا عَنْ إِخْوَةِ يُوسُفَ: عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾ [يوسف:٩٧].

وَهُوَ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرٌ مُبَارَكٌ، يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدُّعَاءَ، وَيَدْعُو لَهُمْ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ.

(١٠١) فَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانُوا إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَوْا بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا**».

فَقَالَ: «**فَيُسْقَوْنَ**».

❖ فَالتَّوَسُّلُ هُنَا بِدُعَاءِ العَبَّاسِ لا بِذَاتِهِ، وَلَوْ كَانَ التَّوَسُّلُ بِالذَّاتِ لَتَوَسَّلُوا بِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ التَّوَسُّلِ مِمَّا لا نِزَاعَ فِيهِ، كَمَا ذَكَرَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

• أَيْ: التَّوَسُّلُ بِدُعَاءِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ.

فَمَنْ أَرَادَ الوُصُولَ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَلْيَسْلُكْ هَذِهِ المَسَالِكَ الشَّرْعِيَّةَ الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهَا أَدِلَّةُ الكِتَابِ، وَسُنَّةِ خَيْرِ البَرِيَّةِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلِذَلِكَ حِينَ يَضِيقُ بِالنَّاسِ الحَالُ يَوْمَ القِيَامَةِ يَأْتُونَ الأَنْبِيَاءَ يَسْأَلُونَهُمُ الشَّفَاعَةَ عِنْدَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ كَمَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي أَحَادِيثِ الشَّفَاعَةِ.

❖ فَيَكُونُ التَّوَسُّلُ بِطَلَبِ دُعَائِهِمْ للهِ بِالْفَرَحِ لا بِذَوَاتِهِمْ وَحَقِّهِمْ عَلَىٰ مَا يَأْتِي تَقْرِيرُهُ.

■ فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُتَوَسَّلُ إِلَيْهِ بِفِعْلِ العَبْدِ نَفْسِهِ لا بِفِعْلِ غَيْرِهِ.

فَإِذَا فَهِمْتَ هَذَا زَالَتْ عَنْكَ غِشَاوَةُ الضَّلَالِ فِي هَذَا البابِ العَظِيمِ الَّذِي هُوَ مِن أَهَمِّ أَبْوَابِ الدِّينِ، وَلِمَا كَانَ مِنَ الأَهَمِّيَّةِ بِمَكَانٍ كَانَتْ مُخَالَفَةُ المُخَالِفِينَ فِيهِ ظَاهِرَةً.

وَاللهُ المُسْتَعَانُ.

٢٢

الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ

[٢٠٨] ■ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [آل عمران:٢٠٠].

[٢٠٩] ■ وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة:١٥٦-١٥٧].

[٢١٠] ■ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [آل عمران:١٨٦].

[٢١١] ■ وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾ [الرعد:٢٤].

[٢١٢] ■ وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [المؤمنون:١١١].

[٢١٣] وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي ذِكْرِ وَصَايَا لُقْمَانَ: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان:١٧].

[٢١٤] ■ وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ٥﴾ [المعارج:٥].

[٢١٥] ■ وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر:١-٣].

[٢١٦] ■ وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ [التغابن:١١].

• قَالَ الطَّبَرِيُّ: قَالَ عَلْقَمَةُ: "هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَيُسَلِّمُ ذَلِكَ وَيَرْضَىٰ". اهـ تفسيره (٢٣/ ٤٢١).

• وَقَالَ الْبَغَوِيُّ: ﴿يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾ يُوَفِّقْهُ لِلْيَقِينِ حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، فَيُسَلِّمُ لِقَضَائِهِ". اهـ في تفسيره (٥/ ١٠٤).

وَهٰذَا بَابٌ يَطُولُ ذِكْرُ أَدِلَّتِهِ مِنَ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ، كَمَا حَثَّ وَرَغَّبَ فِي الصَّبْرِ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَالصَّبْرِ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ أَقْدَارِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

(١٠٢) ■ وَعَنْ صُهَيبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ**». أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

(١٠٣) ■ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**». أخرجه بالبخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

■ وَوَجْهُ إِدْخَالِ الصَّبْرِ فِي التَّوْحِيدِ: أَنَّهُ إِقْرَارٌ بِالرُّبُوبِيَّةِ؛ لِأَنَّ الأَمْرَ مِنَ اللهِ أَمْرًا أَوْ نَهْيًا، وَفِعْلًا أَوْ تَرْكًا، وَالتَّعَبُّدَ بِالصَّبْرِ دَاخِلٌ فِي الأُلُوهِيَّةِ، وَهُوَ فِعْلُ خُلَّصِ الْمُوَحِّدِينَ.

[٢١٧] قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْ أَيُّوبَ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص: ٤٤].

■ وَقَدْ نَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ السَّبْقَ فِي هٰذَا الْبَابِ لِمَا كَانَ أَخْلَصَ الْمُوَحِّدِينَ، وَأَلْزَمَهُمْ لِطَاعَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَصَبَرَ عَلَىٰ أَقْوَالِ وَأَفْعَالِ الْمُخَالِفِينَ، كَمَا صَبَرَ عَلَىٰ فِعْلِ الْمَأْمُورِ، وَتَرْكِ الْمَحْظُورِ، وَصَبَرَ عَلَىٰ الْمَقْدُورِ.

■ فَمِنْ وَاجِبَاتِ التَّوْحِيدِ: تَحْقِيقُ الصَّبْرِ سَوَاءٌ عَلَىٰ الْأَقْدَارِ أَوْ غَيْرِهَا، وَلِذَلِكَ جَعَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ جَزَاءَ الصَّابِرِينَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

[٢١٨] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠].

(١٠٤) ■ وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ**». أخرجه مسلم (٢٢٣) عن أبي مالك الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(١٠٥) ■ وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**». أخرجه الترمذي (٢٣٩٦) عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي مَدَارِجِ السَّالِكِينَ (٢/ ١٥٦-١٥٧):

(فَصْلٌ أَنْوَاعُ الصَّبْرِ) وَهُوَ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ: **صَبْرٌ بِاللهِ، وَصَبْرٌ لِلَّهِ، وَصَبْرٌ مَعَ اللهِ.**

- **فَالْأَوَّلُ**: صَبْرُ الِاسْتِعَانَةِ بِهِ، وَرُؤْيَتُهُ أَنَّهُ هُوَ الْمُصَبِّرُ، وَأَنَّ صَبْرَ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ لَا بِنَفْسِهِ.

[٢١٩] كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل:١٢٧].

- يَعْنِي: إِنْ لَمْ يُصَبِّرْكَ هُوَ لَمْ تَصْبِرْ.

- **وَالثَّانِي**: الصَّبْرُ لِلَّهِ.

- وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْبَاعِثُ لَهُ عَلَىٰ الصَّبْرِ مَحَبَّةَ اللهِ، وَإِرَادَةَ وَجْهِهِ، وَالتَّقَرُّبَ إِلَيْهِ؛ لَا لِإِظْهَارِهِ قُوَّةَ النَّفْسِ، وَالِاسْتِحْمَادَ إِلَىٰ الْخَلْقِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَغْرَاضِ.

- **وَالثَّالِثُ**: الصَّبْرُ مَعَ اللهِ.

- وَهُوَ دَوَرَانُ الْعَبْدِ مَعَ مُرَادِ اللهِ الدِّينِيِّ مِنْهُ، وَمَعَ أَحْكَامِهِ الدِّينِيَّةِ صَابِرًا نَفْسَهُ مَعَهَا، سَائِرًا بِسَيْرِهَا، مُقِيمًا بِإِقَامَتِهَا، يَتَوَجَّهُ مَعَهَا أَيْنَ تَوَجَّهَتْ رَكَائِبُهَا، وَيَنْزِلُ مَعَهَا أَيْنَ اسْتَقَلَّتْ مَضَارِبُهَا، فَهَذَا مَعْنَىٰ كَوْنِهِ صَابِرًا مَعَ اللهِ، وَهُوَ أَشَدُّ أَنْوَاعِ الصَّبْرِ وَأَصْعَبِهَا، وَهُوَ صَبْرُ الصِّدِّيقِينَ". اهـ

٢٣

التَعْبِيد لله عَزَّوَجَلَّ

[٢٢٠] ■ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الجن:١٩].

[٢٢١] ■ وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٩-١٩٠].

• قَالَ ابْنُ كَيسَانَ: " هُمُ الْكُفَّارُ سَمَّوْا أَوْلَادَهُمْ عَبْدَ الْعُزَّىٰ، وَعَبْدَ اللَّاتِ، وَعَبْدَ مَنَاةَ، وَنَحْوَهُ ". اهـ تفسير البغوي (٣/ ٣١٤).

❖ وَقَدْ غَلِطَ مَنْ نَزَّلَ الآيَةَ عَلَىٰ آدَمَ وَحَوَّاءَ عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ.

(١٠٦) ■ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بِنْ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَىٰ اللهِ عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ**». أخرجه مسلم (٢١٣٢).

(١٠٧) ■ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَخْنَعُ الْأَسْمَاءِ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّىٰ بِمَلِكِ الْأَمْلَاكِ**». أخرجه البخاري (٦٢٠٦)، ومسلم (٢١٤٣).

• تَفْسِيرُهَا: شَاهِ شَاهِ.

قَالَ الحافظُ:"وَاسْتَدَلَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَىٰ تَحْرِيمِ التَّسَمِّي بِهَذَا الِاسْمِ لِوُرُودِ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ.

وَيَلْتَحِقُ بِهِ مَا فِي مَعْنَاهُ مِثْلُ: خَالِقِ الْخَلْقِ، وَأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ، وَسُلْطَانِ السَّلَاطِينِ، وَأَمِيرِ الْأُمَرَاءِ.

وَقِيلَ: يَلْتَحِقُ بِهِ أَيْضًا مَنْ تَسَمَّىٰ بِشَيْءٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْخَاصَّةِ بِهِ، كَالرَّحْمَنِ، وَالْقُدُّوسِ، وَالْجَبَّارِ". اهـ فتح الباري (١٠/ ٥٩٠).

■ وَمِمَّا يَدْخُلُ فِي هَذَا الْبَابِ، وَهُوَ الْمُرَادُ التَّحْذِيرُ مِنْهُ: **التَّعْبِيدُ لِغَيْرِ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ.

كَعَبْدِ النَّبِيِّ، وَعَبْدِ الْحُسَيْنِ، وَعَبْدِ الرَّسُولِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ التَّعْبِيدَاتِ، فَلَا يَجُوزُ فِي التَّسْمِيَةِ التَّعْبِيدُ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ فِي تُحْفَةِ الْمَولُودِ (ص: ١١٣): "قَالَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اتَّفَقُوا عَلَىٰ تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ.

كَـ(عَبْدِ الْعُزَّىٰ).

وَ(عَبْدِ هُبَلٍ).

وَ(عَبْدِ عَمْرٍو).

وَ(عَبْدِ الْكَعْبَةِ).

وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، حَاشَا (عَبْدَ الْمُطَّلِبِ)" اهـ.

❖ وَالصَّحِيحُ: أَنَّ (عَبْدَ الْمُطَّلِبِ) فِي حَقِّ جَدِّ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ تَعْبِيدًا لِغَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَإِنَّمَا قَدِمَ (الْمُطَّلِبُ) مَكَّةَ، وَكَانَ فِي صُحْبَتِهِ شَيْبَةُ الْحَمْدِ جَدُّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَلَمَّا رَآهُ النَّاسُ قَالُوا: (عَبْدُ الْمُطَّلِبِ)، كَمَا هُوَ حَالُ النَّاسِ إِذَا أَضَافُوا الْمَوْلَىٰ إِلَىٰ سَيِّدِهِ.

وَأَمَّا مَا ذُكِرَ مِنْ تَسْمِيَةِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ بِـ(عَبْدِ الْمُطَّلِبِ)، فَهُوَ تَصْحِيفٌ، وَإِنَّمَا كَانَ اسْمُهُ (الْمُطَّلِبَ).

٢٤

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾.

مِنْ تَوْحِيدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: (**الإِيمَانُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ**).

وَهَذِهِ الآيَةُ مِنْ مُهِمَّاتِ الآيِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ الْمُرَادُ مِنْهَا لَفْظًا وَمَعْنًىٰ وَأَنْ تُحَقَّقَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

لِأَنَّ الْمُخَالِفِينَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي هَذَا الْبَابِ كُثُرٌ - لَا كَثَّرَهُمُ اللهُ- وَهِيَ عُمْدَةٌ فِي بَابِ مَا يُثْبَتُ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، إِذْ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُعْرَفُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ كَمَا يُعْرَفُ بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ.

[٢٢٢] ■ فَيَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

• أَيْ: أَنَّهُ يُسَمَّىٰ بِأَسْمَاءٍ كُلُّهَا حُسْنَىٰ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُسَمَّىٰ بِمَا سِوَىٰ ذَلِكَ.

وَالْأَسْمَاءُ مِنْ حَيْثُ هِيَ تَنْقَسِمُ إِلَىٰ أَقْسَامٍ:

- الأَوَّل: أَسْمَاءُ مَدْحٍ وَكَمَالٍ لَا نَقْصَ فِيهَا بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، كَالْعَلِيمِ، وَالسَّمِيعِ، وَالْبَصِيرِ، فَهَذِهِ تُثْبَتُ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

- الثَّانِي: أَسْمَاءُ نَقْصٍ لَا كَمَالَ فِيهَا بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، كَالْأَصَمِّ، وَالْأَعْمَىٰ، وَالْأَبْكَمِ، فَهَذِهِ تُنْفَىٰ عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

- الثَّالِث: أَسْمَاءُ كَمَالٍ وَمَدْحٍ مِنْ وَجْهٍ، وَنَقْصٍ مِنْ وَجْهٍ كَالْمَكْرِ، وَالْكَيْدِ، وَالْخِدَاعِ، وَنَحْوِهَا.

■ فَهَذِهِ تُثْبَتُ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي حَالِ كَمَالِهَا، وَتُنْفَىٰ عَنْ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي حَالِ نَقْصِهَا، فَيُكِيدُ بِالْكَائِدِينَ، وَيَمْكُرُ بِالْمَاكِرِينَ، وَيَسْتَهْزِئُ بِالْمُسْتَهْزِئِينَ.

وَكَانَتْ أَسْمَاءُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ حُسْنَىٰ لأُمُورٍ:

- أَوَّلُهَا: أَنَّهَا أَسْمَاءُ مَدْحٍ وَثَنَاءٍ بِذَاتِهَا.
- ثَانِيهَا: أَنَّهَا أَسْمَاءُ دَالَّةٌ عَلَىٰ الْكَمَالِ.
- ثَالِثُهَا: أَنَّ كُلَّ اسْمٍ يَتَضَمَّنُ صِفَةً.
- رَابِعُهَا: أَنَّهَا مَذْكُورَةٌ فِي كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.
- خَامِسُهَا: أَنَّ اللهَ يُدْعَىٰ بِهَا، وَالتَّوَسُّلُ بِهَا مِنْ أَسْبَابِ اسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ.
- سَادِسُهَا: أَنَّ شَرَفَهَا بِشَرَفِ الْمُسَمَّىٰ بِهَا، وَهُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.
- سَابِعُهَا: أَنَّهَا غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ؛ بَلْ هِيَ أَسْمَاءٌ سَمَّىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهَا نَفْسَهُ، وَسَمَّاهُ بِهَا رَسُولُهُ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِمَا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيْهِ.

■ وَ(**الْحُسْنَىٰ**) تَأْنِيثُ الْأَحْسَنِ كَالْكُبْرَىٰ وَالصُّغْرَىٰ، كَمَا قَرَّرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ.

❖ وَالتَّأْنِيثُ عَائِدٌ إِلَىٰ الْجَمَاعَةِ لَا إِلَىٰ أَسْمَاءِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، تَعَالَىٰ اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَيَشْتَرِطُ فِي الاسْمِ حَتَّىٰ يُطْلَقَ عَلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ:

أَنْ يَدُلَّ عَلَىٰ:

- الذَّاتِ.
- وَالصِّفَةِ.

مَعَ مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهَا فِي وُرُودِهَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

■ إِذْ لَا مَجَالَ لِلْعَقْلِ فِي إِثْبَاتِ مَا يَجِبُ، وَمَا يَجُوزُ، وَمَا يَمْتَنِعُ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، مَعَ أَنَّ الْعَقْلَ يَدُلُّ عَلَىٰ إِثْبَاتِ الْكَمَالِ الْمُطْلَقِ؛ لَكِن لَا نَعْلَمُ تَفَاصِيلَ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ وَصِفَاتِهِ الْعُلَىٰ إِلَّا بِمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

▫ **وَنُثْبِتُ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَانِي الْعَظِيمَةِ الْجَلِيلَةِ بِالدَّلَالَاتِ الثَّلَاثِ:**

١- بِـ(الْمُطَابَقَةِ)، وَهِيَ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَىٰ جَمِيعِ الْمَعْنَىٰ.

٢- وَبِـ(التَّضَمُّنِ)، وَهِيَ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَىٰ بَعْضِ الْمَعْنَىٰ.

٣- وَبِـ(الالْتِزَامِ)، وَهُوَ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَىٰ مَعْنًىٰ خَارِجٍ عَنْهُ.

• مِثَالُهُ: لَفْظُ الْجَلَالَةِ (اللهُ):

- يَدُلُّ عَلَىٰ الذَّاتِ الْعُلِيَّةِ.
- وَعَلَىٰ الاسْمِ بِالْمُطَابَقَةِ.
- وَيَدُلُّ عَلَىٰ صِفَةِ الْأُلُوهِيَّةِ.
- وَعَلَىٰ اسْمِ الذَّاتِ الْعُلِيَّةِ بِالتَّضَمُّنِ.

وَيَدُلُّ عَلَىٰ إِثْبَاتِ الْكَلَامِ، وَالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَالْقُدْرَةِ، وَالإِرَادَةِ بِالالْتِزَامِ؛ لِأَنَّ الإِلَهَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَادِرًا سَمِيعًا بَصِيرًا مُرِيدًا مُتَكَلِّمًا إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ.

▫ **وَأَسْمَاءُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ غَيْرُ دَاخِلَةٍ تَحْتَ حَصْرٍ مَعْلُومٍ لَنَا.**

[٢٢٣] لِلْإِطْلَاقِ الَّذِي جَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠].

(١٠٨) وَلِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍرَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عِنْدَ الْحَاكِمِ وَغَيْرِهِ: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَجَلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي**». أخرجه أحمد (٣٧١٢)، وابن حبان في صحيحه (٩٧٢)، والحاكم (١٩٢٩).

(١٠٩) ❖ وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**». أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).

فَلَيْسَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّهَا مَحْصُورَةٌ بِـ(تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ) كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ حُزْمٍ، وَظَاهِرُ كَلَامِ ابْنِ كَجٍّ؛ وَلَكِنَّ مَعْنَاهُ كَقَوْلِ الْعَرَبِ: عِنْدِي مِئَةُ دِينَارٍ أَعْدَدْتُهَا لِلصَّدَقَةِ، وَلَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ.

■ وَبَابُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ يَنْبَغِي أَنْ يُشَاعَ وَيُذَاعَ فِي الْمَجَالِسِ وَالْمُحَاضَرَاتِ وَالْخُطَبِ لِحَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ، **وَمَنْ مَنَعَ ذَلِكَ فَقَوْلُهُ مَرْدُودٌ**.

وَقَدْ ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُٱللَّهُ فِي كِتَابِهِ "التِّسْعِينِيَّةِ" قَرِيبًا مِنْ ثَمَانِيَ عَشَرَ وَجْهًا يَرُدُّ بِهِ عَلَىٰ مَنْعِ ذَلِكَ حِينَ أَلْزَمُوهُ بِعَدَمِ التَّحَدُّثِ فِي هَذَا الْبَابِ.

■ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُدْعَىٰ اللهُ بِغَيْرِ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ.

كَأَسْمَاءِ الْأَخْبَارِ، فَلَا تَقُلْ: يَا الْمُتَكَلِّمُ، أَوْ يَا الشَّائِي، أَوْ يَا الْمُرِيدُ، وَإِنَّمَا تَدْعُو اللهَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ: يَا اللهُ، يَا رَحْمَنُ، يَا رَحِيمُ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ.

■ وَيُنَاسِبُ أَنْ تَدْعُو مَعَ كُلِّ طَلَبٍ بِمَا يُنَاسِبُهُ.

فَإِذَا طَلَبْتَ الرِّزْقَ تَوَسَّلْتَ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِاسْمِ الرَّزَّاقِ وَهَكَذَا.

■ وَأَسْمَاءُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مُتَفَاضِلَةٌ عَلَىٰ الْقَوْلِ الصَّحِيحِ؛ لِوُرُودِ الْأَدِلَّةِ بِتَفَاضُلِ الْقُرْآنِ.

(١١٠) وَالنَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّىٰ: «**لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ**»، فَذَهَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لِيَخْرُجَ فَذَكَرْتُ لَهُ، وَقَالَ: «**هِيَ: الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ السَّبْعُ المَثَانِي**» أخرجه البخاري (٤٦٤٧).

(١١١) وَقَالَ لِأَبِي بنِ كَعْبٍ: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: « **يا أَبَا الْمُنْذَرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**» قَالَ: قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «**وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ**» أخرجه مسلم (٨١٠).

■ وَهَكَذَا قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [الإخلاص:١].

(١١٢) قَالَ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**احْشُدُوا، فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»، فَحَشَدَ مِنْ حَشْدٍ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فَقَرَأَ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، ثُمَّ دَخَلَ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: إِنِّي أَرَىٰ هذَا خَبَرًا جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ، فَذَاكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**». أخرجه مسلم(٨١٢)عن أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

فَإِذَا كَانَ القُرْآنُ مُتَفَاضِلًا دَلَّ عَلَىٰ أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَصِفَاتِهِ مُتَفَاضِلَةٌ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ التَّفَاضُلِ وُرُودُ الاسْمِ الْأَعْظَمِ.

(١١٣) وَفِي حَدِيثِ بَرِيدَةَ، وَجَاءَ عَنْ غَيْرِهِ بِمَعْنَاهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا مَنَّانُ يَا بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ**». أخرجه الترمذي(٣٥٤٤)، وجاء عند أحمد (١٣٧٩٨) واللفظ لأحمد.

■ وَاسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ عَلَىٰ الصَّحِيحِ مِنْ أَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ هُوَ (اللهُ)، وَذَهَبَ جُمْعٌ إِلَىٰ أَنَّهُ (الْحَيُّ الْقَيُّومُ)، وَقَدْ وَرَدَ فِي ثَلَاثِ سُوَرٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وَجَاءَتْ فِيهِ أَحَادِيثُ ضَعِيفَةٌ.

(١١٤) ❖ وَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي فِيهِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ**»أخرجه أحمد (٢٢٩٥٢)، أَوْ الْحَدِيثِ الَّذِي فِيهِ: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ**»أخرجه أبو داود (١٤٩٥) عن أنس، وجاء عند أحمد وغيرهما؛ إِنَّمَا دَلَّ عَلَىٰ اسْتِجَابَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لِلدُّعَاءِ بِهَذَا الاسْمِ.

(١١٥) فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلِظُّوا بِيَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**».أخرجه الترمذي (٣٥٢٤) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١١٦) وَكَانَ فِي كَثِيرٍ مِنْ دُعَائِهِ يَقُولُ: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ**» أخرجه أحمد (١٢٦١١) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

■ وَلَا يَجُوزُ دُعَاءُ الصِّفَةِ فَلَا تَقُلْ: (يَا سَمْعَ اللهِ) (يَا بَصَرَ اللهِ) أَوْ (يَا وَجْهَ اللهِ) أَوْ (يَا يَدَ اللهِ)، بَلْ يُدْعَىٰ اللهُ سُبْحَانَهُ الْمُسَمَّىٰ بِالْأَسْمَاءِ وَالْمَوْصُوفَ بِالصِّفَاتِ.

❖ وَمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ: «**بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ**»أخرجه الترمذي (٣٥٢٤)، فَالَّذِي عِنْدِي أَنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةَ شَاذَّةٌ لَا تَثْبُتُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَعَلَىٰ ثُبُوتِهَا فَقَدْ قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: بِأَنَّهَا تَوَسُّلٌ بِرَحْمَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لاَ أَنَّهُ دَعَاهَا.

■ **وَأَسْمَاءُ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ **وَصِفَاتُهُ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ**.

بَلْ إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ هُوَ الَّذِي سَمَّىٰ نَفْسَهُ بِأَسْمَاءٍ، وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِصِفَاتٍ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ، **فَقَدْ كَفَرَ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ قَاطِبَةً**، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِهَذَا الْأَمْرِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالضَّلَالِ الْمُخَالِفِينَ الْمُنْحَرِفِينَ فِي هَذَا الْبَابِ.

■ وَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: الدُّعَاءَ بِأَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ.

■ وَيَدْخُلُ فِيهَا الْأَسْمَاءُ الْمُرَكَّبَةُ:

- كَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.
- وَرَبِّ الْعَالَمِينَ.
- وَجَامِعِ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ.

وَنَقَلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الإِجْمَاعَ عَلَىٰ دُعَاءِ اللهِ بِالْأَسْمَاءِ الْمُرَكَّبَةِ، وَهُنَاكَ قَوَاعِدٌ كَثِيرَةٌ لِهَذَا الْبَابِ قَدْ ضَمَّنْتُهَا كِتَابِي: **"الْقَوَاعِدُ الْحِسَانِ فِي أَسْمَاءِ وَصِفَاتِ الرَّحْمَنِ"**.

وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

٢٥

وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ

[٢٢٤] ■ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر:٦٧].

(١١٧) • وَعَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ:

يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ.

وَالْأَرْضَيْنِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ.

وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ.

وَالْمَاءَ وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ.

وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ.

فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧]. أخرجه البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَقَدْ ذَمَّ اللهُ تَعَالَىٰ مَن لَمْ يَقْدِرْهُ حَقَّ قَدْرِهِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ:

[٢٢٥] -أَحَدُهَا: قَوْلُهُ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١].

[٢٢٦] -الثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝٧٣ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٧٤﴾ [الحج: ٧٣-٧٤].

[٢٢٧] / [٢] - الثَّالِثُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧].

فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَمْ يَقْدِرْهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَن أَنْكَرَ إِرْسَالَهُ لِلرُّسُلِ، وَإِنْزَالَ كُتُبِهِ عَلَيْهِمْ.

وَهَذِهِ حَقِيقَةُ قَوْلِ مَن قَالَ: إِنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ، وَلَمْ يَنْزِلْ لَهُ إِلَىٰ الْأَرْضِ كَلَامٌ، وَلَا كَلَّمَ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا إِنْكَارٌ لِكَمَالِ رُبُوبِيَّتِهِ، وَحَقِيقَةُ إِلَاهِيَّتِهِ، وَلِحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ.

وَلَمْ يَقْدِرْهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَن عَبَدَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا غَيْرَهُ، وَلَمْ يَقْدِرْهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَن جَحَدَ صِفَاتِ كَمَالِهِ وَنُعُوتِ جَلَالِهِ ...

إِلَىٰ أَنْ قَالَ: "فَكَانَ هَذَا رَدًّا عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُعَطِّلِينَ الْجَاحِدِينَ لِتَوْحِيدِهِ وَلِصِفَاتِهِ، كَمَا كَانَ ذَلِكَ رَدًّا عَلَىٰ مُنْكِرِي كُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَهَذَانِ أَصْلَا الْإِسْلَامِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَهَذَا الَّذِي وَصَفَ

بِهِ نَفْسَهُ هَاهُنَا يَتَضَمَّنُ مِنِ اقْتِدَارِهِ عَلَىٰ تَغْيِيرِ الْعَالَمِ وَتَبْدِيلِهِ مَا يُبْطِلُ قَوْلَ أَعْدَائِهِ الْمُلَاحِدَةِ الْمُكَذِّبِينَ بِالْمَبْدَإِ وَالْمَعَادِ". اهـ الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٥٨).

• وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "مَا قَدَّرَ الْمُشْرِكُونَ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ، حِينَ عَبَدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ، وَهُوَ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا أَعْظَمَ مِنْهُ، الْقَادِرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، الْمَالِكُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ تَحْتَ قَهْرِهِ وَقُدْرَتِهِ". اهـ

(١١٨) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُول: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟**» أخرجه البخاري (٦٥١٩)، ومسلم (٢٧٨٧).

(١١٩) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يَقْبِضُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَرْضَ، وَتَكُونُ السَّمَوَاتُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ**» أخرجه البخاري (٧٤١٢).

(١٢٠) ❖ وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٧٨٨) مِن طَرِيقِ عُمَرَ بْنِ حَمْزَةَ - وَهُوَ ضَعِيفٌ - بِلَفْظِ: «**يَطْوِي اللهُ عَزَّوَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَىٰ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ، ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ**».

(١٢١) فَهَذِهِ اللَّفْظَةُ بِذِكْرِ الشِّمَالِ مُنْكَرَةٌ تَفَرَّدَ بِهَا عُمَرُ بْنُ حَمْزَةَ وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَالصَّحِيحُ فِي هَذَا: مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**» أخرجه مسلم (١٨٢٧).

▫ **فاللهُ عَزَّوَجَلَّ عَظِيمٌ كَبِيرٌ وَاسِعٌ مُوصُوفٌ بِكُلِّ كَمَالٍ مُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ.**

▫ **فَيَجِبُ: أَنْ يُثْبِتَ لَهُ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ، وَمَا أَثْبَتَهُ رَسُولُهُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ وَلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ.**

[٢٢٨] بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشُّورَىٰ: ١١].

▫ **كَمَا يَنْفِي عَنْهُ مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَمَا نَفَاهُ عَنْهُ رَسُولُهُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، مَعَ اتِّصَافِهِ بِكَمَالِ ضِدِّ الْمَنْفِيِّ.**

(١٢٢) وَعِنْدَ الطَّبَرَانِي فِي الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ(٨٩٨٧)، وَغَيرِهِ رَحِمَهُمُٱللَّهُ: عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: «**مَا بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ مَسِيرَةَ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ الْكُرْسِيِّ، وَالْمَاءِ مَسِيرَةَ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ عَلَىٰ الْمَاءِ، وَاللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ**».

(١٢٣) وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جَالِسٌ وَحْدَهُ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ عِنْدَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَىٰ الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَىٰ الْحَلَقَةِ**». أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣٦١)، وهو مخرج في الصحيحة(١٠٩).

(١٢٤) ■ وَقَدْ رَأَىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ سَادًا، عَظُمَ خَلْقُهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ. متفق عليه عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا وغيرها.

(١٢٥) ■ وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَذِنَ لِي رَبِّي أُحَدِّثُ عَنْ مَلَكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَىٰ عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ**». أخرجه أبو داود (٤٧٢٧).

[٢٢٩] ■ فَهَذِهِ مَخْلُوقَاتُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي الْعِظَمَةِ وَالسِّعَةِ وَالْقُوَّةِ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ وَاصِفًا جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التكوير: ٢٠].

[٢٣٠] فَكَيْفَ بِالْقَوِيِّ الْوَاسِعِ الْمَجِيدِ الْكَرِيمِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الْحَدِيد: ٣].

• وَهَذِهِ الآيَةُ دَالَّةٌ عَلَىٰ إِحَاطَتِهِ سُبْحَانَهُ الزَّمَانِيَّةِ وَالْمَكَانِيَّةِ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

دحض الشرك والتنديد

٢٦

دَحْضُ الشِّرْكِ وَالتَّنْدِيدِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ، وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

■ فَإِنَّ أَوَّلَ نَهْيٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَانَ عَنْ (الشِّرْكِ وَالتَّنْدِيدِ)؛ وَذَلِكَ لِخَطَرِهِ وَضَرَرِهِ؛ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللهَ تَعَالَىٰ بِهِ.

[١] ■ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة:٢٢].

○ وَ(النِّدُّ) هُوَ: الشَّرِيكُ وَالْمُثِيلُ وَالنَّظِيرُ.

■ وَرَبُّنَا عَزَّوَجَلَّ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنْ جَعْلِ شَرِيكٍ لَهُ فِي: رُبُوبِيَّتِهِ، وَأُلُوهِيَّتِهِ، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَدْ وَقَعَ فِي الذَّنْبِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا يُغْفَرُ لِمَن مَاتَ عَلَيْهِ.

[٢] ■ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان:١٣].

[٣] ■ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء:١١٦].

[٤] ■ وَقَالَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء:٤٨].

■ وَمَا سِوَىٰ الشِّرْكِ مِنَ الذُّنُوبِ صَاحِبُهَا تَحْتَ الْمَشِيئَةِ، إِنْ مَاتَ عَلَيْهَا إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ غَفَرَلَهُ، وَإِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَاقَبَهُ عَلَيْهَا.

■ وَالشِّرْكُ سَبِيلُ النَّارِ وَغَضَبُ الْجَبَّارِ

[٥] ■ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

[٦] ■ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١].

■ وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ الِاحْتِضَارِ: أَنَّ رُوحَ الْمُشْرِكِ تُلْقَىٰ مِنَ السَّمَاءِ حِينَ لَا تُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ.

[٧] كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأعراف: ٤٠].

[٨] ■ وَمِنْهُ إِخْبَارُهُ بِجَزَاءِ الْمُجْرِمِينَ الْمُشْرِكِينَ الْكَافِرِينَ: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [الأعراف: ٤١].

■ وَقَدْ حَذَّرَ اللهُ مِنَ الشِّرْكِ قَلِيلِهُ وَكَثِيرِهُ.

[٩] حَيْثُ قَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦] نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ النَّهْيِ تُفِيدُ العُمُومَ.

وَهٰذَا حُكْمٌ عَامٌّ فِي جَمِيعِ جُزْئِيَّاتِ الشِّرْكِ.

(١) ■ وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «**أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**». أخرجه مسلم (٢٩٨٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

■ وَسَمَّىٰ اللهُ الْمُشْرِكِينَ شَرَّ الْبَرِيَّةِ.

[١٠] حَيْثُ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾ [البينة: ٦].

■ وَالشِّرْكُ سَبَبٌ لِحُبُوطِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ.

[١١] قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٨٨﴾ [الأنعام:٨٨].

□ **فَالعِبَادَةُ لَا تُسَمَّىٰ عِبَادَةً -فِي حُكْمِ الشَّرْعِ- إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ.**

■ وَالشِّرْكُ مِمَّا حَرَّمَهُ اللهُ.

[١٢] حَيْثُ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الأنعام: ١٥١].

■ وَسَوَاءً كَانَ الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ أَوِ الْأَصْغَرُ، فَكِلَاهُمَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ مَاتَ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا الْأَكْبَرُ يُخَلِّدُ صَاحِبَهُ فِي النَّارِ، بِخِلَافِ الْأَصْغَرِ فَإِنَّهُ لَا يُخَلِّدُ فِيهَا.

[١٣] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٣﴾ [الأعراف: ٣٣]، **وَلَا حُجَّةَ عَلَىٰ الشِّرْكِ مُطْلَقًا.**

■ وَصَاحِبُ الشِّرْكِ نَجِسٌ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، لَا يَطْهُرُ حَتَّىٰ بِالنَّارِ:

[١٤] قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

■ وَهُوَ سَبَبُ الْخُلُودِ فِي النَّارِ وَبِئْسَ الْقَرَارُ:

[١٥] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ [الإسراء: ٣٩].

• مَطْرُودًا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ.

[١٦] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾ [فصلت: ٦].

▪ وَالْمُشْرِكُ لَا يَنْتَفِعُ بِشَفَاعَةٍ.

[١٧] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨].

[١٨] وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غافر: ١٨].

▫ **فَلَا يَجُوزُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ أَنْ يُشْرَكَ مَعَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ غَيْرُهُ، لَا مَلِكًا مُقَرَّبًا وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا.**

(٢) ▪ وَقَدْ سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَيُّ: الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**». أخرجه البخاري(٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦) عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وَإِنَّمَا هَذِهِ إِشَارَاتٌ إِلَىٰ خَطَرِ الشِّرْكِ وَالتَّنْدِيدِ، وَإِلَّا فَفِي الْقُرْآنِ وَصَحِيحِ السُّنَّةِ نَصًّا، وَظَاهِرًا مَا يُدَوَّنُ فِي مُجَلَّدَاتٍ لِلتَّحْذِيرِ مِنْ هَذَا الشَّرِّ الْمُسْتَطِيرِ، وَالذَّنْبِ الْكَبِيرِ.

وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ عَنْ خَطَرِ الشِّرْكِ وَالْمُشْرِكِينَ وَحَالِ الْمُشْرِكِينَ فِي الدَّارَيْنِ، وَمَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ الْخِزْيِ الْمُبِينِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَفِي ذَلِكَ عِبْرَةٌ لِمُعْتَبِرٍ وَذِكْرَىٰ لِمُتَذَكِّرٍ.

▪ وَلَيْسَ الشِّرْكُ فَقَطْ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ؛ بَلْ وَالْقُبُورِ، فَحُكْمُهَا حُكْمُهَا مِمَّا يَعْلَمُهُ الْمُعْتَنِي بِتَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الشِّرْكِ وَالتَّنْدِيدِ.

■ وَقَدْ أَبَاحَ اللهُ قَتْلَ الْمُشْرِكِينَ وَسَبْيَهُمْ فِي حَالِ قُدْرَةِ الْمُسْلِمِينَ؛ لِشِدَّةِ ضَرَرِهِمْ وَعَظِيمِ خَطَرِهِمْ؛ فَهُمْ أَعْدَاءُ اللهِ وَرُسُلِهِ، وَأَعْدَاءُ الْمُوَحِّدِينَ.

[١٩] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١].

■ وَقَدْ تَسَلَّطَ عَلَيْهِمِ الشَّيْطَانُ حَتَّىٰ بَلَغُوا الْهَوَانَ وَالذُّلَّ وَالْخُسْرَانَ.

[٢٠] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنًا ١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ١٠٦﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٦].

فَالْحَذَرُ الْحَذَرُ مِنْ هَذَا الشَّرِّ.

[٢١] فَقَدْ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِرَسُولِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: -**وَهُوَ خَبَرٌ عَنَّا وَلَنَا**-: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾ [الزمر: ٦٥].

■ وَلَا يَنْفَعُ مَعَ الشِّرْكِ عَمَلٌ كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي غَيْرِ مَوَاطِنٍ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

(٣) وَقَدْ سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عَنِ ابْنُ جُدْعَانَ، فَذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ شَأْنِهِ كَثْرَةُ النَّفَقَاتِ وَالْعَتْقِ وَعَمَلِ الْبِرِّ وَالإِحْسَانِ، فَقَالَ: «**لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**». أخرجه مسلم (٢١٤) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

• أي: لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ.

وَكَمْ أَكْرَمَ أَبُو طَالِبٍ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، غَضِبَ لَهُ وَنَصَرَهُ؛ وَلَكِنْ حِينَ لَمْ يَدْخُلْ فِي الإِسْلَامِ لَمْ يَنْتَفِعْ، إِلَّا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَفَعَ فِي تَخْفِيفِ الْعَذَابِ عَنْهُ كَمَا تَقَدَّمَ.

نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

٢٧

الشِّرْكُ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ وَأَشَدُّ الْآثَامِ

▪ وَضَرَرُهُ حَاصِلٌ عَلَىٰ صَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

[٢٢] وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان:١٣].

وَتَقَدَّمَ حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ سُئِلَ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**». أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

▪ وَلِمَا كَانَ فِي هَذِهِ الْمَنزِلَةِ جَعَلَ اللهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَلَّا يَغْفِرَ وَلَا يَتَجَاوَزَ عَنْ مَن مَاتَ عَلَيْهِ، فَإِنْ كَانَ الْأَكْبَرُ يُخَلَّدُ صَاحِبُهُ فِي النَّارِ وَبِئْسَ الْقَرَارُ.

[٢٣] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الجاثية:٣٥].

[٢٤] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٥].

[٢٥] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف:٧٤-٧٧].

▫ **وَكُلُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِيهَا وَعِيدٌ وَعَذَابٌ، فَيَدْخُلُ فِيهَا الْمُشْرِكُونَ الْمُلْحِدُونَ دُخُولًا أَوَّلِيًّا.**

فَإِنَّهُمْ قَدْ نَالُوا مِنْ غَضَبِ اللهِ وَسَخَطِهِ وَلَعْنَتِهِ وَنَقَمَتِهِ مَا لَحِقَهُمْ مِنَ الْهَوَانِ وَالذُّلِّ وَالْخُسْرَانِ.

[٢٦] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ١٦﴾ [الزمر:١٥-١٦].

▪ وَلِعَظِيمِ خَطَرِهِ وَشِدَّتِهِ ذَكَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الشِّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ بِأَقْبَحِ الْأَوْصَافِ.

فَسَمَّاهُمْ:

- بِالْمُجْرِمِينَ.
- وَالظَّالِمِينَ.
- وَالْخَاسِرِينَ.
- وَالْفَاسِدِينَ.
- وَالْمُفْسِدِينَ.
- وَالْكَاذِبِينَ.
- وَالْكَافِرِينَ.
- وَالْمُشْرِكِينَ.
- وَالْغَافِلِينَ.
- وَسَمَّاهُم بِالْمُعْرِضِينَ.
- وَأَنَّهُمْ: لَا يَعْقِلُونَ، وَلَا يَفْقَهُونَ، وَلَا يَعْلَمُونَ.

وَسَمَّاهُمْ:

- بِالْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ.
- وَالضَّالِّينَ.
- وَشَرِّ الْبَرِيَّةِ.
- وَالْفَاسِقِينَ.
- وَهُمْ أَهْلُ الشَّقَاوَةِ.

وَوَصَفَهُمْ:

- بِالْمُسْتَكْبِرِينَ.
- وَالْجَاحِدِينَ.
- وَلَعَنَهُمْ.
- وَشَبَّهَهُمْ بِالْأَنْعَامِ؛ بَلْ هُمْ أَضَلُّ.

وَوَصَفَهُمْ:

- بِالْحَيْرَةِ.
- وَالصَّمَمِ، وَالْبَكَمِ، وَالْعَمَىٰ.

وَكُلُّ ذَلِكَ عَنِ الْحَقِّ، وَإِنْ كَانُوا يَعْلَمُونَ شَأْنَ الدُّنْيَا.

وَوَصَفَ قُلُوبَهُمْ بِمَا يُعْلَمُ بِهِ بُعْدَهَا عَنِ الْهُدَىٰ وَالرُّشْدِ:

- فَأَخْبَرَ أَنَّهَا غُلِّفَتْ.
- وَأَنَّهُ طُبِعَ عَلَيْهَا.
- وَأَنَّهَا مَرِيضَةٌ.
- وَأَنَّهَا عَمِيَاءُ.

- وَأَنَّ عَلَيْهَا أَكْنَةً وَلَا تَفْقَهُ.
- وَأَنَّ عَلَيْهَا أَقْفَالَهَا.
- وَأَنَّهَا تَشْمَئِزُّ مِنْ سَمَاعِ الْقُرْآنِ.
- وَتَسْتَبْشِرُ بِسَمَاعِ الْأَلْحَانِ.

وَكَمْ لَهُمْ مِنَ الْأَوْصَافِ الذَّمِيمَةِ فِي كِتَابِ رَبِّنَا عَزَّوَجَلَّ، وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بَيَانٌ لِظِلَالِهِمْ، وَشَرِّهِمْ، وَحَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَلَا أَشَرَّ مِنْهُمْ وَلَا أَضَلَّ وَلَا أَكْذَبَ وَأَظْلَمَ، فَقَدْ ضَيَّعُوا حَقَّ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَنَسُوهُ، فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ.

▫ **فَقُبْحُ الشِّرْكِ مُسْتَقِرٌّ فِي العُقُولِ وَالفِطَرِ، وَالسَّمْعُ نَبَّهَ العُقُولَ وَأَرْشَدَهَا لِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ.**

[٢٧] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨﴾ [إبراهيم:١٨].

[٢٨] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩﴾ [النور:٣٩].

نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سُوءِ الْحَالِ وَالْمَآلِ.

وَقَدْ ذُكِرَتْ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ فِي كِتَابِي: **"فَتْحِ الْمَجِيدِ بِبَيَانِ هِدَايَةِ الْقُرْآنِ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الشِّرْكِ وَالتَّنْدِيدِ"**، فَإِنَّ هَذَا ذَنْبٌ سَيِّئٌ جِدًّا.

مَاذَا نَقُولُ فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُهُ مِنَ الْكَافِرِينَ وَالْمُجْرِمِينَ وَالْفَاسِقِينَ؛ فَالزَّانِي، وَالسَّارِق، وَشَارِبِ الْخَمْرِ، وَاللُّوْطِي فُسَّاقٍ؛ لَكِنَّ هَذَا أَعْظَمُ مِنْهُمْ فُسُوقًا!، هَذَا فُسُوقُهُ يُخْلِدُهُ فِي النَّارِ وَبَئْسَ الْقَرَارُ!

٢٨

تَفْسِيرُ الشِّرْكِ

○ وَأَمَّا (الشِّرْكُ) فَهُوَ: تَشْرِيكُ وَمُسَاوَاةُ غَيْرِ اللهِ بِاللهِ فِيمَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

○ فَيَكُونُ الشِّرْكُ فِي الْأُلُوهِيَّةِ هُوَ: تَشْرِيكُ وَتَسْوِيَةُ غَيْرِ اللهِ بِاللهِ فِي العِبَادَةِ سَوَاءٌ شُرِّكَ فِي بَعْضِهَا أَوْ كُلِّهَا.

○ وَأَمَّا (الشِّرْكُ فِي الرُّبُوبِيَّةِ) فَهُوَ: تَشْرِيكُ غَيْرِ اللهِ بِاللهِ فِيمَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِ وَأَفْعَالِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

[٢٩] وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨].

● أَيْ: فِيْ الْعِبَادَةِ لَا فِيْ الذَّاتِ.

▫ **وَمَعْلُومٌ شَرْعًا وَعَقْلًا: أَنَّهُمْ لَمْ يَسْوُوا الأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ، وَلَكِنَّمَا فِي العِبَادَةِ حَيْثُ صَرَفُوا حَقَّ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لِغَيْرِهِ.**

▫ **مَعَ الْعِلْمِ: أَنَّ الأَصْنَامَ الجَمَادِيَّةَ لَمْ تُعْبَدْ لِذَاتِهَا، وَإِنَّمَا وُضِعَتْ فِي الأَصْلِ لِمَا كَانَ غَائِبًا مِنْ مَعْبُودَاتِ المُشْرِكِينَ سَوَاءً مِنْ الْمَلَائِكَةِ أَوْ الشَّيَاطِينِ.**

(٤) وَقَدْ وَصَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حَالَ الْمُشْرِكِ بِقَوْلِهِ: «**وَأَنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَىٰ عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ فَقَالَ هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَىٰ غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَىٰ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ**». أخرجه الترمذي (٢٨٦٣) عن الحارث الأشعري.

■ وَهِيَ وَصِيَّةُ يَحْيَىٰ بْنَ زَكَرِيَّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَنَقَلَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مَقْرًا لَهَا فَصَارَتْ مِنْ شَرْعِنَا.

□ **ثُمَّ إِنَّ جَمِيعَ الرُّسُلِ فِي دَعْوَةِ التَّوْحِيدِ شَأْنُهُمْ وَاحِدٌ.**

■ فَإِذَا كَانَ هَذَا الْعَبْدُ مُذْمُومًا قَدَرًا وَشَرْعًا؛ لِأَنَّهُ يَعْمَلُ عَلَىٰ خِلَافِ مَا يُرِيدُ سَيِّدُهُ، فَكَذَلِكَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ وَنَدَّدَ مَعَهُ غَيْرَهُ أَسْوَأُ حَالًا وَأَكْثَرُ ذَمًّا، فَقَدْ خَالَفَ مَا لِأَجْلِهِ خُلِقَ، وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ شِرْكَهُمْ كَانَ فِي العِبَادَةِ أَكْثَرُ مِنْه فِي الرُّبُوبِيَّةِ.

■ فَفِيْ الْجُمْلَةِ يُثْبِتُونَ الرُّبُوبِيَّةَ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ؛ وَلَكِنْ جَعَلُوا كَثِيرًا مِنْ مَعَانِي الرُّبُوبِيَّةِ فِيْ أَصْنَامِهِمْ.

[٣٠] يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥].

(٥) وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ وَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَيَقُولُ الرَّسُولُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**قَدْ قَدْ**».

• أَيْ: يَكْفِي يَكْفِي، فَيَقُولُونَ: (**إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ**). أخرجه مسلم (١١٨٥).

■ وَكَانَ شِرْكُهُمْ أَيْضًا أَنَّهُمْ اتَّخَذُوا هَذِهِ المَعْبُودَاتِ وَسَائِطَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

[٣١] قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنْهُمْ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣].

▫ **وَدِينُ الحَنِيفِيَّةِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ لَيْسَ فِيهِ وَاسِطَةٌ بَيْنَ اللهِ وَخَلْقِهِ لَا فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا فِي الأُلُوهِيَّةِ، وَإِنَّمَا الرُّسُلُ وَسَائِطَ فِي التَّبْلِيغِ وَالدَّلَالَةِ.**

[٣٢] ▪ وَأَيْضًا اتَّخَذُوهُمْ شُفَعَاءَ عِندَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ بِذَلِكَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس:١٨].

وَأَنْوَاعُ مَا يَقَعُ فِيهِ الْمُشْرِكُونَ فِي هَذَا الْبَابِ:

- الأَوَّل: (**شِرْكٌ فِي الرُّبُوبِيَّةِ**).

○ وَهُوَ: اعْتِقَادُ أَنَّ ثَمَّةَ مُتَصَرِّفٌ فِي الْكَوْنِ مَعَ اللهِ فِي الْخَلْقِ، أَوِ الْمُلْكِ، أَوِ التَّدْبِيرِ.

كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ: بِتَصَرُّفِ الْغَوْثِ، أَوِ الْأَوْتَادِ، أَوِ الْأَقْطَابِ فِي هَذَا الْعَالَمِ سَوَاءٌ قَالُوا بِأَمْرِ اللهِ، أَوْ مِنْ غَيْرِ أَمْرِهِ.

▫ **وَتَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ أَقَرَّتْ بِهِ الخَلَائِقُ، مُؤْمِنُهَا وَكَافِرُهَا فِي الْجُمْلَةِ، وَلَمْ يُنْكِرْهُ إِلَّا شَوَاذٌّ مِنَ البَشَرِيةِ.**

[٣٣] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٢ -٢٣].

فهم عاجزون عن جميع أنواع النفع ولذلك قطعها الله عنهم.

- الثَّانِي: (شِرْكٌ فِي الْأُلُوهِيَّةِ).

○ وَهُوَ: صَرْفُ الْعِبَادَةِ، أَوْ نَوْعٍ مِنْهَا لِغَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

[٣٤] قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

▫ وَتَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةُ وَالأُلُوهِيَّةُ مَفْهُومَانِ مُتَغَايِرَانِ، فَإِذَا اقْتَرَنَا افْتَرَقَا، وَإِذَا افْتَرَقَا اقْتَرَنَا.

▫ وَالْقَاعِدَةُ: أَنَّ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ يَسْتَلْزِمُ تَوْحِيدَ الأُلُوهِيَّةِ، وَتَوْحِيدَ الأُلُوهِيَّةِ يَتَضَمَّنُ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ.

- الثَّالِث: (شِرْكٌ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ).

○ وَهُوَ: اعْتِقَادُ أَنَّ ثَمَّةَ مَخْلُوقًا يَتَّصِفُ بِصِفَاتِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَوْ بَعْضِهَا، كَاتِّصَافِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِهَا، كَمَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ بَشَرًا يَعْلَمُ الْغَيْبَ.

▫ فَإِنَّ: تَشْبِيهَ صِفَاتِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ هُوَ أَصْلُ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ عِنْدَ أَكْثَرِ الْمُشْرِكِينَ.

كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء:٩٨]. أَيْ فِي الْعِبَادَةِ لَا فِي الذَّاتِ، وَلَا فِي الْأَفْعَالِ.

[٣٥] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

(٦) وَقَدْ جَمَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هَذِهِ الْمَعَانِي فِي قَوْلِهِ حِينَ سُئِلَ عَنْ أَعْظَمِ الذَّنْبِ فَقَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ».

○ فَـ(الشِّرْكُ): **أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا**، سَوَاءً كَانَ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، أَوْ أُلُوهِيَّتِهِ، أَوْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

○ وَ(النِّدُّ) هُوَ: **النَّظِيرُ وَالْمَثِيلُ**.

قَالَ بَعْضُهُمْ: نَحْنُ لَا نُشْرِكُ بِاللهِ وَهُوَ يَدْعُو الْقَبْرَ، فَهَذَا هُوَ الشِّرْكُ، هُوَ يَظُنُّ أَنَّ الشِّرْكَ أَنْ يَذْهَبَ وَيَسْجُدَ لِصَنَمٍ!!

لَا! دُعَاءُ الْقَبْرِ شِرْكٌ، وَالْخَوْفُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ خَوْفُ السِّرِّ شِرْكٌ، وَالِاسْتِغَاثَةُ بِالْمَقْبُورِينَ شِرْكٌ، وَالِاعْتِمَادُ عَلَىٰ الْمَقْبُورِينَ وَنَحْوِهِمْ شِرْكٌ، وَهَكَذَا دَوَالِيكَ.

فَصْلٌ:

تَفَاصِيلُ أَفْعَالِ الْمُشْرِكِينَ

وَمِنْ أَهَمِّ الْمَسَائِلِ مَعْرِفَةُ تَفَاصِيلِ الشِّرْكِ وَأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ بِالْقَوْلِ، أَوْ الْفِعْلِ، أَوْ الْاعْتِقَادِ، أَوْ بِهَا جَمِيعًا.

وَقَدْ تَنَوَّعَتْ طُرُقُ الشِّرْكِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْكُفْرِ وَالْكَافِرِينَ.

فَمِنْهَا: مَا يَكُونُ بِالْقَوْلِ:

- كَالدُّعَاءِ لِغَيْرِ اللهِ.
- وَالِاسْتِعَانَةِ.
- وَالِاسْتِغَاثَةِ بِغَيْرِ اللهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ.
- وَالْحَلِفِ بِغَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَمِنْهَا: مَا يَكُونُ بِالْفِعْلِ:

- كَالذَّبْحِ.
- وَالنَّذْرِ لِغَيْرِ اللهِ.
- وَالطَّوَافِ بِالْقُبُورِ.
- وَتَعْلِيقِ الْحَلْقِ وَالْخَيْطِ.

وَمَا فِي حُكْمِهَا لِجَلْبِ نَفْعٍ، أَوْ دَفْعِ ضَرَرٍ.

وَمِنْهَا: مَا يَكُونُ بِالِاعْتِقَادِ، وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ جِدًّا:

- كَالتَّوَكُّلِ عَلَىٰ غَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.
- وَالْخَوْفِ مِنْ غَيْرِهِ خَوْفَ السِّرِّ.

- وَالْمَحَبَّةِ لِغَيْرِ اللهِ كَحُبِّ اللهِ أَوْ أَشَدَّ.

وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَأْتِي بَيَانُهُ بِالتَّفْصِيلِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.

▪ إِذْ أَنَّ طَرِيقَ الدَّعْوَةِ أَمْرًا، أَوْ نَهْيًا، تَرْغِيبًا، أَوْ تَرْهِيبًا، يَكُونُ بِالْإِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ، وَاللهُ الْهَادِي إِلَىٰ سَوَاءِ السَّبِيلِ.

وَقَبْلَ ذَلِكَ فَإِنَّ الشِّرْكَ شِرْكَانِ:

- الأوَّل: **شِرْكٌ أَكْبَرُ**، مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، مُوجِبٌ لِلنَّارِ لِمَنْ مَاتَ عَلَيْهِ.

- الثَّانِي: **شِرْكٌ أَصْغَرُ**، غَيْرُ مُخْرِجٍ مِنَ الْمِلَّةِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَيْهِ يُعَذَّبُ بِقَدْرِهِ، ثُمَّ يَكُونُ إِلَىٰ الْجَنَّةِ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

٢٩

الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ

■ هذِه عِبَادَةٌ اتَّفَقَ عَلَيْهَا الْمُتَعَبِّدُونَ.

فَأَهْلُ الإِسْلَامِ يَذْبَحُونَ لِلْمَلِكِ الْعَلَّامِ.

وَأَهْلُ الْكُفْرَانِ يَذْبَحُونَ لِأَصْنَامِهِمْ وَأَوْثَانِهِمْ وَمَعْبُودَاتِهِمْ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَكَانُوا يَنْصِبُونَ (**الْأَنْصَابَ**) لِذَلِكَ.

■ وَلِهَذَا حَرَّمَ اللهُ مَا أُهِلَّ لِغَيْرِهِ، وَمَا ذُبِحَ عَلَىٰ النُّصُبِ.

[٣٦] قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣].

(٧) وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**».

■ فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ الذَّبْحَ لِغَيْرِ اللهِ مِنَ الْكَبَائِرِ الشِّرْكِيَّةِ.

[٣٧] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣].

وَهَذِهِ الْعَظِيمَةُ -الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ- مُنْتَشِرَةٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبِلَادِ؛ لَسِيَّمَا عِنْدَ عُبَّادِ الْقُبُورِ، فَإِنَّهُمْ يَذْبَحُونَ الذَّبَائِحَ إِمَّا:

- عَلَىٰ اسْمِ مَقْبُورٍ، **وَهَذَا شِرْكٌ ظَاهِرٌ**.

- أَوْ يَذْبَحُونَهَا عَلَىٰ اسْمِ اللهِ؛ لَكِنْ مَعَ نِيَّةِ التَّقَرُّبِ لِلْمَقْبُورِ، **وَهَذَا شِرْكٌ أَكْبَرُ**.

- أَوْ يُذْبَحُ فِي أَمَاكِنَ ذَبْحِ الْمُشْرِكِينَ للهِ عَزَّوَجَلَّ، **فَهَذِهِ مُحَرَّمَةٌ**، لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣].

(٨) وَعَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَذْبَحَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ: «**هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟**»

قَالُوا: لَا.

قَالَ: «**هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ يُعْبَدُ؟**».

قَالُوا: لَا.

قَالَ: «**أَوْفِ بِنَذْرِكَ**». أخرجه أبو داود (٣٣١٣).

(٩) وَعَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ رَجُلٌ النَّارَ فِي ذُبَابٍ.

قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟

قَالَ: مَرَّ رَجُلَانِ عَلَىٰ قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ، لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّىٰ يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا.

فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ.

قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُ.

قَالُوا: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا، فَقَرَّبَ ذُبَابًا، فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ، فَدَخَلَ النَّارَ.

وَقَالُوا لِلْآخَرِ: قَرِّبْ.

قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللهِ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ.

أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي الزُّهْدِ، وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي رَفْعِهِ وَوَقْفِهِ، وَالرَّاجِحُ وَقْفُهُ.

• وَالْمَعْنَىٰ ثَابِتٌ: أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَىٰ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ خُلِّدَ فِي النَّارِ، وَمَنْ مَاتَ عَلَىٰ التَّوْحِيدِ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

وَقَدِ انْتَشَرَ فِي الْبِلَادِ الْيَمَنِيَّةِ ذَبْحُ (الْهَجَرِ)، وَهُوَ مِنْ هَذَا الْبَابِ، وَصَاحِبُهُ دَائِرٌ بَيْنَ **الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ**، أَوِ **الْإِحْدَاثِ فِي دِينِ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ.

▪ وَلَا يَجُوزُ الْأَكْلُ مِنْهُ بِحَالٍ، وَلَوْ سُمِّيَ اللهُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُمْ أَهَلُّوهُ لِغَيْرِ اللهِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

▪ وَبَعْضُهُمْ يُقَرِّبُ لِلْقَبْرِ أَوْ لِلصَّنَمِ وَالْوَثَنِ مَا لَا يُقَرِّبُهُ لِلَّهِ؛ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ، حَيْثُ حَبَّبَ الشَّيْطَانُ الشِّرْكَ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ وَرَغَّبَهُمْ فِيهِ،

▪ وَبَعْضُهُمْ لَا يَذْبَحُ أُضْحِيَّةً، وَلَكِنْ يَذْبَحُ لِلْقَبْرِ، وَلِلْوَلِيِّ، وَالسَّيِّدِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ الْمُنْتَشِرَةِ، فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ فَضْلًا عَنِ الْمُشْرِكِينَ.

وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

٣٠

النَّذْرُ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ

مِنْ أَفْعَالِ الْمُشْرِكِينَ الْمُنْتَشِرَةِ صَرْفُ النُّذُورِ لِمَعْبُودَاتِهِمْ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَكَمَا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ نُذُورُهُمْ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، صَارَتْ نُذُورُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُنَدِّدِينَ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

[٣٨] ■ وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنْ حَالِ أَسْلَافِهِمْ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ١٣٦﴾ [الأنعام: ١٣٦].

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "(يُسَمُّونَ لِلَّهِ) يَعْنِي: جُزْءًا مِنَ الْحَرْثِ، وَلِشُرَكَائِهِمْ وَلِأَوْثَانِهِمْ جُزْءًا - فَمَا ذَهَبَتْ بِهِ الرِّيحُ مِمَّا سَمَّوْا لِلَّهِ إِلَىٰ جُزْءِ أَوْثَانِهِمْ تَرَكُوهُ، وَقَالُوا: اللهُ عَنْ هَذَا غَنِيٌّ، وَمَا ذَهَبَتْ بِهِ الرِّيحُ مِنْ جُزْءِ أَوْثَانِهِمْ إِلَىٰ جُزْءِ اللهِ أَخَذُوهُ". اهـ تفسيره (٤/ ١٣٩٢).

وَقَدْ سَلَكَ عُبَّادُ الْقُبُورِ هَذَا الْمَسْلَكَ، يَجْعَلُونَ جُزْءًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ بِالنَّذْرِ لِلْأَمْوَاتِ وَالطَّوَاغِيتِ.

■ وَقَدْ نَصَّ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ: **النَّذْرَ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ شِرْكٌ**.

بَلْ ذَكَرَ الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أَنَّهُ بَلَغَ بِأَحَدِهِمْ أَنْ نَذَرَ بِنِصْفِ ابْنَتِهِ لِلْقَبْرِ، فَلَمَّا زَوَّجَهَا جَاءَ بِنِصْفِ مَهْرِهَا". اهـ

وَالْمُتَأَمِّلُ لِلْبُلْدَانِ الَّتِي تَنْتَشِرُ فِيهَا الْفِرَقُ الْقُبُورِيَّةُ يَجِدُ الْعَجَبَ الْعُجَابَ مِمَّا تَشِيبُ لَهُ رُؤُوسُ أُولِي الْأَلْبَابِ، فَالأَرْضُ الطَّيِّبَةُ (لِلْهَادِي)، وَالشَّجَرَةُ الْمُثْمِرَةُ (لِخُضَيْر)، وَهَذَا يُنْذِرُ (لِابْنِ عَلْوَان)، وَآخَرُ (لِابْنِ الْعَجِيلِ)، وَثَالِثٌ (لِلْعَيْدَرُوسِ)، وَهَكَذَا دَوَالَيْكَ (لِلدَّسُوقِيِّ)، وَ(الْجِيلَانِيِّ)، وَ(الْبَدَوِيِّ)، وَقُبُورِ آلِ الْبَيْتِ، وَمَا يُسَمُّونَهُمْ بِالأَوْلِيَاءِ.

فَصَارَتِ الأَوْقَافُ الَّتِي تُجْرَىٰ وَيُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمَقْبُورِينَ فِي بَعْضِ الْبُلْدَانِ، أَكْثَرَ مِنَ الأَوْقَافِ وَالنُّذُورِ الَّتِي تَكُونُ لِلهِ عَزَّوَجَلَّ، فَمَدِينَةُ صَعْدَةَ أَغْلَبُ شَارِعٍ صَنْعَاءَ مَنْذُورٌ (لِلْهَادِي).

وَهَكَذَا عِنْدَنَا فِي الْبِلَادِ الْعُلْيَا، يُقَالُ: هَذَا (لِلْقُبَّةِ)، وَهَذَا (لِخُضَيْرٍ)، وَهَذَا (لِأَبِي طَيْرٍ)، وَهَذَا (لِلْعَيَّانِيِّ)، وَهَذَا (لِلْمُؤَيَّدِ). نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

فَأَيْنَمَا وُجِدَ الرَّافِضَةُ، وَوُجِدَ الصُّوفِيَّةُ، سَتَجِدْ عِبَادَةَ الْقُبُورِ، وَسَتَجِدُ الشِّرْكَ وَالزُّورَ، وَسَتَجِدُ مَا لَا يَخْطُرُ عَلَىٰ بَالِكَ مِنْ أَفْعَالِ أَبِي جَهْلٍ وَأَبِي لَهَبٍ؛ بَلْ سَتَجِدُ أَنَّ أَبَا لَهَبٍ، وَأَبَا جَهْلٍ عَلِمُوا مَعْنَىٰ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وَاسْتَكْبَرُوا عَنْ قَوْلِهَا، وَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) وَيُنَاقِضُونَهَا: أَقْوَالُهُمْ تُنَاقِضُهَا، وَأَفْعَالُهُمْ تُنَاقِضُهَا، وَمُعْتَقَدَاتُهُمْ تُنَاقِضُهَا.

أَيُّ إِسْلَامٍ هَذَا؟! أَنْ يَكُونَ الْخَوْفُ مِنَ الْقَبْرِ، وَالنَّذْرُ لِلْقَبْرِ، وَالذَّبْحُ لِلْقَبْرِ، وَالطَّوَافُ بِالْقَبْرِ، وَالدُّعَاءُ لِلْقَبْرِ.

نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

٣١

الشِّرْكُ وَفِتْنَة القُبُور

وَمِنْ أَشَدِّ الْفِتَنِ الَّتِي ابْتُلِيَتْ بِهَا الْبِلَادُ لَهِيَ: **فِتْنَةُ الْقُبُورِ**، تَشَبَّهَ فِيهَا عُبَّادُ الْقُبُورِ بِمَنْ سَبَقَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ.

[٣٩] ■ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾[الكهف:٢١].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ (٥/ ١٤٧):

"حكىٰ ابْنِ جَرِيرٍ فِي الْقَائِلِينَ فِي ذَلِكَ قَوْلَيْنِ:

- أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُم.
- وَالثَّانِي: أَهْلُ الشِّرْكِ مِنْهُمْ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ قَالَ: "وَالظَّاهِرُ أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ هُمْ أَصْحَابُ الْكَلِمِه وَالنُّفُوذِ؛ وَلَكِنْ هَلْ هُمْ مَحْمُودُون أَمْ لَا، فِيهِ نَظَرٌ".

(١٠) لأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ يُحَذِّرُ مَا فَعَلُوا**»أخرجه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٢٩). اهـ

فَصَارَ عُبَّادُ الْقُبُورِ مِمَّنْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُتَأَسِّيًا بِشِرَارِ الْخَلْقِ الَّذِينَ.

(١١) قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيهم: «**إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ**».أخرجه أحمد (٣٨٤٤) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وَالْمَعْلُومُ: أَنَّ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ، وَهُمْ أَحْيَاءٌ هُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ.

(١٢) فَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ وَعَلَىٰ الْأَرْضِ مَنْ يَقُولُ: اللهُ، اللهُ**». أخرجه مسلم (١٤٨).

• قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "مَعْنَىٰ الْحَدِيثِ: إِنَّمَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَىٰ شِرَارِ الْخَلْقِ كَمَا جَاءَ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَىٰ". اهـ

(١٣) فَفِي الصَّحِيحَيْنِ: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا فِي الحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أُولَئِكِ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَىٰ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، فَأُولَئِكِ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

أخرجه البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨).

فَكَيْفَ إِذَا انْضَافَتْ إِلَىٰ فِتْنَةِ التَّصْوِيرِ فِتْنَةُ صَرْفِ العِبَادَاتِ لِهَؤُلَاءِ المَقْبُورِينَ، وَالعِيَاذُ بِاللهِ؟!

وَقَدْ أَحْسَنَ الصَّنْعَانِيُّ إِذْ يُشَبِّهُ هَذَا المَشْهَدَ بِقَوْلِهِ:

أَعَادُوا بِهَا مَعْنَىٰ سِوَاعٍ وَمِثْلِهِ ... يَغُوثَ وَوَدٍّ، بِئْسَ ذَاكَ مِنَ وِدِّ

وَقَدْ هَتَفُوا عِندَ الشَّدَائِدِ بِاسْمِهَا ... كَمَا يَهْتِفُ المُضْطَرُّ بِالصَّمَدِ الفَرْدِ

وَكَمْ عَقَرُوا فِي سَوْحِهَا مِنْ عَقِيرَةٍ ... أُهِلَّتْ لِغَيْرِ اللهِ جَهْرًا عَلَىٰ عَمْدِ

وَكَمْ طَائِفٍ حَوْلَ القُبُورِ مُقَبِّلًا ... وَمُسْتَلِمُ الأَرْكَانَ مِنْهُنَّ بِاليَدِ

▪ مَعَ أَنَّ التَّحْذِيرَ مِنْ فِتْنَةِ القُبُورِ كَانَ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ دَلِيلٌ عَلَىٰ شِدَّةِ هَذِهِ الْفِتْنَةِ، وَخَطَرِهَا وَعَظِيمِ ضَرَرِهَا.

(١٤) فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَا: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا نَزَلَ، طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «**لعنة اللهِ عَلَىٰ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا. أخرجه البخاري(٤٣٥)، ومسلم(٥٢٩).

(١٥) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**». أخرجه البخاري(٤٣٧)، ومسلم(٥٣٠).

• وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَنَّهُمْ يُصَلُّونَ فِيهَا وَإِلَيْهَا، وَالصَّلَاةُ بَاطِلَةٌ فِي هَذَا الْحَالِ.

(١٦) قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ إِلَّا الْمَقْبَرَةَ وَالْحَمَّامَ**». أخرجه الترمذي(٣١٧).

(١٧) وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا**». أخرجه البخاري(٤٣٢، ١١٨٧)، ومسلم(٧٧٧).

قَالَ الحافظُ: "وَقَدْ نَقَلَ ابْنُ الْمُنْذِرِ عَنْ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمُ اسْتَدَلُّوا بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَىٰ أَنَّ الْمَقْبَرَةَ لَيْسَتْ بِمَوْضِعِ الصَّلَاةِ". اهـ فتح الباري (١/ ٥٢٩).

وَالْعَجَبُ -وَلَا تَعْجَبْ- مِنْ شُبَهِ عُبَّادِ الْقُبُورِ، حَيْثُ زَعَمُوا: أَنَّ النَّهْيَ عَنْ الصَّلَاةِ فِي الْمَقْبَرَةِ لِعِلَّةِ النَّجَاسَةِ، وَهَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ؛ فَقَدْ نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُتَّخَذَ قَبْرُهُ مَسْجِدًا.

▪ وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَأْكُلُ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ، فَالْوَاقِعُ أَنَّ النَّهْيَ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْقُبُورِ أَوْ إِلَيْهَا **يَسُدُّ ذَرَائِعَ الشِّرْكِ، وَالْبُعْدَ عَنْ مُشَابَهَةِ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَدِّدِينَ**.

■ وَقَدِ ابْتَدَعُوا أَيْضًا بِدْعَةً: شَدَّ الرِّحَالِ إِلَىٰ الْقُبُورِ وَالْأَضْرِحَةِ.

(١٨) مَعَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَىٰ ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي هَذَا وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ**». أخرجه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧) عن أبي هريرة وأبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

▫ **وَعَلَيهِ فَلَيْسَ فِي الشَّرِيعَةِ بُقْعَةٌ تُقْصَدُ لِلْعِبَادَةِ لِذَاتِهَا إِلَّا الْمَسَاجِدَ وَمَشَاعِرَ الْحَجِّ.**

وَمِنْ عَجِيبِ مَا وُضِعَ: حَدِيثُ (**مَنْ حَجَّ وَلَمْ يَزُرْنِي فَقَدْ جَفَانِي**).

وَأَيْضًا: "**إِذَا أَعْيَتْكُمُ الْأُمُورُ فَأَنْزِلُوهَا بِأَصْحَابِ الْقُبُورِ**".

وَمِنْ شِعْرِهِمُ الْبَاطِلِ الدَّالِّ عَلَىٰ تَعَمُّقِ الشِّرْكِ فِي الْقُلُوبِ:

يَـــا هَـــارِبِينَ مِـــنَ التَّتَـــرِ ... لُـــوذُوا بِقَبْـــرِ أَبِـــي عُمَـــرِ

وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ، وَإِنَّمَا أَشَرْنَا إِشَارَاتٍ إِلَىٰ حُكْمِ أَفْعَالِهِمْ وَسُوءِ صَنِيعِهِمْ.

وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

٣٢

لِبْسُ الْحَلَقَةِ وَالْخَيْطِ لِرَفْعِ الْبَلَاءِ وَدَفْعِهِ

هَذَا نَوْعٌ مِنَ الشِّرْكِ مُتَفَشٍّ فِي الْبِلَادِ بِأَسَالِيبَ، وَصُوَرٍ مُتَعَدِّدَةٍ.

إِذْ يَفْعَلُونَ مِثْلَ الْحَلَقَةِ وَالْخَيْطِ، وَرُبَّمَا اللَّوَاصِقَ وَالْكِتَابَاتِ؛ لِرَفْعِ الْبَلَاءِ، وَإِزَالَتِهِ بَعْدَ حُصُولِهِ، وَدَفْعِهِ، وَمَنْعِهِ قَبْلَ وُقُوعِهِ.

[٤٠] ■ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر:٣٨].

■ فَالْأَمْرُ إِلَىٰ اللهِ فِي جَلْبِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ.

(١٩) وَعَنْ أَبِي بَشِيرٍ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ كَانَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَأَرْسَلَ رَسُولًا: «**لَا يُبْقِيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ**». أخرجه البخاري (٣٠٠٥)، ومسلم (٢١١٥).

وَالآنَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بَدَلَ تَعْلِيقِ هَذِهِ الْقَلَائِدِ، وَهَذِهِ الْأَوْتَارِ يُعَلِّقُونَ كِتَابَاتٍ فِيهَا: (مَا شَاءَ اللهُ)، (تَبَارَكَ اللهُ)، (هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي)، (عَيْنُ الْحَسُودِ تُبْلَىٰ بِالْعَمَىٰ)، وَنَحْوُ هَذِهِ الْكِتَابَاتِ، وَسَيَأْتِي الْقَوْلُ فِيهَا وَالْحُكْمُ فِي تَعْلِيقِهَا.

• قَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "تَأَوَّلَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ أَمْرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَطْعِ الْقَلَائِدِ عَلَىٰ أَنَّهُ مِنْ أَجْلِ الْعَيْنِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَشُدُّونَ بِتِلْكَ الْأَوْتَارِ الْقَلَائِدَ وَالتَّمَائِمَ، وَيُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا الْعُوَذَ، يَظُنُّونَ أَنَّهَا تَعْصِمُ مِنَ

الْآفَاتِ، فَنَهَاهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهَا، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهَا لَا تَرُدُّ مِنْ أَمْرِ اللهِ شَيْئًا". اهـ شرح السنة (١١/ ٢٧).

• قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: كَانُوا يُقَلِّدُونَ الْإِبِلَ الْأَوْتَارَ؛ لِئَلَّا تُصِيبَهَا الْعَيْنُ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِزَالَتِهَا؛ **إِعْلَامًا لَهُمْ أَنَّ الْأَوْتَارَ لَا تَرُدُّ شَيْئًا**". اهـ شرح مسلم (١٤/ ٩٦).

■ وَإِذْ كَانَ الْمُتَقَدِّمُونَ يُعَلِّقُونَ عَلَىٰ الْإِبِلِ، فَهَؤُلَاءِ يُعَلِّقُونَ عَلَىٰ السَّيَّارَاتِ.

(٢٠) فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الرُّقَىٰ، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**». أخرجه أحمد (٣٦١٥).

(٢١) • وَالْمُرَادُ بِـ(**الرُّقَىٰ**) هُنَا: مَا كَانَتْ مِنَ الشِّرْكِ، وَإِلَّا فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَىٰ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا شِرْكٌ**». أخرجه مسلم (٢٢٠٠) عن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَهَذَا الْبَابُ: بَابُ شِرْكِ الْأَسْبَابِ الْقَوْلُ فِيهِ:

- إِنْ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا السَّبَبَ يَنْفَعُ أَوْ يَضُرُّ مَعَ اللهِ،

أَوْ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، **فَهَذَا شِرْكٌ أَكْبَرُ -فِي الرُّبُوبِيَّةِ-مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ**.

- وَإِنْ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ النَّفْعَ وَالضَّرَّ بِيَدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّمَا هَذِهِ أَسْبَابٌ لِرَفْعِ الْبَلَاءِ وَدَفْعِهِ، فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَسْبَابُ شَرْعِيَّةً.

•أَيْ: حَثَّ عَلَيْهَا الشَّرْعُ، أَوْ قَدَرِيَّةً عُلِمَتْ بِالتَّجْرِبَةِ، **فَلَا حَرَجَ مِنِ اسْتِخْدَامِهَا**.

فَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ ذَلِكَ، وَهَذَا هُوَ الْوَاقِعُ فِي كَثِيرٍ مِنَ التَّعَلُّقَاتِ.

• يَعْنِي: يَرْبِطُ الْحَلْقَةَ مَا لَهَا أَيُّ أَثَرٍ، لَا تَشُدُّ عَلَىٰ عَصَبٍ، وَلَا مَثَلًا تَدْخُلُ إِلَىٰ فَمٍ بِحَيْثُ يُعْلَمُ أَنَّهَا سَبَبٌ، إِنَّمَا يُعَلِّقُونَهَا لِاعْتِقَادَاتٍ، فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَهِيَ: **شِرْكٌ أَصْغَرُ**، وَمَعْلُومٌ خَطَرُ الشِّرْكِ، وَأَنَّهُ: **لَا يُغْفَرُ أَكْبَرُهُ وَأَصْغَرُهُ لِمَنْ مَاتَ عَلَيْهِ**.

▪ **وَمِنْ سَبَبِ ضَعْفِ الْإِيمَانِ**: كَثْرَةُ تَعَلُّقِ النَّاسِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْمُتَعَلِّقَاتِ، مِنَ الْأَوْتَارِ، أَوِ الْأَسَاوِرِ، أَوِ الْكِتَابَاتِ.

وَمِنْهَا: كِتَابَاتٌ عَلَىٰ السَّيَّارَاتِ أَوِ الْبُيُوتِ؛ لِدَفْعِ الْعَيْنِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

فَهَذِهِ مِنَ الْبِدَعِ، وَاتِّخَاذُهَا سَبَبًا وَلَيْسَتْ بِسَبَبٍ، **مِنَ الشِّرْكِ**.

فَإِنْ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّهَا تَنْفَعُ مَعَ اللهِ، أَوْ مِنْ دُونِ اللهِ، **فَهُوَ الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ**، وَإِنْ كَانَ يَرَاهَا أَسْبَابًا، وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ، **فَهِيَ شِرْكٌ أَصْغَرُ**.

▪ **وَاخْتَلَفَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِذَا كَانَ الْمُعَلَّقُ مِنَ الْقُرْآنِ وَأَحَادِيثِ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

فَالْمَنْعُ أَقْرَبُ، إِذْ إِنَّهُ مِنْ فِعْلِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ رَوَوْا الْأَحَادِيثَ الَّتِي فِيهَا النَّهْيُ عَنِ التَّعْلِيقَاتِ.

قَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ (٢٣٤٦٧): "وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا، مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ الْقُرْآنِ"اهـ.

فَعَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ: أَنْ يَحْذَرُوا سَبِيلَ الشَّيْطَانِ، بِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ مُخَالَفَةِ الْقُرْآنِ وَتَوْحِيدِ الرَّحْمَنِ، لِتَزْيِينِ هَذِهِ الشِّرْكِيَّاتِ لَهُمْ.

[٤١] فَيَكُونَ حَالُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ: مَا قَالَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يُوسُف:١٠٦].

فَيُؤْمِنُ مِنْ جِهَةٍ، وَيَقَعُ فِي الشِّرْكِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَىٰ، كَمَا كَانَ صَنِيعُ كُفَّارِ الْعَرَبِ، يُؤْمِنُونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ فِي الْجُمْلَةِ، وَيَكْفُرُونَ وَيُشْرِكُونَ فِي الْأُلُوهِيَّةِ.

وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

٣٣

مِنَ الشِّرْكِ: الِاسْتِعَانَةُ وَالِاسْتِغَاثَةُ وَالِاسْتِعَاذَةُ وَدُعَاءُ غَيْرِ اللهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ

هٰذِهِ عِبَادَاتٌ عَظِيمَاتٌ يَشْمَلُهَا مُسَمَّىٰ الدُّعَاءِ:

- الِاسْتِعَانَةُ: طَلَبُ الْعَوْنِ.
- الِاسْتِغَاثَةُ: طَلَبُ الْغَوْثِ.
- الِاسْتِعَاذَةُ: طَلَبُ الْعَوْذِ.

وَالدُّعَاءُ يَشْمَلُ ذَلِكَ كُلَّهُ.

فَصَرْفُ نَوْعٍ مِنْ هٰذِهِ الْعِبَادَاتِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ يُعْتَبَرُ مِنَ **الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ الْمُخْرِجِ مِنَ الْمِلَّةِ.**

وَقَدْ حَدَّ الْعُلَمَاءُ مَا يَجُوزُ مِنْهَا، وَهِيَ الِاسْتِعَانَةُ، وَالِاسْتِغَاثَةُ، وَالِاسْتِعَاذَةُ، وَدُعَاءُ مَنْ تَوَفَّرَتْ فِيهِ هٰذِهِ الشُّرُوطُ:

١- أَنْ يَكُونَ حَاضِرًا حَالَ دُعَائِهِ.

وَلَا يُسَمَّىٰ دُعَاءً، يُسَمَّىٰ طَلَبًا فِي هٰذَا الْحَالِ، لَكِنْ هٰذَا مِنَ الشُّرُوطِ.

٢- أَنْ يَكُونَ قَادِرًا عَلَى النَّفْعِ وَالدَّفْعِ.

٣- أَنْ يَكُونَ حَيًّا.

فَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ من السُّؤَالُ، وَالطَّلَبُ مِنْ غَيْرِ اللهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ، فَإِنَّهُ شِرْكٌ أَكْبَرُ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ.

[٤٢] قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾ [فصلت:٣٦].

[٤٣] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥﴾ [الفلق:١-٥].

[٤٤] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤﴾ [الناس:١-٤].

[٤٥] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ٦﴾ [الجن:٦].

■ وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّهُ: **لَا يَجُوزُ الِاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ.**

■ وَهَكَذَا الْجِنُّ **لَا يَجُوزُ الِاسْتِعَاذَةُ بِهِمْ مُطْلَقًا**؛ لِأَنَّ هٰذَا بَابٌ خَطِيرٌ لِلشِّرْكِ وَالتَّنْدِيدِ.

■ فَمَنْ كَانَ مُسْتَعِينًا، مُسْتَغِيثًا، دَاعِيًا، مُسْتَعِيذًا، فَلْيَكُنْ بِاللهِ وَإِلَى اللهِ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَلَا يُكْرِثُهُ شَيْءٌ.

(٢٢) وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرْتَحِلَ مِنْ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ**». أخرجه مسلم (٢٧٠٩).

قَالَ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي تَيْسِيرِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ:"وَقَدِ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَىٰ أَنَّ الِاسْتِعَاذَةَ بِالْمَخْلُوقِ، أَيْ: فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ، **لَا تَجُوزُ**، وَاسْتَدَلُّوا بِحَدِيثِ خَوْلَةَ". اهـ

(٢٣) وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ**».

أخرجه البخاري (٣٦٠١)، ومسلم (٢٨٨٦).

[٤٦] وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥﴾ [الأحقاف: ٥].

▪ فَهٰذَا دَلِيلٌ صَرِيحٌ صَحِيحٌ فِي: **كُفْرِ وَضَلَالِ مَنْ دَعَا غَيْرَ اللهِ** مِنَ الْمَقْبُورِينَ وَالْأَمْوَاتِ وَالْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ، عَلَىٰ مَا يَفْعَلُهُ غُلَاةُ الشِّرْكِ وَعُبَّادُ الْقُبُورِ.

[٤٧] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٢٣﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

فَفِي هَذِهِ الْآيَةُ: قَطْعُ جَمِيعِ الْعَلَائِقِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا يُدْعَىٰ غَيْرُ اللهِ.

فَلَا مُلْكٌ لِهٰذِهِ الْمَعْبُودَاتِ.

وَلَا مُشَارَكَةَ، وَلَا مُعَاوَنَةَ، فَلِمَاذَا يَتَعَلَّقُ بِهَا إِذًا؟!

وَقَدْ كَثُرَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الشِّرْكُ فِي هٰذَا الْبَابِ، حَتَّىٰ مِمَّنْ يَقُولُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ، كَمَا فِي قَوْلِ الْبُوصِيرِي:

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ ... سِوَاكَ عِندَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ
وَلَنْ يُضِيقَ رَسُولَ اللهِ جَاهُكَ بِي ... إِذِ الْكَرِيمُ تَجَلَّىٰ بِاسْمِ مُنْتَقِمِ
فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَتِي ... مُحَمَّدًا وَهُوَ أَوْفَىٰ الْخَلْقِ بِالذِّمَمِ
إِنْ لَمْ تَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي ... فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ

وَكَمْ فِي كَلَامِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ مِنْ دُعَاءِ الْمَقْبُورِينَ!، فَقَالَ بَعْضُهُمْ:

هَاتِ لِي مِنْكَ يَا ابْنَ مُوسَىٰ إِغَاثَةً ... عَاجِلًا فِي سَيْرِهَا حَثَاثَة

وَكَدُعَاءِ **الْجِيلَانِي**، وَ**ابْنِ عَلْوَان**، وَمَا يُسَمُّونَهُمْ: **بِالْغَوْثِ**، وَ**الْقُطْبِ**، وَ**الْوَتِدِ**، وَمَا يَقَعُ مِنْ دُعَاءِ هُودٍ، وَدُعَاءِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَغَيْرِهِمْ، فَفِي كُلِّ قُطْرٍ مِنَ الْمَقْبُورِينَ الْمَرْبُوبِينَ، مَنْ أَشْرَكُوا بِهِمْ وَنَدَّدُوا، وَهُوَ نَفْسُ عِبَادَةِ اللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ.

▫ **وَالْفِرَقُ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ عَبَّادِ الْقُبُورِ وَبَيْنَ الْمُتَقَدِّمِينَ**: أَنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ وَمَنْ إِلَيْهِمْ كَانُوا يَدْعُونَ اللهَ فِي الشِّدَّةِ، وَهَؤُلَاءِ يَدْعُونَ الْمَقْبُورِينَ فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ.

[٤٨] كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ٣٢﴾ [لقمان:٣٢].

[٤٩] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ٦٥﴾ [العنكبوت:٦٥].

وَمِنْ ذَلِكَ دُعَاءُ الْخَمْسَةِ، وَهُمْ مُحَمَّدٌ، وَعَلِيٌّ، وَالْحَسَنُ، وَالْحُسَيْنُ، وَفَاطِمَةُ حَتَّىٰ قَالَ بَعْضُهُمْ:

لِـي خَمْسَـةٌ هُـمْ الْحِجَـا ... مِـنْ نَـارِ لَظَـى وَالْحَاطِمَـهْ
الْمُصْـطَفَى وَالْمُرْتَضَـى ... وَابْنَاهُمَـا وَالْفَاطِمَـهْ

وَمَنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنْ ذَلِكَ، فَلْيَتَأَمَّلْ شِعْرَ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْبُرْعِيِّ وَتَوَسُّلَهُ؛ بَلْ وَدُعَاءَهُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا لَا يَجُوزُ إِلَّا لِلَّهِ، حَيْثُ يَقُولُ:

وَحُـلْ عُقْـدَةَ كَرْبِـي يَـا مُحَمَّـدُ مَـنْ ... هَـمٍّ عَلَـىٰ خَطَـرَاتِ الْقَلْـبِ مُطْـرِدِ
أَرْجُوكَ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ تُشْهِدُنِي ... كَيْمَـا يُهَـوِّنُ إِذِ الْأَنْفَـاسُ فِـي صَـعَدِ
وَإِنْ نَزَلْـتُ ضَـرِيحًا لَا أَنِـيسَ بِـهِ ... فَكُـنْ أَنِـيسَ وَحِيـدٍ فِيـهِ مُنْفَـرِدِ
وَارْحَـمْ مُؤَلِّفَهَـا عَبْـدَ الـرَّحِيمِ وَمَـنْ ... يَلِيـهِ مِـنْ أَهْلِـهِ وَأَنْعِشْـهُ وَافْتَقِـدِ
وَإِنْ دَعَـا فَأَجِبْـهُ وَاحْـمِ جَانِبَـهُ ... مِـنْ حَاسِـدٍ شَـامِتٍ أَوْ ظَـالِمٍ نَكِـدِ

فَمَاذَا بَعْدَ هٰذَا الشِّرْكِ الظَّاهِرِ وَالزُّورِ الشَّاهِرِ؟!

قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ "مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ وَسَائِطَ، يَدْعُوهُمْ، وَيَسْأَلُهُمُ الشَّفَاعَةَ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ؛ **كَفَرَ إِجْمَاعًا**". اهـ

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَمِنْ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ طَلَبُ الْحَوَائِجِ مِنَ الْمَوْتَىٰ، وَالِاسْتِغَاثَةُ بِهِمْ، وَالتَّوَجُّهُ إِلَيْهِمْ ، **وَهَذَا أَصْلُ شِرْكِ الْعَالَمِ** ". اهـ مدارج السالكين (١/ ٣٥٣).

[٥٠] وقد قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر:٢٢].

■ وَكَمَا لَا يَجُوزُ دُعَاءُ الْأَمْوَاتِ وَالِاسْتِغَاثَةُ وَالِاسْتِعَانَةُ بِهِمْ، كَذَلِكَ لَا يَجُوزُ التَّوَسُّلُ بِذَوَاتِهِمْ.

كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ:

يَـــا رَبَّ بِهِـــمُ وَبِـــآلِهِمُ عَجِّـــلْ بِالْغَيْـــثِ وَبِـــالْفَرَجِ

[٥١] فَقَدْ قَالَ رَبُّنَا عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس:١٠٦].

•أَيْ: الْكَافِرِينَ.

[٥٢] وَكَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان:١٣].

▫ وَمَا جَاءَ مِنَ الأَحَادِيثِ فِي جَوَازِ دُعَاءِ غَيْرِ اللهِ فَهِيَ: ضَعِيفَةٌ، بَلْ مَوْضُوعَةٌ؛ **لِأَنَّهَا مُخَالَفَةٌ لِلْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ، وَالثَّوَابِتِ وَالأُصُولِ.**

(٢٤) وَمِنْهَا حَدِيثُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا انْفَلَتَتْ دَابَّةُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَلْيُنَادِ: يَا عِبَادَ اللهِ احْبِسُوا**».

أَخْرَجَهُ ابْنُ السُّنِّيِّ (٥٠٨)، وَفِي سَنَدِهِ مَعْرُوفُ بْنُ حَسَّانٍ أَبُو مُعَاذٍ السُّورَقُنْدِيُّ، مُنْكَرُ الْحَدِيثِ، وَمِثْلُ حَدِيثِهِ لَا تَقُومُ بِهِ حُجَّةٌ.

وَاللهُ الْمُوَفِّقُ.

٣٤

الطِّيَرَةُ

○ (**الطِّيَرَةُ**) هِيَ: التَّشَاؤُمُ بِمَرْئِيٍّ، أَوْ مَسْمُوعٍ، وَنَحْوِهِمَا.

سُمِّيَتِ الطِّيَرَةُ بِهَذَا الِاسْمِ؛ لِأَنَّ العَرَبَ كَانُوا يَتَشَاءَمُونَ بِالطَّيْرِ، بِالسَّوَانِحِ وَالبَوَارِحِ:

• فـ(**السَّانِحُ**): مَا مَضَىٰ لِيَمِينِهِ.

• وَ(**البَارِحُ**): مَا مَضَىٰ لِيَسَارِهِ.

▪ وَرُبَّمَا أَضَافُوا غَيْرَهُ إِلَيْهِ، كَالتَّشَاؤُمِ بِالحِمَارِ أَوِ الغُرَابِ، وَرُبَّمَا تَشَاءَمُوا فِي المَعْنَوِيَّاتِ وَالحِسِّيَّاتِ، كَمَسْمُوعٍ أَوْ مَرْئِيٍّ، عَلَىٰ مَا تَقَدَّمَ.

وَلَوْ تَأَمَّلْنَا سَبَبَهَا لَوَجَدْنَاهُ مِنْ تَخْوِيفِ الشَّيْطَانِ لِمَنْ يَقَعُ فِي حِبَالِهِ، وَإِلَّا فَإِنَّ الطَّيْرَ فِي حَالِ ذَهَابِهَا وَرُجُوعِهَا لَا تَعْلَمُ شَيْئًا مِنَ الخَيْرِ أَوِ الشَّرِّ، وَلَا تَتَوَجَّهُ لِخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَإِنَّمَا تَبْحَثُ عَنْ قُوتِهَا وَغِذَائِهَا حَيْثُ وَجَّهَهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

▪ وَالْوَاجِبُ عَلَىٰ المُسْلِمِ حُسْنُ التَّوَكُّلِ، وَالِاعْتِمَادِ عَلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَعَدَمُ النَّظَرِ إِلَىٰ مِثْلِ هَذِهِ الوَسَاوِسِ، وَمَا يُلْقِيهِ الشَّيْطَانُ.

[٥٣] قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عِمْرَان: ١٧٥].

▪ وَقَدْ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ رَادًّا عَلَىٰ مَنْ تَشَاءَمَ بِالصَّالِحِينَ:

[٥٤] ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١﴾ [الأَعْرَاف: ١٣١].

• أَيْ: مَا قُدِّرَ وَقُضِيَ عَلَيْهِمْ، فَمِنْ عِندِ اللهِ، فَالخَيْرُ قَدَّرَهُ اللهُ، وَالشَّرُّ قَضَاهُ اللهُ.

[٥٥] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩﴾ [يس: ١٨ - ١٩].

• أَيْ: حَظُّكُمْ، وَمَا نَالَكُمْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ بِسَبَبِ أَفْعَالِكُمْ، وَكُفْرِكُمْ وَمُخَالَفَتِكُمْ النَّاصِحِينَ.

[٥٦] كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشُّورَىٰ: ٣٠].

■ وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الطِّيَرَةَ فِي القُرْآنِ عَنْ أَعْدَاءِ الرُّسُلِ، إِذْ أَنَّ هَذَا الفِعْلَ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ المُوَحِّدِينَ، بَلْ لَوْ وُجِدَ صُرِفَ مُبَاشَرَةً.

(٢٥) فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**». أخرجه أحمد (٤١٥٤)، وأبو داود (٣٩١٥).

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وَمَا مِنَّا إِلَّا وَيُذْهِبُهُ اللهُ بِالتَّوَكُّلِ".

• فَدَلَّ الحَدِيثُ عَلَىٰ: أَنَّ الطِّيَرَةَ قَدْ تَطْرَأُ، لَكِنَّهَا فِي المُؤْمِنِ غَيْرُ مُسْتَقِرَّةٍ، وَيَطْرُدُهَا بِالتَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِهِ، وَالِاعْتِمَادِ عَلَيْهِ.

(٢٦) وَقَدْ نَفَىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطِّيَرَةَ، فَقَالَ: «**لَا عَدْوَىٰ وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ**». أخرجه البخاري (٥٧٥٧)، مسلم (٢٢٢٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢٧) • وَالمَعْنَىٰ: لَا عَدْوَىٰ بِنَفْسِهَا، وَعَلَىٰ الوَجْهِ الَّذِي كَانُوا يَعْتَقِدُونَهُ فِي الجَاهِلِيَّةِ مِنْ إِضَافَةِ الفِعْلِ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَإِلَّا فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَىٰ مُصِحٍّ**». أخرجه البخاري (٥٧٧٤،٥٧٧٣)، ومسلم (٢٢٢١) عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢٨) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**فِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ**». أخرجه أحمد (٩٧٢٢) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

▪ وَهَكَذَا فِي قَوْلِهِ: «**وَلَا طِيَرَةَ**». أخرجه البخاري (٥٧٥٧)، ومسلم (٢٢٢٠) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ نَهْيٌ، وَنَفْيٌ؛ لِأَنَّ العُلَمَاءَ اخْتَلَفُوا: هَلْ هُوَ لِلنَّهْيِ أَمْ لِلنَّفْيِ؟

فَلَوْ قُلْنَا بِأَنَّهَا: نَهْيٌ مُطْلَقًا، قَدْ تَكُونُ مَوْجُودَةً، وَإِنَّمَا النَّهْيُ عَنْ تَعَاطِيهَا.

وَلَكِنِ النَّفْيُ عَلَىٰ أَنَّهَا غَيْرُ مَوْجُودَةٍ، وَلَا أَسَاسَ لَهَا أَصْلًا.

وَرَجَّحَ ابْنُ القَيِّمِ النَّفْيَ؛ **لِأَنَّهُ أَبْلَغُ فِي رَدِّ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ**.

(٢٩) فَفِي حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ بْنِ الحَكَمِ السُّلَمِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ قَالَ: «**فَإِنَّ ذَلِكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ**». أخرجه أحمد (٢٣٧٦٧)، وأصله في مسلم (٥٣٧).

• قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: مَعْنَاهَا: قَالَ العُلَمَاءُ: مَعْنَاهَا أَنَّ (الطِّيَرَةَ) شَيْءٌ تَجِدُونَهُ فِي نُفُوسِكُمْ ضَرُورَةً، وَلَا عَتَبَ عَلَيْكُمْ فِي ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ غَيْرُ مُكْتَسَبٍ لَكُمْ، فَلَا تَكْلِيفَ بِهِ، وَلَكِنْ لَا تُمْنَعُوا بِسَبَبِهِ مِنَ التَّصَرُّفَاتِ فِي أُمُورِكُمْ.

فَنَهَاهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَنِ العَمَلِ بِالطِّيَرَةِ، وَالِامْتِنَاعِ مِنْ تَصَرُّفَاتِهِمْ بِسَبَبِهَا. اهـ شرحه علىٰ مسلم (٥/ ٢٣).

❖ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ حِينَ يَتَطَيَّرُونَ قَدْ يَقَعُ بِهِمْ مَا تَخَوَّفُوهُ، وَيَكُونُ ذَلِكَ عُقُوبَةً لَهُمْ، بِخِلَافِ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَرَجَاهُ.

(٣٠) وَأَمَّا مَا جَاءَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي الفَرَسِ، وَالمَرْأَةِ، وَالدَّارِ**»، وفي لفظ: «**إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ فَفِي الدَّارِ، وَالمَرْأَةِ، وَالفَرَسِ**». أخرجه البخاري (٢٨٥٨)، ومسلم (٢٢٢٥).

• إِنَّمَا الْمُرَادُ مَا فِيهَا مِنْ سُوءِ الْحَالِ:

- فَشُؤْمُ الْبَيْتِ فِي ضِيقِهِ وَجِيرَانِهِ وَمَكَانِهِ.
- وَشُؤْمُ الْمَرْأَةِ فِي أَخْلَاقِهَا وَأَفْعَالِهَا.
- وَشُؤْمُ الْفَرَسِ فِي جُنُوحِهِ وَعَدَمِ سَكِينَتِهِ.

وَلَيْسَ الْمَعْنَىٰ أَنَّ التَّشَاؤُمَ يَكُونُ مِنْ ذَوَاتِهَا.

• قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "إِخْبَارُهُ بِالشُّؤْمِ فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ لَيْسَ فِيهِ إِثْبَاتُ الطِّيَرَةِ الَّتِي نَفَاهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وَإِنَّمَا غَايَتُهُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ يَخْلُقُ أَعْيَانًا مِنْهَا مَشْؤُومَةً عَلَىٰ مَنْ قَارَبَهَا وَسَكَنَهَا، وَأَعْيَانًا مُبَارَكَةً لَا يَلْحَقُ مَنْ قَارَبَهَا مِنْهَا شُؤْمٌ وَلَا شَرٌّ". اهـ في مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٥٧)

▪ فَعَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يَحْتَاطَ لِدِينِهِ وَتَوْحِيدِهِ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ، فَإِنْ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ تَطَيُّرٌ، أَوْ تَشَاؤُمٌ فَلْيَمْضِ فِي أَمْرِهِ وَلَا يَضُرُّهُ ذَاكَ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَقَدْ حَقَّقَ الطِّيَرَةَ.

○ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ. «**إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ**»أخرجه أحمد عن الفضل بن عباس؛ لَكِنْ هَذَا هُوَ حَدُّ الطِّيَرَةِ الْمَنْهِيِّ عَنْهَا، فَيَكُونُ فِعْلُهُ، وَتَرْكُهُ عَلَىٰ مُقْتَضَىٰ مَا تَطَيَّرَ بِهِ.

▪ وَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ الْفَأْلُ، فَإِنَّهُ قَائِمٌ عَلَىٰ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ، وَالرَّجَاءِ فِيمَا عِنْدَهُ، وَالطِّيَرَةُ قَائِمَةٌ عَلَىٰ سُوءِ الظَّنِّ بِاللهِ.

(٣١) وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا عَدْوَىٰ وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ**»، قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟قَالَ: «**الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ**». أخرجه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَلَيْسَ فِي الْإِعْجَابِ بِالْفَأْلِ وَمَحَبَّتِهِ شَيْءٌ مِنَ الشِّرْكِ، بَلْ ذَلِكَ إِبَانَةٌ عَنْ مُقْتَضَىٰ الطَّبِيعَةِ، وَمُوجِبِ الفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي تَمِيلُ إِلَىٰ مَا يُلَائِمُهَا وَيُوَافِقُهَا". اهـ مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٤٤).

■ ثُمَّ إِنَّ الْفَأْلَ الْحَسَنَ حُسْنُ ظَنٍّ بِاللهِ، وَالرَّجَاءُ فِيمَا عِنْدَهُ، وَكُلُّ هَذِهِ عِبَادَاتٌ قَلْبِيَّاتٌ عَظِيمَاتٌ.

(٣٢) فَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَنْ رَبِّهِ: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ**». أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

المُهِمُّ: أَنَّ مَا كَانَ يَعُودُ عَلَىٰ التَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِهِ مِنْ أَقْوَالٍ، أَوْ أَفْعَالٍ، أَوْ مَرْئِيٍّ، أَوْ مَسْمُوعٍ، فَهُوَ مِنَ الفَأْلِ وَلَيْسَ مِنَ الطِّيَرَةِ، فِي سَرْدٍ وَلَا وُرُودٍ.

وَالعَكْسُ: مَا كَانَ يَقُومُ عَلَىٰ ضَعْفِ التَّوَكُّلِ وَسُوءِ الظَّنِّ بِاللهِ، وَالتَّعَلُّقِ بِغَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي جَلْبِ نَفْعٍ وَدَفْعِ ضَرٍّ، فَهُوَ الطِّيَرَةُ المُحَرَّمَةُ المَمْنُوعَةُ.

■ ثُمَّ إِنَّ مُتَعَاطِيَ الطِّيَرَةِ بَيْنَ شِرْكَيْنِ إِنْ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ مَا تَطَيَّرَ بِهِ هُوَ جَالِبٌ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ، المُتَصَرِّفُ بِهِمَا، **فَهُوَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ المُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ**.

وَإِنْ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّهَا أَسْبَابٌ لِمَا أَمَّلَهُ، أَوْ تَخَوَّفَهُ مَعَ أَنَّ الأَمْرَ عَائِدٌ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، **فَهُوَ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**، وَالفَرْقُ وَاضِحٌ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

▫ **فَالشِّرْكُ الأَصْغَرُ هُوَ كُلُّ وَسِيلَةٍ وَذَرِيعَةٍ يُتَطَرَّقُ مِنْهَا إِلَىٰ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ، مِنَ الإِرَادَاتِ وَالأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ.**

وَيُعْتَبَرُ هَذَا مِنَ الأَمْرَاضِ المُنْتَشِرَةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ البِلَادِ.

- فَبَعْضُهُمْ يَتَطَيَّرُ بِـ(البُومَةِ).
- وَبَعْضُهُمْ يَتَطَيَّرُ: بِـ(الأَسْمَاءِ).
- وَبَعْضُهُمْ يَتَطَيَّرُ بِـ(الأَشْخَاصِ).
- وَبَعْضُهُمْ يَتَطَيَّرُ بِحَرَكَاتٍ فِي الجِسْمِ كَـ(رَفَّةِ العَيْنِ).
- وَرُبَّمَا (بصَرِيرِ الأُذُنِ).
- وَ (بحِكَّةِ الرِّجْلِ)، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

▪ وَالشَّيْطَانُ حَرِيصٌ عَلَىٰ إِضْعَافِ النَّاسِ فِي التَّوْحِيدِ بِأَيِّ وَسِيلَةٍ.

نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالعَافِيَةَ.

٣٥

مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ

(٣٣) فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**». أخرجه الترمذي (١٥٣٥)، وفي سنده انقطاع بين سعيد بن عبيدة وابن عمر؛ ولكنه في الباب وله شواهد كثيرة تدل عليه.

(٣٤) وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ فِي سَفَرٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَحَلَفْتُ بِأَبِي، فَقَالَ: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**». أخرجه البخاري (٦٦٤٧)، ومسلم بنحوه (١٦٤٦).

(٣٥) وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَحْلِفُوا بِالطَّوَاغِي وَلَا بِآبَائِكُمْ**». أخرجه مسلم(١٦٤٨).

○ وَ(الطَّوَاغِيتُ): جَمْعُ طَاغِيَةٍ، وَهُوَ مَا كَانَ يُعْبَدُ مِنَ الْأَصْنَامِ.

(٣٦) وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِلَّا مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلَا يَحْلِفْ إِلَّا بِاللهِ**»، فَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَحْلِفُ بِآبَائِهَا فَقَالَ: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ**». أخرجه البخاري(٣٨٣٦)، ومسلم(١٦٤٦).

(٣٧) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**». أخرجه البخاري(٤٨٦٠)، ومسلم(١٦٤٧).

• قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "قَالَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْيَمِينُ إِنَّمَا تَكُونُ بِالْمَعْبُودِ الْمُعَظَّمِ، فَإِذَا حَلَفَ بِاللَّاتِ وَنَحْوِهَا **فَقَدْ ضَاهَى الْكُفَّارَ**، فَأُمِرَ أَنْ يَتَدَارَكَ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ.

وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: مَنْ حَلَفَ بِهَا جَادًّا **فَهُوَ كَافِرٌ**، وَمَنْ قَالَهَا جَاهِلًا أَوْ ذَاهِلًا، يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يُكَفِّرُ اللهُ عَنْهُ، وَيَرُدُّ قَلْبَهُ عَنِ السَّهْوِ إِلَىٰ الذِّكْرِ، وَلِسَانَهُ إِلَىٰ الْحَقِّ، وَيَنْفِي عَنْهُ مَا جَرَىٰ بِهِ مِنَ اللَّغْوِ". اهـ فتح الباري (٨/ ٦١٣).

(٣٨) ▪ وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا**». أخرجه أبو داود (٣٢٥٣).

ويُرْوَىٰ عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا". أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٧٠٩٠).

• لِأَنَّ الْحَلِفَ بِاللهِ تَوْحِيدٌ، وَالْحَلِفَ بِغَيْرِهِ شِرْكٌ، وَإِنْ قُدِّرَ الصِّدْقُ فِي الْحَلِفِ بِغَيْرِ اللهِ، فَحَسَنَةُ التَّوْحِيدِ أَعْظَمُ مِنْ حَسَنَةِ الصِّدْقِ، وَسَيِّئَةُ الْكَذِبِ أَهْوَنُ مِنْ سَيِّئَةِ الشِّرْكِ. أفاده الشيخ سليمان بن عبد الله في "تيسير العزيز الحميد".

وَالْمُتَأَمِّلُ لِحَالِ النَّاسِ الْآنَ، يَجِدْ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَيْمَانِهِمْ وَحَلِفِهِمْ بِغَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ هَذَا يَحْلِفُ بِشَرَفِهِ، وَالْآخَرُ بِالْأَمَانَةِ، وَذَاكَ بِرُتْبَتِهِ وَوَجَاهَتِهِ.

وَأَمَّا الْحَلِفُ بِالْمَقْبُورِينَ الْمَرْبُوبِينَ فَحَدِّثْ وَلَا حَرَجَ!؛ بَلْ إِنَّ الْيَمِينَ عِنْدَهُمْ لَا تُؤَكَّدُ إِلَّا بِالْحَلِفِ بِهَذِهِ الطَّوَاغِيتِ الَّتِي زَاحَمَتْ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ؛ بَلْ وَفِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ!!.

وَالْأَصْلُ فِي الْحَلِفِ بِغَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَنَّهُ **شِرْكٌ أَصْغَرُ**.

- لَكِنْ إِنْ صَاحَبَ اعْتِقَادُ الْحَالِفِ:

- أَنَّ مَنْ حَلَفَ بِهِ لَهُ تَصَرُّفٌ، أَوْ إِرَادَةٌ، وَمَشِيئَةٌ تَخْرُجُ عَنْ إِرَادَةِ اللهِ وَمَشِيئَتِهِ.

- أَوْ أَنَّ لَهُ قُدْرَةً يَضُرُّ وَيَنْفَعُ بِهَا مِنْ دُونِ اللهِ.

- أَوِ اعْتَقَدَ أَنَّهُ يَصْلُحُ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللهِ.
- أَوِ اسْتَغَاثَ بِهِ.

فَإِنَّهُ يَكُونُ بِذَلِكَ مُشْرِكًا شِرْكًا أَكْبَرَ بِهَذَا الِاعْتِقَادِ. قاله الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

■ وَيَتَعَيَّنُ عَلَىٰ مَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ أَنْ يَرْضَىٰ تَعْظِيمًا لِجَانِبِ الرُّبُوبِيَّةِ.

□ **فَإِنَّ تَعْظِيمَ شَعَائِرِ اللهِ هُوَ تَعْظِيمٌ لِلَّهِ وَعِبَادَةٌ لَهُ، فَهُوَ تَابِعٌ لِتَعْظِيمِ اللهِ وَإِجْلَالِهِ.**

(٣٩) فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رَأَىٰ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ، فَقَالَ لَهُ: أَسَرَقْتَ؟ قَالَ: كَلَّا وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَقَالَ عِيسَىٰ: آمَنْتُ بِاللهِ، وَكَذَّبْتُ عَيْنِي**». أخرجه البخاري (٣٤٤٤)، ومسلم (٢٣٦٨).

(٤٠) وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ**». أخرجه ابن ماجه (٢١٠١) وسنده حسن.

■ وأَمَّا مَا جَاءَ مِنْ إِقْسَامِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، فَهُوَ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ، وَلَا يَجُوزُ لِنَا أَنْ نَحْلِفَ، أَوْ نُقْسِمَ بِغَيْرِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ بيَّنَ ذَلِكَ بَيَانًا شَافِيًا كَافِيًا.

■ وَمَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ، فَكَفَّارَتُهُ التَّوبَةُ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

وَبِالنِّسْبَةِ لِمَعْنَىٰ قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ:

[٥٧] ﴿وَٱلشَّمۡسِ﴾ [الشَّمْسِ: ١].

[٥٨] ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾ [اللَّيْلِ: ١].

[٥٩] ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١﴾ [الْعَصْرِ: ١].

- قَالُوا: لِلَّهِ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ.
- وَقَالُوا: هُنَاكَ تَقْدِيرٌ مَحْذُوفٌ: وَرَبِّ الْعَصْرِ، وَرَبِّ اللَّيْلِ، وَهَكَذَا. وَالْأَوَّلُ أَوْلَىٰ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

٣٦

الشَّفَاعَةُ الْمَمْنُوعَةُ

وَذُكِرَتِ الشَّفَاعَةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ عَلَىٰ حَالَيْنِ:

- الْأَوَّلُ: الْإِثْبَاتُ.
- وَالثَّانِي: النَّفْيُ.

• فَـ(الْمُثْبَتَةُ): مَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ فِي مُؤْمِنٍ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

• وَ(الْمَنْفِيَّةُ): مَا كَانَتْ لِكَافِرٍ، أَوْ طُلِبَتْ مِنْ صَنَمٍ، أَوْ وَثَنٍ، وَنَحْوِهِ.

[٦٠] قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الْمُدَّثِّر: ٤٨].

[٦١] وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

[٦٢] وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ [مريم: ٨٧].

[٦٣] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩].

[٦٤] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣].

[٦٥] وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف: ٨٦].

• قَالَ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللهِ فِي "تَيْسِيرِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ":"فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مِنَ الرَّدِّ عَلَىٰ مَنْ عَبَدَ الْمَلَائِكَةَ وَالصَّالِحِينَ لِشَفَاعَةٍ أَوْ غَيْرِهَا مَا لَا

يَخْفَىٰ، لِأَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا بِإِذْنٍ مِنَ اللهِ ابْتِدَاءً، فَلِأَيِّ مَعْنًىٰ يُدْعَوْنَ وَيُعْبَدُونَ؟

وَأَيْضًا: فَإِنَّ اللهَ لَا يَأْذَنُ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ، وَهُوَ الْمُوَحِّدُ لَا الْمُشْرِكُ". اهـ

▪ فَالْمُشْرِكُونَ شِرْكُهُمْ قَائِمٌ عَلَىٰ طَلَبِ الشَّفَاعَةِ مِنْ آلِهَتِهِمُ الْمَزْعُومَةِ.

▫ **فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ مَا قَصَدُوا مِنْ مَعْبُودَاتِهِمْ إِلَّا الْقُرْبَةَ وَالشَّفَاعَةَ، وَيَقُولُونَ: نُرِيدُ مِنَ اللهِ لا مِنْهُمْ، لَكِنْ بِشَفَاعَتِهِمْ وَالتَّقَرُّبِ إِلَىٰ اللهِ بِهِمْ.**

[٦٦] قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونُس: ١٨].

[٦٧] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الزُّمَر: ٤٣].

فَنَفَىٰ اللهُ شَفَاعَتَهَا لَهُمْ، وَقَطَعَ عَلَيْهِمْ كُلَّ طَرِيقٍ فِي شِرْكِهِمْ وَبَاطِلِهِمْ.

فَيَتَعَيَّنُ عَلَىٰ الْمُكَلَّفِ إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَتَجْرِيدُ التَّوْحِيدِ إِنْ أَرَادَ السَّلَامَةَ.

▪ وَالشَّفَاعَةُ تُطْلَبُ مِنَ اللهِ وَبِالْوَسَائِلِ الَّتِي شَرَعَهَا اللهُ، غَيْرُ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَقَدْ سَمِعْنَا مَنْ يَقُولُ: (يَا مُحَمَّدُ اشْفَعْ لِي)، (يَا أَبَا فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ اشْفَعْ لِي)، وَهَكَذَا تَجِدُ كَثِيرًا يَدْعُونَ الْقُبُورَ لِطَلَبِ الشَّفَاعَةِ، فَطَلَبُ الشَّفَاعَةِ مِنْ مَيِّتٍ شِرْكٌ أَكْبَرُ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، حَتَّىٰ وَلَوْ طُلِبَتْ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

❖ وَأَمَّا يَوْمُ الْقِيَامَةِ حِينَ يَقُولُونَ: (اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ)، فَهُمْ يَسْأَلُونَ حَيًّا حَاضِرًا قَادِرًا، وَهُوَ يَقُومُ وَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ كَمَا فِي أَحَادِيثِ الشَّفَاعَةِ الْمُطَوَّلَةِ: «**فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الْآنَ**» حَتَّىٰ يَقُولَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: «**ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ: يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**». أخرجه مسلم (٣٢٦).

أَمَّا أَنْ تُسْأَلَ مِنْ مَقْبُورٍ، أَوْ تُسْأَلَ مِنْ صَنَمٍ وَوَثَنٍ، فَهَذَا هُوَ الشِّرْكُ الَّذِي رَدَّ اللهُ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ.

كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣].

وَقَالُوا: إِنَّهُمُ اتَّخَذُوهُمْ شُفَعَاءَ عِنْدَ اللهِ، فَأَكْذَبَهُمُ اللهُ فِي الْحَالَيْنِ.

فَمَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ وَاسِطَةً يَدْعُوهَا وَيَرْجُوهَا وَيَعْتَمِدُ عَلَيْهَا وَيَعْبُدُهَا وَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهَا، فَهُوَ كَافِرٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ، وَبِحُكْمِ الْمَلِكِ الدَّيَّانِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَهُوَ الَّذِي جَرَىٰ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

٣٧

الْحُكْمُ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ كُفْرٌ

[٦٨] ▪ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤].

[٦٩] ▪ وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة: ٤٥].

[٧٠] ▪ وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: ٤٧].

▪ فَتَبَيَّنَ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ خَطَرُ الْحُكْمِ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وَأَنَّ صَاحِبَهُ كَافِرٌ وَظَالِمٌ وَفَاسِقٌ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ جُرْمِ هَذِهِ الْفِعْلَةِ الَّتِي يَتَعَيَّنُ أَلَّا تَصْدُرَ مِنْ مُسْلِمٍ مُطْلَقًا.

[٧١] قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠].

[٧٢] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

• أَيْ: يَطْلُبُونَ، وَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ هُوَ الْحُكْمُ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ.

إِذْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَحَاكَمُونَ إِلَىٰ الْكُهَّانِ وَالطَّوَاغِيتِ، فَنَهَاهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَنْ ذَلِكَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَكُونَ تَحَاكُمُهُمْ إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

(٤١) وَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فِي شَأْنِ الْمَرْأَةِ الَّتِي زَنَتْ، فَجَاءَ زَوْجُهَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَقَالَ: «**يَا رَسُولَ اللهِ اقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللهِ**...» الْحَدِيثُ.

[٧٣] ▪ وَإِنَّمَا الْإِعْرَاضُ عَنْ ذَلِكَ فِعْلُ الْمُنَافِقِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ٤٨ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ٤٩ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٥٠ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥١﴾ [النور: ٤٨-٥١].

▪ فَتَأَمَّلْ مَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ وَصْفٍ عَظِيمٍ لِحَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، مَعَ حُكْمِ اللهِ الْحَكِيمِ، فَالْمُؤْمِنُ مُنْقَادٌ فِي جَمِيعِ حَالِهِ، وَالْمُنَافِقُ يَتَّبِعُ الْمَصْلَحَةَ الدُّنْيَوِيَّةَ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

▪ فَالتَّحَاكُمُ إِلَىٰ غَيْرِ كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ جُرْمٌ عَظِيمٌ، وَصَفَهُ اللهُ بِأَنَّهُ فِعْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، وَوَصَفَ بِهِ خُلَّصَ الْمُنَافِقِينَ، وَأَخْبَرَ كَمَا تَقَدَّمَ أَنَّهُ ظُلْمٌ وَكُفْرٌ وَفِسْقٌ.

فَيَا لِلَّهِ، كَمْ صَادَمَ هَذَا الْحُكْمُ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِنْ وَحْيٍ مُبِينٍ، الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، وَكَمْ تَجِدُ مِنِ اخْتِلَافٍ فِي قَوَانِينِهِمْ وَأَحْكَامِهِمْ؛ لِأَنَّهَا غَيْرُ مَأْخُوذَةٍ مِنْ كِتَابِ رَبِّنَا، وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

[٧٤] قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

• لِأَنَّهُمْ قَاصِرُونَ مُقَصِّرُونَ فِي مَعْرِفَةِ الْحُكْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ.

[٧٥] ▪ أَمَّا حُكْمُ رَبِّنَا عَزَّوَجَلَّ فَهُوَ أَحْسَنُ الْحُكْمِ وَأَقْوَمُهُ، لَا خُلْفَ فِيهِ، وَلَا تَنَاقُضَ، وَلَا تَعَارُضَ؛ لِأَنَّهُ صَادِرٌ عَنْ عَلِيمٍ خَبِيرٍ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤].

وَفِي تَفْصِيلِ حُكْمِ مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ:

١- أَنَّ مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ أَنَّ حُكْمَهُ أَفْضَلُ مِنْ حُكْمِ اللهِ، أَوْ مُسَاوٍ لَهُ، أَوْ أَنَّ حُكْمَ اللهِ لَا يَصْلُحُ لِهَذَا الزَّمَانِ، **فَهُوَ كُفْرٌ أَكْبَرُ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ.**

٢- وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَنْ شَهْوَةٍ ،أَوْ هَوًىٰ، **فَهُوَ كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ.**

(٤٢) وقد أَخْرَجَ عبدُ الرَّزَّاقِ في "التَّفْسِيرِ": عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ ابْنِ طَاوُوسٍ، عَنْ طَاوُوسٍ: سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]، قَالَ: "هِيَ كُفْرٌ"، وَقَالَ ابْنُ طَاوُوسٍ: "وَلَيْسَ كَمَنْ كَفَرَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ".

(٤٣) وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءٍ: أَنَّهُ قَالَ: "كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ، وَظُلْمٌ دُونَ ظُلْمٍ، وَفِسْقٌ دُونَ فِسْقٍ". رواه ابن جرير.

(٤٤) وَقَالَ وَكِيعٌ: عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ سَعِيدٍ الْمَكِّيِّ، عَنْ طَاوُوسٍ: قَالَ: "لَيْسَ بِكُفْرٍ يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ".

(٤٥) وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: "لَيْسَ بِالْكُفْرِ الَّذِي يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ".

(٤٦) قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ: "مَنْ جَحَدَ مَا أَنْزَلَ اللهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ أَقَرَّ بِهِ وَلَمْ يَحْكُمْ بِهِ فَهُوَ ظَالِمٌ فَاسِقٌ".

وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ أَنَّ الْآيَةَ فِي شَأْنِ أَهْلِ الْكِتَابِ.

ذَكَرَ هَذِهِ الْآثَارَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ، وَالْبَغَوِيُّ، وَزَادَا:

وَسُئِلَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَىٰ الْكِنَانِيُّ عَنْ هَذِهِ الْآيَاتِ فَقَالَ: "إِنَّمَا تَقَعُ فِي جَمِيعِ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَا عَلَىٰ بَعْضِهِ.

▫ **فَكُلُّ: مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِجَمِيعِ مَا أَنْزَلَ اللهُ فَهُوَ كَافِرٌ ظَالِمٌ فَاسِقٌ.**

فَأَمَّا مَنْ حَكَمَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ التَّوْحِيدِ وَتَرَكَ الشِّرْكَ ثُمَّ لَمْ يَحْكُمْ بِجَمِيعِ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الشَّرَائِعِ لَمْ يَسْتَوْجِبْ حُكْمَ هَذِهِ الْآيَاتِ".

وَقَالَ الْعُلَمَاءُ: "هَذَا إِذَا رَدَّ نَصَّ حُكْمِ اللهِ عِيَانًا عَمْدًا، فَأَمَّا مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ أَوْ أَخْطَأَ فِي تَأْوِيلٍ فَلَا".

وَهَذَا التَّفْصِيلُ هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ.

▪ وَإِنَّمَا يَهُمُّنَا فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الشِّرْكِ وَالتَّنْدِيدِ: أَنَّ الْحُكْمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَيْسَ مِنْ شَرِيعَةِ اللهِ، وَإِنَّهُ كُفْرٌ كَمَا جَاءَ بِهِ النَّصُّ، لَكِنْ عَلَىٰ التَّفْصِيلِ الَّذِي سَبَقَ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

٣٨

مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرَةٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا

وَهَذَا الَّذِي يَفْعَلُهُ مَنْ خَالَفَ الشَّرِيعَةَ، يَتَمَسَّحُونَ وَيَتَبَرَّكُونَ عَلَىٰ غَيْرِ الْوَجْهِ الْمَشْرُوعِ.

- فَرُبَّمَا شَدُّوا الرِّحَالَ إِلَىٰ الْقُبُورِ وَصَلَّوْا بِجَانِبِهَا رَجَاءَ بَرَكَتِهَا.
- وَرُبَّمَا تَمَسَّحُوا بِالْحِجَارَةِ وَمِنْهَا حِجَارَةُ الْكَعْبَةِ، وَرُبَّمَا تَبَرَّكُوا بِالْأَشْجَارِ.
- وَمِنْهَا بِدْعَةُ التَّبَرُّكِ بِذَوَاتِ الصَّالِحِينَ.

[٧٦] - وَمِنْ أَشْهَرِ مَا كَانَ يَتَبَرَّكُ بِهِ مُشْرِكُو الْعَرَبِ الْأَصْنَامُ وَالْأَوْثَانُ، وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ ذَامًّا لَهُمْ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩-٢٠].

- وَكَانَتِ اللَّاتُ لِثَقِيفٍ.
- وَالْعُزَّىٰ لِقُرَيْشٍ وَبَنِي كِنَانَةَ.
- وَمَنَاةُ لِهُذَيْلٍ وَخُزَاعَةَ.

وَغَيْرُهَا كَثِيرٌ كَمَا ذَكَرَ الْكَلْبِيُّ فِي "كِتَابِ الْأَصْنَامِ".

وَكَمَا هُوَ حَالُ الآنَ عُبَّادِ الْقُبُورِ يَتَبَرَّكُونَ بِأَتْرِبَةِ الْمَوْتَىٰ وَأَضْرِحَتِهِمْ، وَأَمَاكِنِ شِرْكِهِمْ، بَلْ رُبَّمَا طَلَبُوا الْبَرَكَةَ مِنْهُمْ، فَيَدْعُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

(٤٧) فَعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَرَجَ إِلَىٰ حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا

أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سُبْحَانَ اللهِ! هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ**: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**».

قَالَ الإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ الطَّرْطُوشِيُّ -مِنْ أَئِمَّةِ الْمَالِكِيَّةِ-: "فَانْظُرُوا رَحِمَكُمُ اللهُ، أَيْنَمَا وَجَدْتُمْ سِدْرَةً أَوْ شَجَرَةً يُقْصَدُهَا النَّاسُ، وَيُعَظِّمُونَهَا، وَيَرْجُونَ الْبُرْءَ وَالشِّفَاءَ مِنْ قِبَلِهَا، وَيَضْرِبُونَ بِهَا الْمَسَامِيرَ وَالْخِرَقَ؛ فَهِيَ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَاقْطَعُوهَا".اهـ

وَهَذَا بَابٌ قَدْ فُتِحَ لَهُ أَهْلُ الشِّرْكِ مِصْرَاعًا وَاسِعًا، يَدْخُلُونَهُ مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ. فَطَلَبُ الْبَرَكَةِ يَكُونُ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَهَذَا مَشْرُوعٌ، وَأَمَّا التَّمَسُّحُ وَطَلَبُ الْبَرَكَةِ مِنْ أَشْيَاءَ مُعَيَّنَةٍ عَلَىٰ غَيْرِ الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ فَمَمْنُوعٌ.

وَأَمَّا الْحُكْمُ فِيهَا، فَصَاحِبُهَا دَائِرٌ بَيْنَ الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ وَالْأَكْبَرِ، فَإِنْ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ الْبَرَكَةَ مِنَ اللهِ، وَهُوَ مُسْدِيهَا وَمُعْطِيهَا، وَإِنَّمَا ظَنَّهَا فِيمَا يَتَمَسَّحُ بِهِ مِنْ رِيقِ الصَّالِحِينَ أَوْ رَشَحِهِمْ أَوِ الْكَعْبَةِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، فَهَذَا شِرْكٌ أَصْغَرُ، وَصَاحِبُهُ عَلَىٰ خَطَرٍ عَظِيمٍ، فَهُوَ سَبِيلٌ إِلَىٰ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ.

وَأَمَّا إِنْ كَانَ يَطْلُبُ الْبَرَكَةَ مِنَ الْأَمْوَاتِ، أَوْ يَعْتَقِدُ أَنَّ هَذِهِ الْمُتَبَرَّكُ بِهَا تُعْطِي الْبَرَكَةَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْ مَعَ اللهِ، فَهُوَ الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

وَيَكُونُ التَّفْصِيلُ فِيهَا عَلَىٰ مَا يُقَالُ فِي شِرْكِ الْأَسْبَابِ، فَمَنْ اتَّخَذَ سَبَبًا غَيْرَ شَرْعِيٍّ وَلَا قَدَرِيٍّ اعْتِقَادًا أَنَّ اللهَ هُوَ الْمُتَصَرِّفُ، فَهُوَ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ، وَهُوَ

وَسِيلَةٌ إِلَىٰ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ، وَإِنْ كَانَ يَعْتَقِدُ فِيهَا أَنَّهَا تَنْفَعُ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْ مَعَ اللهِ، فَهَذَا شِرْكٌ فِي الرُّبُوبِيَّةِ، مُخْرِجٌ عَنِ الْمِلَّةِ، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ.

فَعَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ: أَنْ يَتَّقُوا اللهَ عَزَّوَجَلَّ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَأَنْ يَأْخُذُوا دِينَهُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ عَلَىٰ مَذْهَبِ السَّلَفِ الْكِرَامِ، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَتَبَرَّكُوا بِغَيْرِ آثَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، مِنْ رِيقِهِ وَعَرَقِهِ وَشَعَرِهِ وَمَا كَانَ مِنْهُ، لِثُبُوتِ الْبَرَكَةِ فِيهَا وَتَحَقُّقِ ذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمُ التَّبَرُّكُ بِآثَارِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَمَنْ إِلَيْهِمْ، رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، مَعَ أَنَّهُمْ مُبَارَكُونَ وَمُبَشَّرُونَ بِالْجَنَّةِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

❖ **تَنْبِيهٌ**: حَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ الْمَذْكُورُ، اسْتَدَلَّ بِهِ جَمْعٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَىٰ الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ.

وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

٣٩

بَيَانُ عَوْدَةِ الشِّرْكِ إِلَى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ

■ فِي حَدِيثِ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(٤٨) «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّىٰ يَعْبُدُوا الأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ كَذَّابُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي**». أخرجه الترمذي (٢٢١٩)، وجاء عند أحمد وغيره.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(٤٩) «**لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّىٰ تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّىٰ**». أخرجه مسلم (٢٩٠٧).

(٥٠) **وَعَنْ** أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَضْطَرِبَ أَلْيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَىٰ ذِي الْخَلَصَةِ**». أخرجه البخاري (٧١١٦)، ومسلم (٢٩٠٦).

وَذُو الْخَلَصَةِ: طَاغِيَةُ دَوْسٍ الَّذِي كَانُوا يَعْبُدُونَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

❖ قَالَ الحَافِظُ: "قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: هَذَا الحَدِيثُ وَمَا أَشْبَهَهُ، لَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ أَنَّ الدِّينَ يَنْقَطِعُ كُلُّهُ فِي جَمِيعِ أَقْطَارِ الأَرْضِ حَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ مِنْهُ شَيْءٌ، لِأَنَّهُ ثَبَتَ أَنَّ الإِسْلَامَ يَبْقَىٰ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، إِلَّا أَنَّهُ يَضْعُفُ، وَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ". اهـ فتح الباري (١٣/ ٧٧).

هَكَذَا يَكُونُ إِلَىٰ قُرْبِ قِيَامِ السَّاعَةِ، حَتَّىٰ يَبْعَثَ اللهُ رِيحًا، تَأْخُذُ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ، وَيَبْقَىٰ فِي الأَرْضِ مَنْ لَا يَقُولُ: الله، الله، عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ.

▪ وَالَّذِي يُهِمُّنَا هُنَا: إِثْبَاتُ وُجُودِ الشِّرْكِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبُلْدَانِ.

زِدْ عَلَىٰ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الأَدِلَّةِ مَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، حَيْثُ قَالَ:

(٥١) «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ**»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: «**فَمَنْ؟**». أخرجه البخاري (٧٣١٩)، ومسلم (٢٦٦٩) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فَدَلَّ الْحَدِيثُ عَلَىٰ مُتَابَعَةِ طَوَائِفَ مِمَّنْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ.

▪ وَالْمُتَابَعَةُ وَاقِعَةٌ فِي الِاعْتِقَادَاتِ وَالْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ، وَهَذَا أَمْرٌ غَيْرُ مُنْكَرٍ إِلَّا مِنْ مُكَابِرٍ لِلْأَدِلَّةِ وَلِلْوَاقِعِ، وَإِلَّا فَإِنَّنَا نَرَىٰ مَا يَقَعُ عِنْدَ الأَضْرِحَةِ وَالْقُبُورِ يُضَاهِي - إِنْ لَمْ يَزِدْ - عَلَىٰ مَا كَانَتْ تَصْنَعُهُ الْجَاهِلِيَّةُ الأُولَىٰ حَوْلَ الأَصْنَامِ، مِنْ دُعَاءٍ وَنُذُورٍ وَطَوَافٍ وَذَبْحٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ غُرْبَةِ الدِّينِ، وَبُعْدِ النَّاسِ عَنْ التَّوْحِيدِ وَالسُّنَّةِ، إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي.

❖ وَأَمَّا حَدِيثُ: «**أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يُعْبَدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ**». أخرجه مسلم (٢٨١٢) عن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فَهَذَا يَأْسُ الشَّيْطَانِ فِي زَمَنِ قُوَّةِ الإِسْلَامِ، وَخَبَرُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هُوَ الْمُقَدَّمُ، مَعَ مَا ذَكَرْنَا مِنْ ظُهُورِ الدَّلَائِلِ الْكَثِيرَةِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

■ وَمَعَ ظُهُورِ الشِّرْكِيَّاتِ، وَالْبِدَعِ، وَالْخُرَافَاتِ، فَالْحَالُ مَا قَالَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(٥٢) «**لَنْ تَزَالَ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الْحَقِّ مَنْصُورَةً، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ**». أخرجه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٩٢١) عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو في الصحيح عن ثوبان وجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

[٧٧] وَهَذَا مِنْ حِفْظِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لِدِينِهِ، وَإِعْزَازِ كَلِمَتِهِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحِجْر: ٩].

وَحَفِظَ اللهُ الذِّكْرَ لَفْظًا وَمَعْنًىٰ، بِوُجُودِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الْعَامِلَةِ بِالتَّوْحِيدِ، الدَّاعِيَةِ إِلَيْهِ، الْمُحَذِّرَةِ مِنَ الشِّرْكِ، الْقَالِيَةِ لَهُ؛ بَلْ إِنَّهُ عِنْدَ إِطْبَاقِ الْجَهْلِ، يَبْقَىٰ مَنْ يَقُولُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**».

(٥٣) **كَمَا** فِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ عِنْدَ ابْنِ مَاجَهْ: قَالَ صِلَةُ بْنُ زُفَرَ: وَمَا تُغْنِي عَنْهُمْ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»؟قَالَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**تُنَجِّيهِمْ مِنَ النَّارِ**». أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩).

[٧٨] فَلَا يَضُرُّ الْمُشْرِكَ الْمُنَدِّدُ إِلَّا نَفْسَهُ، وَإِلَّا فَدِينُ اللهِ مَنْصُورٌ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ۝٣٨﴾ [مُحَمَّد: ٣٨].

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

٤٠

سَدُّ ذَرَائِعِ الشِّرْكِ

▫ **مِنَ المَقَاصِدِ الشَّرْعِيَّةِ سَدُّ الذَّرَائِعِ المُفْضِيَةِ إِلَىٰ الشِّرْكِ وَالْبِدَعِ وَالْمَعَاصِي، وَقَدْ تَنَوَّعَتْ الطُّرُقُ الشَّرْعِيَّةِ فِي بَيَانِ ذَلِكَ.**

▫ **لِأَنَّ الوَسَائِلُ لَهَا أَحْكَامُ المَقَاصِدِ.**

▪ وَلِخَطَرِ الشِّرْكِ وَضَرَرِهِ، سَدَّ الشَّرْعُ كُلَّ ذَرِيعَةٍ تُوصِلُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَالِاعْتِقَادَاتِ.

▪ إِذْ أَنَّ الشِّرْكَ يَقَعُ بِهَذِهِ الْجَوَارِحِ كَمَا أَنَّ التَّوْحِيدَ يَقَعُ بِهَا، فَيَتَعَيَّنُ عَلَىٰ الْمُوَحِّدِ أَنْ يُوَحِّدَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَوْلًا وَفِعْلًا وَاعْتِقَادًا، وَأَنْ يَبْتَعِدَ عَنِ الشِّرْكِ قَوْلًا وَفِعْلًا وَاعْتِقَادًا.

فَمِنْ هَذَا الْبَابِ سَدَّ الشَّرْعُ كُلَّ ذَرِيعَةٍ تُؤَدِّي إِلَىٰ الشِّرْكِ، وَمِنْهَا:

- أَوَّلًا: **ذَرِيعَةُ الْغُلُوِّ.**

• فَإِنَّ أَغْلَبَ الشِّرْكِ الْوَاقِعِ مِنْ هَذَا الْبَابِ.

[٧٩] وَلِذَلِكَ: قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ [النِّساء: ١٧١].

(٥٤) **وَعَنْ** عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**». أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

-ثَانِيًا: **سَدُّ ذَرِيعَةِ اتِّبَاعِ الْهَوَىٰ.**

• لِأَنَّ اتِّبَاعَ الْهَوَىٰ هُوَ سَبَبُ الْوُقُوعِ فِي الشِّرْكِ.

[٨٠] قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الْجَاثِيَة: ٢٣].

[٨١] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

[٨٢] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [الْمَائِدَة: ٤٩].

- ثَالِثًا: **سَدُّ ذَرِيعَةِ تَقْدِيمِ الْعَقْلِ عَلَىٰ النَّقْلِ.**

• وَهَذَا بَابُ شَرٍّ عَرِيضٍ، وَقَعَتِ الْبِدَعُ وَالشِّرْكِيَّاتُ وَالْمُخَالَفَاتُ بِسَبَبِهِ.

[٨٣] وَاللهُ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الْأَعْرَاف: ٣].

[٨٤] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النِّسَاء: ٥٩].

(٥٥) **وَلَمَّا** قَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ: كَيْفَ أَغْرَمُ مَنْ لَا شَرِبَ، وَلَا أَكَلَ، وَلَا اسْتَهَلَّ، فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ؟، فَقَالَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَسَجْعٌ كَسَجْعِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَكِهَانَتِهَا إِنَّ فِي الصَّبِيِّ غُرَّةً**». أخرجه النسائي (٤٨٢٨) عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأصله في الصحيحين عن المغيرة ومحمد بن مسلمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

- رَابِعًا: **سَدُّ ذَرِيعَةِ تَشْيِيدِ الْقُبُورِ وَاتِّخَاذِهَا مَسَاجِدَ، وَشَدِّ الرِّحَالِ إِلَيْهَا.**

• وَذَلِكَ لِعِلْمِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَنَّ هَذَا بَابُ ضَلَالٍ، وَقَدْ سَلَكَهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ، وَالْأُمَّةُ تَتَابَعُهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنْ شَأْنِهِمْ؛ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ.

(٥٦) **وَلِذَلِكَ** قَالَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**». أخرجه مسلم (٥٣٢) جندب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٥٧) **وَقَالَ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا. أخرجه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٢٩).

(٥٨) **وَنَهَىٰ** عَنْ الصَّلَاةِ إِلَيْهَا، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَجْلِسُوا عَلَىٰ الْقُبُورِ، وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا**». أخرجه مسلم (٩٧٢) عن عن أبي مرثد الغنوي.

▫ **وَذَلِكَ أَنَّ التَّوَجُّهَ إِلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ، أَوْ جِهَةٍ لَمْ يَأْمُرْ بِهِ الشَّارِعُ بِقَصْدِ الْقُرْبَةِ عِبَادَةٌ.**

- خَامِسًا: سَدُّ ذَرِيعَةِ الشِّرْكِ بِالنَّهْيِ عَنِ الْعَصَبِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ.

• إِذْ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ يَتَعَصَّبُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ.

[٨٥] قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الْفَتْحِ: ٢٦].

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَقَعُونَ فِي هَذَا الْبَابِ عَصَبِيَّةً لِجِنْسٍ أَوْ نَسَبٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ.

- سَادِسًا: **سَدُّ ذَرِيعَةِ الشِّرْكِ بِالنَّهْيِ عَنْ مَوَدَّةِ الْكُفَّارِ.**

• لِأَنَّ سَبَبَ الضَّلَالِ التَّشَبُّهُ بِهِمْ.

[٨٦] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الرُّومِ: ٣١-٣٢].

[٨٧] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [التوبة: ٢٣].

[٨٨] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الْمُمْتَحِنَةِ: ١].

- سَابِعًا: **سَدُّ ذَرِيعَةِ الشِّرْكِ بِعِبَادَةِ اللهِ فِي أَمَاكِنِ عِبَادَةِ الْمُشْرِكِينَ.**

[٨٩] قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ، نَاهِيًا رَسُولَهُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عَنْ الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِ الضِّرَارِ: ﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ﴾ [التوبة: ١٠٨].

- ثَامِنًا: **سَدُّ ذَرِيعَةِ الشِّرْكِ بِالنَّهْيِ عَنْ التَّقْلِيدِ.**

• وَذَلِكَ أَنَّ التَّقْلِيدَ دِينُ الْمُشْرِكِينَ.

[٩٠] كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنْهُمْ: ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ﴾ [الزُّخْرُفِ: ٢٢].

• أَيْ: عَلَىٰ طَرِيقِهِ وَمِلَّتِهِ، ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ٢٢﴾ [الزُّخْرُفِ: ٢٢].

[٩١] وَقَالَ: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣﴾ [الزُّخْرُفِ: ٢٣].

▪ وَهَكَذَا يُقَلِّدُ عِبَادُ الْقُبُورِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ فِي تَعْظِيمِهَا وَالْوُصُولِ إِلَىٰ عِبَادَتِهَا.

- تَاسِعًا: **سَدُّ ذَرِيعَةِ الشِّرْكِ بِالنَّهْيِ عَنْ الْقِيَاسِ الْفَاسِدِ.**

[٩٢] قَالَ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنْ قَوْلِ الْكَافِرِينَ: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٨﴾ [الشُّعَرَاءِ: ٩٧-٩٨].

• فَسَوَّوُهُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ فِي الْعِبَادَةِ بِقِيَاسٍ فَاسِدٍ.

- عَاشِرًا: **سَدُّ ذَرِيعَةِ الشِّرْكِ فِي الْقَوْلِ عَلَىٰ اللهِ بِلاَ عِلْمٍ.**

[٩٣] قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

- الْحَادِي عَشَرَ: **سَدُّ ذَرِيعَةِ الشِّرْكِ بِالنَّهْيِ عَنْ الْجَهْلِ.**

• لِأَنَّ كُلَّ بَلَاءٍ سَبَبُهُ الْجَهْلُ، سَوَاءٌ الْبَسِيطُ أَوِ الْمُرَكَّبُ وَهُوَ أَشَدُّهَا جَهْلُ أَهْلِ الضَّلَالَاتِ.

[٩٤] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الْكَهْفِ: ١٠٤].

- الثَّانِي عَشَرَ: **سَدُّ ذَرِيعَةِ الشِّرْكِ بِالْأَمْرِ بِالْهِجْرَةِ.**

• لِأَنَّ الْبَقَاءَ بَيْنَ ظُهُورِ الْكَفَرَةِ سَبَبٌ لِلتَّأَثُّرِ بِهِمْ، وَرُبَّمَا ارْتَدَّ الشَّخْصُ لِلشُّبْهَةِ وَنَحْوِهَا.

[٩٥] قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النِّسَاءِ: ٩٧].

- الثَّالِثَ عَشَرَ: **سَدُّ ذَرِيعَةِ الشِّرْكِ بِالنَّهْيِ عَنْ مَجَالِسِ الْكَفَرَةِ.**

[٩٦] كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨].

[٩٧] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النِّسَاءِ: ١٤٠].

• قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أَيْ إِذَا ارْتَكَبْتُمُ النَّهْيَ بَعْدَ وُصُولِهِ إِلَيْكُمْ، وَرَضِيتُم بِالْجُلُوسِ مَعَهُمْ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يُكَفَّرُ فِيهِ بِآيَاتِ اللهِ وَيُسْتَهْزَأُ وَيُنْتَقَصُ بِهَا، وَأَقَرَرْتُمُوهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ فَقَدْ شَارَكْتُمُوهُمْ فِي الَّذِي هُمْ فِيهِ" اهـ.

- الرَّابِعَ عَشَرَ: **النَّهْيُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الأَلْفَاظِ صِيَانَةً لِلتَّوْحِيدِ وَتَحْذِيرًا مِنَ الشِّرْكِ وَالتَّنْدِيدِ**؛ كَقَوْلِ: (مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتُ).

(٥٩) ▪ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ**». أخرجه أبو داود (٤٩٨٠) وابن ماجه (٢١١٨).وَفِي رِوَايَةٍ: قُولُوا: «**مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**». أخرجه أحمد (١٩٦٤).

(٦٠) ▪ وَنَهَىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَسْمِيَةِ العَبْدِ (عَبْدِي)، وَ(أُمَّتِي): «**وَلَكِنْ لِيَقُلْ: غُلَامِي وَجَارِيَتِي وَفَتَايَ وَفَتَاتِي**». أخرجه البخاري(٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩).

▪ وَهَكَذَا، لَا يَقُولُ لِلْعَبْدِ: (وَضِئْ رَبَّكَ)، وَ(أَطْعِمْ رَبَّكَ)، بَلْ يَسْتَعْمِلُ غَيْرَ هَذِهِ الأَلْفَاظِ الْمُوهِمَةِ.

▪ وَالْشَاهِدُ: أَنَّ الْإِسْلَامَ سَدَّ كُلَّ ذَرِيعَةٍ تُوصِلُ إِلَىٰ نَقْضٍ، أَوْ نَقْصٍ فِي التَّوْحِيدِ، وَالْوُقُوعِ فِي الشِّرْكِ وَالتَّنْدِيدِ، وَهَذَا مِنَ الْحِرْصِ عَلَىٰ الثَّبَاتِ عَلَىٰ التَّوْحِيدِ وَالْتَّحْذِيرِ مِنْ ضِدِّهِ.

وَقَالَ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فَبَابُ سَدِّ الذَّرَائِعِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ؛ فَإِنَّهُ رَاجِعٌ إِلَىٰ طَلَبِ تَرْكِ مَا ثَبَتَ طَلَبُ فِعْلِهِ، لِعَارِضٍ يَعْرُضُ، وَهُوَ أَصْلٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ فِي الْجُمْلَةِ". اهـ الموافقات (٣/ ٢٠٧).

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَأَيْضًا، فَالنَّهْيُ عَنْ الصَّلَاةِ فِيهَا هُوَ مِنْ بَابِ سَدِّ الذَّرَائِعِ لِئَلَّا يَتَشَبَّهَ بِالْمُشْرِكِينَ فَيُفْضِي إِلَىٰ الشِّرْكِ".اهـ مجموع الفتاوىٰ (٢٣/ ٢١٤).

وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

٤١

بَيَانُ أَنَّ السِّحْرَ وَالْكِهَانَةَ وَالتَّنْجِيمَ مِنَ الشِّرْكِ

[٩٨] قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: ١٠٢].

• دَلَّتْ هَذِهِ الآيَةُ بِالْمَنْطُوقِ وَالْمَفْهُومِ عَلَىٰ أَنَّ تَعَلُّمَ السِّحْرِ وَتَعْلِيمَهُ وَتَعَاطِيَهُ كُفْرٌ أَكْبَرُ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ.

• وَذَلِكَ أَنَّ السَّاحِرَ يَتَقَرَّبُ إِلَىٰ الْجِنِّ وَيُطِيعُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْقُرَبِ.

فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْأَمِيرِ: **أَنَّ بَابَهُ الْأَعْظَمَ الشِّرْكُ بِاللهِ**، فَكُلَّمَا كَانَ مُشْرِكًا مُتَقَرِّبًا إِلَىٰ الْجِنِّ كُلَّمَا كَانُوا لَهُ أَطْوَعَ.

وَيَكْفُرُ السَّاحِرُ أَيْضًا:

- بِامْتِهَانِ الْقُرْآنِ.
- وَفِعْلِ الشِّرْكِيَّاتِ.
- وَمِنْ ادِّعَاءِ عِلْمِ الْغَيْبِ؛ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْأَقْوَالِ.

[٩٩] وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ كُفْرِهِ، قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩].

(٦١) وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ».

(٦٢) وَقَالَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**». أخرجه أحمد(٩٥٣٦) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ،وفيه انقطاع، وأخرجه البزار(٣٠٤٥) عن جابر وسنده حسن.

• وَهَذَا يُحْمَلُ عَلَىٰ مَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُ، جَمْعًا بَيْنَ الْأَدِلَّةِ.

(٦٣) وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ**». أخرجه أبو داود (٣٩٠٥).

(٦٤) وَقَدْ ثَبَتَ قَتْلُ السَّاحِرِ عَنْ ثَلَاثَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ: جُنْدُبٍ، وَحَفْصَةَ، وَعُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، حَيْثُ كَتَبَ: «**اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ**»، وَفِي بَعْضِهَا: «**وَسَاحِرَةٍ**».

قَالَ البَغَوِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ:

٥"وَ(الْعَرَّافُ) هُوَ: الَّذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتِ أَسْبَابٍ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَىٰ مَوَاقِعِهَا، كَالمَسْرُوقِ، وَمَعْرِفَةُ مَكَانِ الضَّالَّةِ، وَتُتَّهَمُ الْمَرْأَةُ بِالزِّنَىٰ، فَيَقُولُ: مَنْ صَاحِبُهَا؟ وَنَحْوُ ذَلِكَ .

وَقِيلَ: هُوَ الكَاهِنُ.

٥وَ(الكَاهِنُ)، هُوَ: الَّذِي يُخْبِرُ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَقِيلَ: الَّذِي يُخْبِرُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ".اهـ شرح السنة (١٢/ ١٨٢).

وَذَهَبَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إِلَىٰ:

○ أَنَّ (الْعَرَّافَ) اسْمٌ لِلْكَاهِنِ، وَالْمُنَجِّمِ، وَالرَّمَّالِ، وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الْأُمُورِ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ.

▪ فَعَلَىٰ هَذَا: **فَتَعَاطِي شَيْءٍ مِمَّا تَقَدَّمَ يُعْتَبَرُ مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ.**

(٦٥) وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي الْكُهَّانِ: «**لَيْسُوا بِشَيْءٍ**». أخرجه البخاري (٥٧٦٢)، ومسلم (٢٢٢٨) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

• وَذَلِكَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْتَمِدُونَ الْجِنَّ وَالشَّيَاطِينَ، فِيمَا يَأْتُونَ وَيَتْرُكُونَ.

▪ وَتَجِدُ عِلَاقَةً بَيْنَ السَّاحِرِ، وَأَصْحَابِ عِلْمِ النُّجُومِ، إِذْ يَقُومُونَ بِالسِّحْرِ وَالشَّعْوَذَةِ وَالْكِهَانَةِ؛ تَقَرُّبًا لِهَذِهِ النُّجُومِ أَوْ خُدَّامِهَا، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا تُؤَثِّرُ فِي الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ، **وَهَذَا كُفْرٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ.**

وَهُوَ كُفْرُ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِينَ كَانُوا يُعَظِّمُونَ الشَّمْسَ، وَالْقَمَرَ، وَالْكَوَاكِبَ، وَيَسْجُدُونَ لَهَا.

▪ وَرُبَّمَا اسْتَدَلُّوا عَلَىٰ الْحَوَادِثِ الْأَرْضِيَّةِ بِالتَّغَيُّرَاتِ الْفَلَكِيَّةِ، **وَهَذَا أَيْضًا كُفْرٌ عَلَىٰ الصَّحِيحِ.**

▪ وَإِنَّمَا الْمُبَاحُ مِنْ عِلْمِ النُّجُومِ: عِلْمُ التَّيْسِيرِ، لَا التَّأْثِيرِ.

فَتَنَبَّهْ، فَإِنَّ قَوْمًا خَلَطُوا بَيْنَ الْجَائِزِ وَالْمَمْنُوعِ، فَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ.

▪ وَطَرِيقَتُهُمْ فِي التَّنْجِيمِ: السُّؤَالُ عَنْ اسْمِ الْأُمِّ، وَجَمْعَ حُرُوفِ اِسْمِ اَلْأُمِّ مَعَ اِسْمِ اَلِابْنِ بِطَرِيقَةِ اَلْأَبْجَدِ، ثُمَّ يَكُونُ النَّاتِجُ مِنْ ١ إِلَىٰ ١٢، ثُمَّ يَرْبِطُونَ ذَلِكَ بِأَبْرَاجٍ مِثْلَ: الحَمَلِ، وَالسَّرَطَانِ، وَالْمِيزَانِ، وَالْجَدْيِ، وَالثَّوْرِ، وَالْأَسَدِ، وَالْعَقْرَبِ، وَالدَّلْوِ، وَالْجَوْزَاءِ، وَالْعَذْرَاءِ، وَالْقَوْسِ، وَالْحُوتِ.

ثُمَّ يَرْبِطُونَ السَّعَادَةَ، وَالشَّقَاوَةَ، وَالْخَيْرَ، وَالشَّرَّ بِهَذِهِ الأَبْرَاجِ وَتَأْثِيرِهَا.

▪ وَيَدْخُلُ فِي بَابِ السِّحْرِ وَالْكِهَانَةِ وَالْعِرَافَةِ: تَعَاطِي مَا يُسَمَّىٰ بِالْوَدَعِ وَنَحْوِهِ، حَيْثُ يَرْمِي بِهِ الْكَاهِنُ، ثُمَّ يَتَكَهَّنُ لِمَنْ يَأْتِيهِ.

وَهُوَ بَابٌ شَائِكٌ، أَشَرْنَا إِلَىٰ الْمُهِمَّاتِ فِيهِ.

❖ **تَنْبِيهٌ**: وَإِنَّمَا يُحَلُّ السِّحْرُ بِالرُّقْيَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَالأَدْعِيَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَإِذَا عُلِمَ مَكَانُهُ يُسْتَخْرَجُ وَيُتْلَفُ، كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

○ وَقَدْ جَاءَ عَنِ السَّلَفِ الْكَلَامُ عَنِ (**النُّشْرَةِ**)، وَهِيَ: **حَلُّ السِّحْرِ**.

وَاخْتَلَفُوا فِيهَا.

▪ وَالصَّحِيحُ: أَنَّ الْمَمْنُوعَ مَا كَانَ بِالسِّحْرِ، وَالْمُبَاحَ مَا كَانَ بِالرُّقَىٰ وَالأَدْعِيَةِ الشَّرْعِيَّةِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُٱللَّهُ: "وَمِنْ أَنْفَعِ عِلَاجَاتِ السِّحْرِ: الْأَدْوِيَةُ الْإِلَهِيَّةُ، بَلْ هِيَ أَدْوِيَتُهُ النَّافِعَةُ بِالذَّاتِ ... وَكُلَّمَا كَانَتْ أَقْوَىٰ وَأَشَدَّ، كَانَتْ أَبْلَغَ فِي النُّشْرَةِ". اهـ زاد المعاد (٤/ ١١٦).

وَقَالَ:

○"وَ(النُّشْرَةُ): حَلُّ السِّحْرِ عَنِ الْمَسْحُورِ.

وَهِيَ نَوْعَانِ:

[**الْأَوَّلُ**:] حَلُّ سِحْرٍ بِسِحْرٍ مِثْلَهُ، وَهُوَ الَّذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّ السَّحَرَ مِنْ عَمَلٍ فَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ النَّاشِرُ وَالْمُنْتَشِرُ بِمَا يُحِبُّ، فَيُبْطِلُ عَمَلَهُ عَنْ الْمَسْحُورِ.

فَالثَّانِي: النُّشْرَةُ بِالرُّقَىٰ، وَالتَّعَوُّذَاتِ، وَالدَّعَوَاتِ، وَالأَدْوِيَةِ الْمُبَاحَةِ، فَهَذَا جَائِزٌ، بَلْ مُسْتَحَبٌّ". اهـ إعلام الموقعين (٤/ ٣٠١).

فَلْيَحْذَرِ الْجَمِيعُ مِنَ السِّحْرِ وَأَنْوَاعِهِ، كَالصَّرْفِ وَالْعَطْفِ، وَهُوَ الشَّائِعُ بَيْنَ النِّسَاءِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

▫ فَكُلُّهُ: **كُفْرٌ مُخْرِجٌ عَنِ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمُدْخِلٌ فِي مِلَّةِ أَهْلِ الْكُفْرَانِ.**

كَمَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

فَالنَّصُّ لَا تَأْوِيلَ لَهُ إِلَّا حَمْلُهُ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، وَتَرْكُ تَأْوِيلِهِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

٤٢

الشِّرْكُ بِالْعِبَادَاتِ الْقَلْبِيَّةِ

كَما صَرَفَ الْمُشْرِكُونَ كَثِيرًا مِنْ عِبَادَاتِهِم الْقَوْلِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، صَرَفُوا الْعِبَادَاتِ الْقَلْبِيَّةَ مِنَ الْمَحَبَّةِ، وَالتَّوَكُّلِ، وَالْإِنَابَةِ، وَالْخَشْيَةِ، وَالْخَوْفِ، وَالرَّجَاءِ، وَالرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ.

[١٠٠] قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

قَالَ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْنَاهَا: بِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ يُحِبُّونَ مَعْبُودَاتِهِمْ سِوَىٰ اللهِ كَحُبِّهِمْ للهِ، فَسَوَّوْا بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، وَهَذَا شِرْكٌ بِحَدِّ ذَاتِهِ.

[١٠١] / [١] كَما قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨].

• وَقِيلَ الْمَعْنَىٰ: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ يُحِبُّونَ آلِهَتَهُمْ وَمَعْبُودَاتِهِمْ كَمَحَبَّةِ الْمُؤْمِنِينَ للهِ عَزَّوَجَلَّ، وَهَذَا شِرْكٌ ظَاهِرٌ.

▪ **وَفِي كِلَا الْحَالَيْنِ فَهُوَ شِرْكٌ أَكْبَرُ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ.**

[١٠٢] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤].

▪ قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَعْظَمُ دَلِيلٍ عَلَىٰ وُجُوبِ مَحَبَّةِ اللهِ وَرَسُولِهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَىٰ تَقْدِيمِهَا عَلَىٰ مَحَبَّةِ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَىٰ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ وَالْمَقْتِ الْأَكِيدِ، عَلَىٰ مَنْ كَانَ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ". اهـ تفسيره (١/ ٣٣٢).

▪ فَكَيْفَ بِمَنْ يُحِبُّ الْوَثَنَ أَكْثَرَ مِنْ مَحَبَّةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، أَوْ كَمَحَبَّةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ؟

فَهَذَا هُوَ الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ، وَهُوَ الَّذِي عَلَيْهِ عُبَّادُ الطَّوَاغِيتِ مِنَ الْمَقْبُورِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ، حَتَّىٰ إِنَّهُمْ يُقَدِّمُونَ قَرَابِينَ لَهَا مَا لَا يُقَدِّمُونَهُ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَيَخْشَوْنَهَا وَيَرْجُونَهَا مَا لَا يَخْشَوْنَ اللهَ وَيَرْجُونَهُ، وَيَلْهَجُونَ بِاسْمِهَا فِي الدُّعَاءِ أَكْثَرَ مِنْ دُعَائِهِمْ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

[١٠٣] وَفِي الْخَوْفِ، صَرَفَهُ عُبَّادُ غَيْرِ اللهِ لِغَيْرِهِ، مَعَ أَنَّهُ الْقَائِلُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

[١٠٤] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ [البقرة: ١٥٠].

○ فَـ(الخَوْفُ الشِّرْكِيُّ) أَوْ(خَوْفُ السِّرِّ): أَنْ يَخَافَ العَبْدُ مِنْ غَيْرِ اللهِ أَنْ يُصِيبَهُ مَكْرُوهٌ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يُبَاشِرْهُ.

▪ وَهَوَالْخَوْفُ الْمَذْكُورُ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ، كَأَنَّ يَخَافَ مِنْ جِنٍّ أَوْ إِنْسٍ أَوْ مَقْبُورٍ أَنْ يُصِيبَهُ بِمَا شَاءَ مِنْ مَرَضٍ أَوْ فَقْرٍ بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَهَذَا هُوَ الشَّرُّ الْمُسْتَطِيرُ لَدَىٰ عُبَّادِ الْقُبُورِ، فَإِنَّهُمْ يَخَافُونَهُمْ أَشَدَّ مِنْ خَوْفِهِمْ مِنَ اللهِ، حَتَّىٰ لَرُبَّمَا حَلَفَ بِاللهِ كَاذِبًا وَلَمْ يَجْرُؤْ عَلَىٰ الْحَلِفِ بِالْمَدْفُونِ الْمَقْبُورِ.

▪ وأَمَّا الْخَوْفُ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَىٰ تَرْكِ وَاجِبٍ بِغَيْرِ عُذْرٍ إِلَّا لِخَوْفِ النَّاسِ، فَهُوَ خَوْفٌ مُحَرَّمٌ.

▪ وَأَمَّا الْخَوْفُ مِنَ الثَّعَابِينِ وَالنَّارِ وَنَحْوِهَا، فَهُوَ خَوْفٌ طَبِيعِيٌّ.

فَمِيزْ بَيْنَ هَذِهِ الْأَقْسَامِ تَسْلَمْ فِي هَذَا الْبَابِ بِإِذْنِ الرَّحْمَنِ، إِن سَلَكْتَ مَسْلَكَ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَنَبَذْتَ مَسْلَكَ أَهْلِ الشِّرْكِ وَالْكُفْرَانِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَعُمَّارُ الْمَشَاهِدِ يَخَافُونَ غَيْرَ اللهِ وَيَرْجُونَ غَيْرَهُ".اهـ مجموع الفتوىٰ (١٧/ ٤٩٩).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَمِنْ أَنْوَاعِهِ: الْخَوْفُ مِنْ غَيْرِ اللهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَىٰ غَيْرِ اللهِ، وَالْعَمَلُ لِغَيْرِ اللهِ، وَالْإِنَابَةُ وَالْخُضُوعُ، وَالذُّلُّ لِغَيْرِ اللهِ، وَابْتِغَاءُ الرِّزْقِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ، وَحَمْدُ غَيْرِهِ عَلَىٰ مَا أَعْطَىٰ".اهـ مدارج السالكين (١/ ٣٥٣).

▪ فَعَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يَجْعَلَ خَوْفَهُ، وَرَجَاءَهُ، وَحُبَّهُ، وَرَغْبَتَهُ، وَرَهْبَتَهُ، وَإِنَابَتَهُ وَخُشُوعَهُ، وَخُضُوعَهُ، وَخَشْيَتَهُ، وَاعْتِمَادَهُ، وَإِخْلَاصَهُ كُلَّهُ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، لَا يُشْرِكُ مَعَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي مَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِهِ، لَا مَلَكًا مُقَرَّبًا، وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا.

وَقَدْ رَأَيْنَا بَعْضَ الْهُنُودِ حِينَ يَمُرُّ بِجَانِبِ بَقَرَةٍ يَنْتَفِضُ وَيَضْطَرِبُ، وَكَذَلِكَ رَأَيْنَا عِبَادَ بُوذَا إِذَا مَشَوْا مِنْ عِنْدِ صَنْمِهِمْ عَلَيْهِمْ مِنَ الْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ مَا يَتَعَجَّبُ مِنْهُ كُلُّ عَاقِلٍ صَاحِبِ فِطْرَةٍ سَلِيمَةٍ.

وَأَمَّا عِبَادُ الْقُبُورِ فَقُلْ مَا شِئْتَ مِنْ تَعَلُّقَاتِهِمُ الْقَلْبِيَّةِ لِغَيْرِ اللهِ مِنَ الْمَقْبُورِينَ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فَالْخَوْفُ عِبَادَةُ الْقَلْبِ فَلَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ، كَالذُّلِّ، وَالْمَحَبَّةِ، وَالْإِنَابَةِ، وَالتَّوَكُّلِ، وَالرَّجَاءِ، وَغَيْرِهَا مِنْ عِبَادَةِ الْقَلْبِ".اهـ طريق الهجرتين (٢/ ٦٣٤).

٤٣

مِنَ الشِّرْكِ إِضَافَةُ النِّعْمَةِ إِلَى غَيْرِ اللهِ

[١٠٥] ▪ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾﴾ [البقرة: ٢١١].

[١٠٦] ▪ وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨].

[١٠٧] ▪ وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [النحل: ٧١]، ينكرون نِعْمَتَهُ وأَشْرَكُوا مَعَهُ غَيْرَهُ.

[١٠٨] ▪ وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [النحل: ٧٢]، في موطنين من القرآن.

[١٠٩] ▪ وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [النحل: ٨٣]، يقرون بها أنها من عنده، ويضيفونها إلىٰ غيره.

[١١٠] ▪ وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ﴾ [الزمر: ٤٩].

(٦٦) عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: صَلَّىٰ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَىٰ إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**».

قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ**». أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

فَمِنْ هَذِهِ الأَدِلَّةِ تَعْلَمُ خَطَرَ إِضَافَةِ النِّعْمَةِ إِلَىٰ غَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

▪ وَأَمَّا حُكْمُ هَذِهِ الإِضَافَةِ فَإِنْ كَانَ يُضِيفُهَا عَلَىٰ أَنَّهَا سَبَبٌ، وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْمُتَصَرِّفُ مَنْعًا وَإِعْطَاءً، **فَهَذَا بَيْنَ الشِّرْكِ الأَصْغَرِ، وَالْخَطَأِ اللَّفْظِيِّ الَّذِي يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ إِصْلَاحُهُ**.

▪ وَإِنْ كَانَ يُضِيفُ النِّعْمَةَ إِلَىٰ غَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ أَنَّهَا مِنْهُ، أَوْ أَنَّهُ مُشَارِكٌ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ **فَهُوَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ الْمُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ**.

فَيَتَعَيَّنُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يَطْلُبَ النِّعْمَةَ مِنَ اللهِ، وَأَنْ يُضِيفَهَا فِي حَالِ حُصُولِهَا إِلَىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كَمَا هِيَ طَرِيقَةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَصَحَابَتِهِ الْكِرَامِ.

قَالَ الْبُغَوِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ عَنْ الْكَلْبِيِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣]: "هُوَ أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ لَهُمْ هَذِهِ النِّعَمَ قَالُوا: نَعَمْ، هَذِهِ كُلُّهَا مِنَ اللهِ، وَلَكِنَّهَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا.

وَقَالَ عَوْفُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ لَوْلَا فُلَانٌ لَكَانَ كَذَا، وَلَوْلَا فُلَانٌ لَمَا كَانَ كَذَا". اهـ تفسيره (٥/ ٣٦).

وَتَجِدُ النَّاسَ فِي هَذَا طُرُقًا عَجِيبَةً، قَلَّ أَنْ تَجِدَ مِنْ يُضِيفُ النِّعْمَةَ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مِمَّنْ يَسَّرَ اللهُ لَهُ مُجَالَسَةَ الْمُوَحِّدِينَ، أَوْ سَمَاعَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ، وَإِلَّا فَأَكْثَرُ النَّاسِ يَتَبَجَّحُونَ إِمَّا بِآبَائِهِمْ وَإِمَّا بِأَمْوَالِهِمْ وَإِمَّا بِعُقُولِهِمْ.

وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

٤٤

الْغَلَطُ فِي مُسَمَّى الْوِلَايَةِ

[١١١] ■ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر: ٩٩]، هٰذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وَهُوَ أَمْرٌ لِأُمَّتِهِ بِعِبَادَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ إِلَىٰ أَنْ يَأْتِيَ الْمَوْتُ.

(٦٧) ■ وَفِي حَدِيثِ أُمِّ الْعَلَاءِ فِي قِصَّةِ وَفَاةِ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ**». أخرجه البخاري (١٢٤٣).

• أي: الْمَوْتُ.

وَزَعَمَ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ أَنَّ الْيَقِينَ دَرَجَةٌ إِيمَانِيَّةٌ، إِذَا بَلَغَهَا الْعَبْدُ جَازَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ تَرْكُ التَّكَالِيفِ وَحَلُّ الْحَرَامِ.

■ وَهَذِهِ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ زِنْدَقَةٌ ظَاهِرَةٌ وَكُفْرٌ صَرِيحٌ، أَن يَعْتَقِدَ حِلَّ الْحَرَامِ وَرَفْعَ التَّكَالِيفِ عَنْ مُكَلَّفٍ.

(٦٨) وَرَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَىٰ مَا مَاتَ عَلَيْهِ**». أخرجه مسلم (٢٨٧٨) عن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

▫ **وَلَا تُرْفَعُ التَّكَالِيفُ إِلَّا: بِمَوْتٍ، أَوْ جُنُونٍ.**

(٦٩) وَكَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ**»، وَمِنْهُمْ: «**الْمَجْنُونُ حَتَّىٰ يُفِيقَ**». أخرجه الترمذي (١٤٢٣)، ورواه البخاري معلقًا (ج٨ص١٦٥).

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فَالْيَقِينُ عِنْدَهُمْ هُوَ مَعْرِفَةُ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ - أي: شُهُودُ الْحَقِيقَةِ الْكَوْنِيَّةِ- **وَقَوْلُ هَؤُلَاءِ كُفْرٌ صَرِيحٌ**.

وَإِنْ وَقَعَ فِيهِ طَوَائِفُ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ كُفْرٌ فَإِنَّهُ قَدْ عُلِمَ بِالاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الإِسْلَامِ أَنَّ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ لَازِمَانِ لِكُلِّ عَبْدٍ مَا دَامَ عَقْلُهُ حَاضِرًا إِلَىٰ أَنْ يَمُوتَ، لَا يَسْقُطَانِ عَنْهُ لَا بِشُهُودِهِ الْقَدَرِ، وَلَا بِغَيْرِ ذَلِكَ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ ذَلِكَ عُرِّفَ وَبُيِّنَ لَهُ، فَإِنْ أَصَرَّ عَلَىٰ اعْتِقَادِ سُقُوطِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ".اهـ العبودية(٦٤-٦٥).

وَمِنَ الْغَلَطِ الْكَبِيرِ فِي هَذَا الْبَابِ: أَنَّهُمْ جَعَلُوا الْوِلَايَةَ فِي السَّاحِرِ، وَغَيْرِهِ مِمَّنْ تَظْهَرُ عَلَىٰ يَدَيْهِ بَعْضُ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ، وَرُبَّمَا كَانَتْ بِسَبَبِ السِّحْرِ وَالشَّعْوَذَةِ الَّتِي يَتَعَاطَوْنَهَا، وَالسِّحْرُ كُفْرٌ كَمَا تَقَدَّمَ، فَكَيْفَ يَكُونُ مُتَعَاطِيهِ وَلِيًّا، بَلْ إِنَّهُ شَقِيٌّ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ: زَعْمُهُمْ أَنَّ الْوَلِيَّ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ وَاسِطَةٌ فِي بَابِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَهَذَا وَالْعِيَاذُ بِاللهِ خُرُوجٌ عَنْ مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ:"وَمِنَ الإِيمَانِ بِهِ: الإِيمَانُ بِأَنَّهُ هُوَ الْوَسِيطَةُ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ فِي تَبْلِيغِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، فَالْحَلَالُ مَا أَحَلَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالدِّينُ مَا شَرَعَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ لِأَحَدٍ مِنَ الأَوْلِيَاءِ طَرِيقًا إِلَىٰ اللهِ مِنْ غَيْرِ مُتَابَعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ كَافِرٌ مِنْ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ".اهـ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (٢٢).

[١١٢] ▪ ثُمَّ إِنَّ الْوَلِيَّ حَقًّا هُوَ الْآمِرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِي عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْعَامِلُ بِالشَّرِيعَةِ، فَقَدْ ذَمَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ: كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢-٣].

فَكَيْفَ يَظُنُّ ظَانٌّ أَنَّهُ تُرْفَعُ عَنْهُ التَّكَالِيفُ؟

وَمِنْ ذَلِكَ: دَعْوَتُهُمْ إِلَىٰ عِبَادَةِ الْقُبُورِ وَالْمَقْبُورِينَ وَإِشْرَاكِهِمْ مَعَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَتَشْيِيدِ الْقُبُورِ وَشَدِّ الرِّحَالِ إِلَيْهَا وَهَكَذَا دَوَالِيكَ.

وَمِنْ ذَلِكَ: زَعْمُهُمْ الْوِلَايَةَ فِي النَّسَبِ النَّبَوِيِّ بَغْضِ النَّظَرِ عَنِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

(٧٠) وَرَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «**وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا**». أخرجه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

[١١٣] ▪ فَأَوْلِيَاءُ اللهِ الْمُؤْمِنُونَ الْمُوَحِّدُونَ الْمُبَادِرُونَ إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَلَيْسَتِ الْوِلَايَةُ لِلْمُشْرِكِينَ الْمُنَدِّدِينَ، وَلَا لِلسَّحَرَةِ وَالْمَشْعُوذِينَ، وَلَا بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ قَوْمٍ صَالِحِينَ حَتَّىٰ يَكُونَ مِنْهُمْ مَا شُرِطَ فِي الْآيَةِ: ﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٥٣﴾ [النمل: ٥٣].

﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

• فَمَنْ كَانَ لِلَّهِ تَقِيًّا كَانَ لِلَّهِ وَلِيًّا.

▪ وَوَلِيُّ اللهِ بِنُورِ التَّوْحِيدِ وَالسُّنَّةِ، وَصِحَّةِ الْعَقِيدَةِ، وَسَلَامَةِ الْمَنْهَجِ.

[١١٤] قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾ [البقرة: ٢٥٧].

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ":فَمَنْ شَهِدَ لَهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ، فَهُوَ مِنْ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ، وَمَنْ شَهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ، فَهُوَ مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيَاطِينِ". اهـ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (١١/ ١٥٧).

• بِمَعْنَىٰ: أَنَّ الْوَلِيَّ مَنْ لَزِمَ الْأَمْرَ فِعْلًا، وَالنَّهْيَ تَرْكًا، وَالشَّقِيَّ مَنْ تَرَكَ الْأَمْرَ وَارْتَكَبَ النَّهْيَ، فَشَتَّانَ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَىٰ (١١/ ١٧١-١٧٢): "ثُمَّ لَوْ بَلَغَ الرَّجُلُ فِي الزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ وَالْعِلْمِ مَا بَلَغَ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَلَا وَلِيٍّ لِلَّهِ، وَهَؤُلَاءِ تَقْتَرِنُ بِهِمُ الشَّيَاطِينُ، وَتَنْزِلُ عَلَيْهِمْ، فَيُكَاشِفُونَ النَّاسَ بِبَعْضِ الْأُمُورِ، وَلَهُمْ تَصَرُّفَاتٌ خَارِقَةٌ مِنْ جِنْسِ السِّحْرِ، وَهُمْ مِنْ جِنْسِ الْكُهَّانِ وَالسَّحَرَةِ الَّذِينَ تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيَاطِينُ.

[١١٥] قَالَ تَعَالَىٰ:﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٢٢٢ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ٢٢٣﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣].

وَهَؤُلَاءِ جَمِيعُهُمُ الَّذِينَ يَنْتَسِبُونَ إِلَىٰ الْمُكَاشَفَاتِ وَخَوَارِقِ الْعَادَاتِ، إِذَا لَمْ يَكُونُوا مُتَّبِعِينَ لِلرُّسُلِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكْذِبُوا، وَتُكَذِّبُهُمْ شَيَاطِينُهُمْ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِي أَعْمَالِهِمْ مَا هُوَ إِثْمٌ وَفُجُورٌ، مِثْلُ نَوْعٍ مِنَ الشِّرْكِ، أَوِ الظُّلْمِ، أَوِ الْفَوَاحِشِ، أَوِ الْغُلُوِّ، أَوِ الْبِدَعِ فِي الْعِبَادَةِ".اهـ

❖ **تَنْبِيهٌ**: مِنْ قَوْلِ هَؤُلَاءِ الزَّنَادِقَةِ، مِمَّنْ يَدَّعِي الْوِلَايَةَ، وَرُبَّمَا كَانَ قُبُورِيًّا وَثَنِيًّا عَلَىٰ طَرِيقَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ مِنْ عُبَّادِ الْقُبُورِ، وَرُبَّمَا كَانَ سَبَّابًا لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وَمَعَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ: إِنَّ الْوَلِيَّ أَفْضَلُ مِنَ النَّبِيِّ، وَهٰذَا ضَلَالٌ بَعِيدٌ؛ فَإِنَّ ذِرْوَةَ الْأَوْلِيَاءِ هُمُ الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ مَنْ سَارَ عَلَىٰ سِيرِهِمْ، يَكُونُ فِي الْوِلَايَةِ بِقَدْرِ قُرْبِهِ وَبُعْدِهِ.

يَقُولُ ابْنُ عَرَبِي الطَّائِيُّ:

مَقَامُ النُّبُوَّةِ فِي بَرْزَخٍ ... فُوَيْقَ الرَّسُولِ وَدُونَ الْوَلِيِّ

وَيَقُولُونَ أَيْضًا:

بَيْنَ الْوِلَايَةِ وَالرِّسَالَةِ بَرْزَخٌ ... فِيهِ النُّبُوَّةُ حُكْمُهَا لَا يُجْهَلُ

• وَقَالَ الْأَلُوسِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: "وَأَحْسَنُ مَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي مَعْرِفَةِ الْوِلَايَةِ:**اتِّبَاعُ الشَّرِيعَةِ الْغَرَّاءِ، وَسُلُوكُ الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ**، فَمَنْ خَرَجَ عَنْهَا قَيْدَ شِبْرٍ بَعُدَ عَنِ الْوِلَايَةِ بِمَرَاحِلَ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهِ اسْمُ الْوَلِيِّ، وَلَوْ أَتَىٰ بِأَلْفِ أَلْفِ خَارِقٍ، **فَالْوَلِيُّ الشَّرْعِيُّ الْيَوْمَ أَعَزُّ مِنَ الْكِبْرِيتِ الْأَحْمَرِ**، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ:

أَمَّا الْخِيَامُ فَإِنَّهَا كَخِيَامِهِمْ ... وَأَرَىٰ نِسَاءَ الْحَيِّ غَيْرَ نِسَائِهَا

اهـ روح المعاني (١١/ ١٤٩).

▫ **هَذَا، وَكُلُّ مُسْلِمٍ لَهُ مِنَ الْوِلَايَةِ بِقَدْرِ اسْتِقَامَتِهِ عَلَىٰ دِينِ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ، **وَمُتَابَعَةِ رَسُولَ اللهِ** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

٤٥

بَيَانُ الشِّرْكِ وَالتَّنْدِيدِ بِالْأَمْنِ وَالْإِيَاسِ مِنْ رَوْحِ اللهِ

[١١٦] ■ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩].

[١١٧] ■ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧].

• قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَلِهَذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْمُؤْمِنُ يَعْمَلُ بِالطَّاعَاتِ، وَهُوَ مُشْفِقٌ وَجِلٌ خَائِفٌ، وَالْفَاجِرُ يَعْمَلُ بِالْمَعَاصِي وَهُوَ آمِنٌ". اهـ تفسيره (٣/ ٤٥١).

• وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كَذَلِكَ (٤/ ٤٠٦): "وَبَشَّرَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ أَلَّا يَيْأَسُوا مِنْ رُوحِ اللهِ، أَيْ: لَا يَقْطَعُوا رَجَاءَهُمْ، وَأَمَلَهُمْ مِنَ اللهِ، فِيمَا يَرُومُونَهُ، وَيَقْصِدُونَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَقْطَعُ الرَّجَاءَ، وَيَقْطَعُ الْإِيَاسَ مِنَ اللهِ، إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ". اهـ

(٧١) وَعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ: رَجُلٌ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ، وَعَصَىٰ إِمَامَهُ، وَمَاتَ عَاصِيًا، وَأَمَةٌ أَوْ عَبْدٌ أَبَقَ فَمَاتَ، وَامْرَأَةٌ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا، قَدْ كَفَاهَا مُؤْنَةَ الدُّنْيَا، فَتَبَرَّجَتْ بَعْدَهُ، فَلَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ.**

وَثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ: رَجُلٌ نَازَعَ اللهَ رِدَاءَهُ، فَإِنَّ رِدَاءَهُ الْكِبْرِيَاءُ، وَإِزَارَهُ الْعِزَّةُ، وَرَجُلٌ شَكَّ فِي أَمْرِ اللهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ». أخرجه أحمد (٢٣٩٤٣).

(٧٢) وَأَخْرَجَ مَعْمَرٌ فِي الْجَامِعِ(١٩٧٠١):عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:«**أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ**». وجاء بنحوه عند البخاري (٦٨٧١)، ومسلم (٨٧).

[١١٨] قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ:﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ [غافر: ٣].

○ فَـ(الْأَمْنُ الْمُطْلَقُ) مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، تَعْطِيلٌ لَهُ عَنْ شِدَّةِ عِقَابِهِ، وَأَلِيمِ عَذَابِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الْقُوَّةِ، وَالْقَهْرِ، وَالسُّلْطَانِ، وَالْجَبَرُوتِ.

○ وَ(الْيَأْسُ الْمُطْلَقُ): **تَعْطِيلٌ للهِ عَزَّوَجَلَّ مِنْ صِفَاتِ الْإِحْسَانِ**، كَالرَّحْمَةِ، وَالرَّأْفَةِ، فَلَابُدَّ أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَبَيْنَ الْأَمْنِ وَالْإِيَاسِ، فَهَذَا سَبِيلُ أَهْلِ التَّوْحِيدِ.

▪ قَالَ الطَّحَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي عَقِيدَتِهِ:"**وَالْأَمْنُ وَالْإِيَاسُ** يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَسَبِيلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ". اهـ

[١١٩] ▪ وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُ بَيْنَ الْيَأْسِ وَالْقُنُوطِ، قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ [الإسراء:٥٧].

قَالَ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرْحِ الطَّحَاوِيَّةِ (٢/٤٥٦) : "يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ خَائِفًا رَاجِيًا.

○ فَإِنَّ (**الْخَوْفَ الْمَحْمُودَ الصَّادِقَ**): مَا حَالَ بَيْنَ صَاحِبِهِ وَبَيْنَ مَحَارِمِ اللهِ، فَإِذَا تَجَاوَزَ ذَلِكَ، خِيفَ مِنْهُ الْيَأْسُ وَالْقُنُوطُ.

○ وَ(**الرَّجَاءُ الْمَحْمُودُ**): رَجَاءُ رَجُلٍ عَمِلَ بِطَاعَةِ اللهِ عَلَىٰ نُورٍ مِنَ اللهِ، فَهُوَ رَاجٍ لِثَوَابِهِ، أَوْ رَجُلٍ أَذْنَبَ ذَنْبًا، ثُمَّ تَابَ مِنْهُ إِلَىٰ اللهِ، فَهُوَ رَاجٍ لِمَغْفِرَتِهِ". اهـ

[١٢٠] ▪ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨﴾ [البقرة: ٢١٨].

▪ أَمَّا إِذَا كَانَ الرَّجُلُ مُتَمَادِيًا فِي التَّفْرِيطِ وَالْخَطَايَا، يَرْجُو رَحْمَةَ اللهِ بِلَا عَمَلٍ، فَهٰذَا هُوَ الْغُرُورُ، وَالتَّمَنِّي، وَالرَّجَاءُ الْكَاذِبُ.

▪ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الرُّوذَبَارِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ كَجَنَاحَيِ الطَّائِرِ، إِذَا اسْتَوَيَا اسْتَوَىٰ الطَّائِرُ، وَتَمَّ طَيَرَانُهُ، وَإِذَا نَقَصَ أَحَدُهُمَا وَقَعَ فِيهِ النَّقْصُ، وَإِذَا ذَهَبَا صَارَ الطَّائِرُ فِي حَدِّ الْمَوْتِ". اهـ

٤٦

التَّوَسُّلُ الْمَمْنُوعُ

[١٢١] قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة:٣٥].

○ وَ(**الْوَسِيلَةُ**) هِيَ: طَاعَةُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بِمَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

وَأَمَّا مَنْ خَالَفَ طَرِيقَ الرُّسُلِ، فَلَهُمْ طَرِيقَانِ فِي التَّوَسُّلِ:

- الْأَوَّلُ: (**طَرِيقُ أَهْلِ الشِّرْكِ وَالْكُفْرَانِ**):

• وَهُمْ مَنْ يَعْبُدُونَ وَيَدْعُونَ غَيْرَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ طَلَبًا لِقَضَاءِ الْحَاجَاتِ، وَتَفْرِيجِ الْكُرُبَاتِ، وَإِلَيْهِمْ وَعَلَيْهِمْ يُسْتَدَلُّ بِقَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣].

[١٢٢] وَقَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الأحقاف:٥-٦].

[١٢٣] وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

وَمِنْ عَجِيبِ شَأْنِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُنَدِّدِينَ أَنْ يَسْتَدِلُّوا عَلَىٰ فِعْلِهِمْ بِمِثْلِ أَحَادِيثِ الشَّفَاعَةِ حَيْثُ طَلَبُوا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الشَّفَاعَةَ، وَهٰذَا لِقِلَّةِ عِلْمِهِمْ وَتَعَمُّقِ الشِّرْكِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَإِلَّا فَإِنَّ سُؤَالَ النَّاسِ فِي أَرْضِ

الْمَحْشَرِ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِالشَّفَاعَةِ يَكُونُ وَهُوَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ حَيًّا حَاضِرًا قَادِرًا.

(٧٣) ❖ وَكَذَلِكَ مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: وَفِيهِ: «**أَنَّ رَجُلاً ضَرِيرَ البَصَرِ أَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَنِي قَالَ: إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ، وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ. قَالَ: فَادْعُهْ، قَالَ: فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَىٰ رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَىٰ لِيَ، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ**». أخرجه الترمذي (٣٥٧٨).

- فَأَوَّلًا: الْحَدِيثُ فِيهِ مَقَالٌ لِبَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ.

- ثَانِيًا: عَلَىٰ الْقَوْلِ بِصِحَّتِهِ.

• فَقَدْ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي اَلتَّوَسُّلِ وَالْوَسِيلَةِ (١/ ٢٨٢-٢٨٣): "فَهٰذَا الْحَدِيثُ فِيهِ التَّوَسُّلُ بِهِ إِلَىٰ اللهِ فِي الدُّعَاءِ.

فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ: هٰذَا يَقْتَضِي جَوَازَ التَّوَسُّلِ بِهِ مُطْلَقًا حَيًّا وَمَيِّتًا، وَهٰذَا يَحْتَجُّ بِهِ مَنْ يَتَوَسَّلُ بِذَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَفِي مَغِيبِهِ.

وَيَظُنُّ هَؤُلَاءِ: أَنَّ تَوَسُّلَ الْأَعْمَىٰ وَالصَّحَابَةِ فِي حَيَاتِهِ كَانَ بِمَعْنَىٰ الْإِقْسَامِ بِهِ عَلَىٰ اللهِ، أَوْ بِمَعْنَىٰ أَنَّهُمْ سَأَلُوا اللهَ بِذَاتِهِ أَنْ يَقْضِيَ حَوَائِجَهُمْ، وَيَظُنُّونَ أَنَّ التَّوَسُّلَ بِهِ لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ أَنْ يَدْعُوَ هُوَ لَهُمْ، وَلَا إِلَىٰ أَنْ يُطِيعُوهُ.

فَسَوَاءٌ عِنْدَ هَؤُلَاءِ دَعَا الرَّسُولُ لَهُمْ أَوْ لَمْ يَدْعُ، الْجَمِيعُ عِنْدَهُمْ تَوَسُّلٌ بِهِ، وَسَوَاءٌ أَطَاعُوهُ أَوْ لَمْ يُطِيعُوهُ.

وَيَظُنُّونَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقْضِي حَاجَةَ هٰذَا الَّذِي تَوَسَّلَ بِهِ بِزَعْمِهِ، وَلَمْ يَدْعُ لَهُ الرَّسُولُ، كَمَا يَقْضِي حَاجَةَ هٰذَا الَّذِي تَوَسَّلَ بِدُعَائِهِ، وَدَعَا لَهُ الرَّسُولُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، إِذْ كِلَاهُمَا مُتَوَسِّلٌ بِهِ عِنْدَهُمْ.

وَيَظُنُّونَ أَنَّ كُلَّ مَنْ سَأَلَ اللهَ تَعَالَىٰ بِالنَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَدْ تَوَسَّلَ بِهِ كَمَا تَوَسَّلَ بِهِ ذَلِكَ الْأَعْمَىٰ، وَأَنَّ مَا أُمِرَ بِهِ الْأَعْمَىٰ مَشْرُوعٌ لَهُمْ.

وَقَوْلُ هٰؤُلَاءِ بَاطِلٌ شَرْعًا وَقَدَرًا، فَلَا هُمْ مُوَافِقُونَ لِشَرْعِ اللهِ، وَلَا مَا يَقُولُونَهُ مُطَابِقٌ لِخَلْقِ اللهِ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُونَ: هَذِهِ قَضِيَّةُ عَيْنٍ يُثْبَتُ الْحُكْمُ فِي نَظَائِرِهَا الَّتِي تُشْبِهُهَا فِي مَنَاطِ الْحُكْمِ، لَا يُثْبَتُ الْحُكْمُ بِهَا فِيمَا هُوَ مُخَالِفٌ لَهَا، لَا مُمَاثِلٌ لَهَا.

▪ وَالْفَرْقُ ثَابِتٌ شَرْعًا، وَقَدَرًا بَيْنَ مَنْ دَعَا لَهُ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَبَيْنَ مَنْ لَمْ يَدْعُ لَهُ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ أَحَدُهُمَا كَالْآخَرِ.

(٧٤) ▪ وَهٰذَا الْأَعْمَىٰ شَفَعَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَلِهٰذَا قَالَ فِي دُعَائِهِ: «**اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ**»، **فَعُلِمَ أَنَّهُ شَفِيعٌ فِيهِ**، وَلَفْظُهُ: «**إِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ**»، فَقَالَ: أُدْعُ لِي. خرجه الترمذي (٣٥٧٨) عن عثمان بن حنيف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

• فَهُوَ إِنَّمَا طَلَبَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ، فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنْ يُصَلِّيَ وَيَدْعُوَ هُوَ أَيْضًا لِنَفْسِهِ، وَيَقُولَ فِي دُعَائِهِ: «**اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ**».

فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: «**أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ**».

أَيْ: **بِدُعَائِهِ وَشَفَاعَتِهِ**، كَمَا قَالَ عُمَرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا إِذَا أَجْدَبْنَا تَوَسَّلْنَا إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا، فَتَسْقِينَا**».

فَالْحَدِيثَانِ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ: فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَ رَجُلًا أَنْ يَتَوَسَّلَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ، كَمَا ذَكَرَ عُمَرُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَوَسَّلُونَ بِهِ إِذَا أَجْدَبُوا، ثُمَّ إِنَّهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِ إِنَّمَا كَانُوا يَتَوَسَّلُونَ بِغَيْرِهِ بَدَلًا عَنْهُ.

فَلَوْ كَانَ التَّوَسُّلُ بِهِ حَيًّا وَمَيِّتًا سَوَاءً، وَالْمُتَوَسَّلُ بِهِ الَّذِي دَعَا لَهُ الرَّسُولُ كَمَنْ لَمْ يَدْعُ لَهُ الرَّسُولُ، لَمْ يَعْدِلُوا عَنِ التَّوَسُّلِ بِهِ – وَهُوَ أَفْضَلُ الْخَلْقِ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَىٰ رَبِّهِ وَأَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ وَسِيلَةً – إِلَىٰ أَنْ يَتَوَسَّلُوا بِغَيْرِهِ مِمَّنْ لَيْسَ مِثْلَهُ". اهـ

-النَّوْعُ الثَّانِي: (**التَّوَسُّلُ الْمُبْتَدَعُ**):

وَهُوَ التَّوَسُّلُ بِذَوَاتٍ، وَحَقِّ الصَّالِحِينَ، كَأَنْ يَقُولَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ نَبِيِّكَ، وَبِحَقِّ الْقُرْآنِ، وَبِجَاهِ فُلَانٍ)، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

مِثْلُ قَوْلِ بَعْضِهِمْ:

يَـــا رَبِّ بِهِـــمُ وَبِـــآلِهِمُ عَجِّـــلْ بِالْغَيْـــثِ وَبِـــالْفَرَجِ

▪ **فَهٰذَا تَوَسُّلٌ بِدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ.**

قَالَ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ رَحِمَهُ اللَّهُ شَرْحُ الطَّحَاوِيَّة (ص٢٣٧): "وَهٰذَا وَنَحْوُهُ مِنَ الْأَدْعِيَةِ الْمُبْتَدَعَةِ، وَلَمْ يُنْقَلْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا عَنِ الصَّحَابَةِ، وَلَا عَنِ التَّابِعِينَ، وَلَا عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ، وَإِنَّمَا يُوجَدُ مِثْلُ هٰذَا فِي الْحُرُوزِ وَالْهَيَاكِلِ الَّتِي يُكْتَبُ بِهَا الْجُهَّالُ وَالطُّرُقِيَّةُ.

▫ **وَالدُّعَاءُ مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ، وَالْعِبَادَاتُ مَبْنَاهَا عَلَىٰ السُّنَّةِ وَالِاتِّبَاعِ، لَا عَلَىٰ الْهَوَىٰ وَالِابْتِدَاعِ**". اهـ

■ ثُمَّ إِنَّمَا الْمَشْرُوعُ أَنْ تَتَوَسَّلَ بِعَمَلِ نَفْسِكَ، لَا بِعَمَلِ غَيْرِكَ، وَلَا بِذَاتِهِ وَوَجَاهَتِهِ، فَتَنَبَّهْ تَسْلَمْ مِنْ أَفْعَالِ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُبْتَدِعِينَ.

٤٧

سَبُّ الدَّهْرِ

[١٢٤] ■ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية: ٢٤].

(٧٥) ■ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: «**يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ**». أخرجه البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).

• قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "قَالَ الشَّافِعِيُّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْأَئِمَّةِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: «**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ**». التفسير (٧/ ٢٦٩-٢٧٠).

كَانَتِ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا إِذَا أَصَابَهُمْ شِدَّةٌ أَوْ بَلَاءٌ أَوْ نَكْبَةٌ، قَالُوا: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ.

• فَيُسْنِدُونَ تِلْكَ الْأَفْعَالَ إِلَىٰ الدَّهْرِ وَيَسُبُّونَهُ، وَإِنَّمَا فَاعِلُهَا هُوَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، فَكَأَنَّهُمْ إِنَّمَا سَبُّوا اللهَ عَزَّوَجَلَّ؛ **لِأَنَّهُ فَاعِلُ ذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ**.

• فَلِهَذَا نُهِيَ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ؛ **لِأَنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ الَّذِي يَعْنُونَهُ، وَيُسْنِدُونَ إِلَيْهِ تِلْكَ الْأَفْعَالَ**.

هٰذَا أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي تَفْسِيرِهِ، وَهُوَ الْمُرَادُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

❖ وَقَدْ غَلِطَ ابْنُ حَزْمٍ، وَمَنْ نَحَا نَحْوَهُ مِنَ الظَّاهِرِيَّةِ فِي عَدِّهِمُ الدَّهْرَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ، أَخْذًا مِنْ هٰذَا الْحَدِيثِ". اهـ

• وَذَلِكَ أَنَّ الدَّهْرَ هُوَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ يُقَلِّبُهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وَلَيْسَ هُوَ الْمُقَلِّبَ، فَتَنَبَّهْ.

• قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَمِنْ شَأْنِ الْعَرَبِ أَنْ يَذُمُّوا الدَّهْرَ عِنْدَ الْمَصَائِبِ وَالنَّوَائِبِ، حَتَّىٰ ذَكَرُوهُ فِي أَشْعَارِهِمْ، وَنَسَبُوا الْأَحْدَاثَ إِلَيْهِ.

قَالَ عَمْرُو بْنُ قُمَيْئَةَ:

رَمَتْنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَىٰ ... فَكَيْفَ بِمَنْ يُرْمَىٰ وَلَيْسَ بِرَامِ

فَلَوْ أَنَّنِي أُرْمَىٰ بِنَبْلٍ تَقِيَّتُهَا ... وَلَكِنَّنِي أُرْمَىٰ بِغَيْرِ سِهَامِ

عَلَىٰ الرَّاحَتَيْنِ مَرَّةً وَعَلَىٰ الْعَصَا ... أَنُوءُ ثَلَاثًا بَعْدَهُنَّ قِيَامِ

وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ فِي الشِّعْرِ، يُنْسِبُونَ ذَلِكَ إِلَىٰ الدَّهْرِ وَيُضِيفُونَهُ إِلَيْهِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ الْفَاعِلُ، لَا رَبَّ سِوَاهُ". اهـ تفسير القرطبي (١٦/ ١٧٢).

فَكَانَ ضَلَالُهُمْ مِنْ جِهَاتٍ:

- الْأَوَّلُ: إِنْكَارُ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ.

- الثَّانِي: جَعْلُ حَوَادِثِ الزَّمَانِ فِعْلَ الدَّهْرِ، مَعَ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ.

- الثَّالِثُ: التَّسَخُّطُ وَعَدَمُ الصَّبْرِ عَلَىٰ الْأَقْدَارِ.

(٧٦) ■ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَىٰ الْمَيِّتِ**». أخرجه مسلم (٦٧) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٧٧) ■ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ**». أخرجه البخاري (١٢٩٤)، ومسلم (١٠٣).

■ فَعَلَىٰ هٰذَا:

فَالتَّسَخُّطُ عَلَىٰ الْمَصَائِبِ.

وَعَدَمُ الرِّضَا بِأَقْدَارِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

يُعْتَبَرُ مِنْ أَفْعَالِ الْجَاهِلِيَّةِ السَّيِّئَةِ، وَمَعَهُمْ أَهْلُ النِّفَاقِ.

[١٢٥] قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١٥٦﴾ [آل عمران:١٥٦].

فَكَانَ الْمُتَسَخِّطُ عَلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ أَحْوَالٍ:

- الْأَوَّلُ: إِنْ كَانَ سَبَبُهُ الشَّكَّ فِي حُكْمِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ أَوِ الِاعْتِرَاضَ عَلَىٰ رُبُوبِيَّتِهِ.

■ فَهُوَ: كُفْرٌ.

- الثَّانِي: مَا كَانَ بِاللِّسَانِ كَالدُّعَاءِ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ.

■ فَهُوَ: حَرَامٌ.

- الثَّالِثُ: مَا كَانَ بِالْفِعْلِ، كَلَطْمِ الْخُدُودِ وَشَقِّ الْجُيُوبِ.

■ فَهُوَ: مُحَرَّمٌ.

وَأَمَّا حُكْمُ سَابِّ الدَّهْرِ فَكَذَلِكَ عَلَىٰ أَنْحَاءٍ:

- الْأَوَّلُ: الْإِخْبَارُ الْمُجَرَّدُ عَمَّا فِيهِ مِنَ الْحَرِّ أَوِ الْبَرْدِ أَوِ الشِّدَّةِ.

■ فَهٰذَا جَائِزٌ، وَمِنْهُ قَوْلُ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ٧٧﴾ [هود: ٧٧].

- الثَّانِي: أَنْ يَسُبَّ الدَّهْرَ عَلَىٰ اعْتِقَادِ أَنَّهُ الْفَاعِلُ حَقِيقَةً.

■ فَهٰذَا يَكْفُرُ مِنْ جِهَةِ التَّشْرِيكِ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَمِنْ جِهَةِ سَبِّ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

- الثَّالِثُ: أَنْ يَسُبَّ الدَّهْرَ مُتَسَخِّطًا عَلَىٰ أَقْدَارِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

■ فَهٰذِهِ مَعْصِيَةٌ.

وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

٤٨

الرِّيَاءِ

الرِّيَاءُ مِنْ أَشْهَرِ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ، وَهُوَ مُنْقَسِمٌ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ:

- الْأَوَّلُ: **(الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَوِ الْأَصْغَرُ)**:

■ بِحَيْثُ تَكُونُ أَصْلُ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَيَدْخُلُهَا الرِّيَاءُ.

(٧٨) وَهُوَ الَّذِي قَالَ عَنْهُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**».

قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ .

قَالَ: «**الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ **لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَىٰ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً**».

أخرجه أحمد (٢٣٦٣٠) عن محمود بن لبيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وسنده حسن.

وَعَنْ يَعْلَىٰ بْنِ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «كُنَّا نَعُدُّ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ الرِّيَاءَ» أخرجه الطبري في تهذيب الآثار (١١١٩).

- الثَّانِي: **(أَنْ يَأْتِيَ بِالْعِبَادَةِ لِلدُّنْيَا وَرِيَاءَ النَّاسِ)**.

■ فَهَذَا: شِرْكٌ أَكْبَرُ، وَلَا يَصْدُرُ غَالِبًا إِلَّا مِنَ الْمُنَافِقِينَ.

[١٢٦] كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥-١٦].

• قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "نَزَلَتْ فِي كُلِّ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا يُرِيدُ بِهِ غَيْرَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ". اهـ تفسيره (٤/ ١٦٥).

• وَذَكَرَ عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّ الْآيَةَ فِي أَهْلِ الرِّيَاءِ.

[١٢٧] وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَنْهُمْ: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾ [النساء: ١٤٢].

[١٢٨] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦﴾ [الماعون: ٤-٦].

[١٢٩] قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي جَامِعِ الْعُلومِ وَالْحِكَمِ (١/ ٧٩-٨٣): "وَصَفَ اللهُ تَعَالَىٰ الْكُفَّارَ بِالرِّيَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال: ٤٧].

• وَهٰذَا (**الرِّيَاءُ الْمَحْضُ**) لَا يَكَادُ يَصْدُرُ مِنْ مُؤْمِنٍ فِي فَرْضِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، وَقَدْ يَصْدُرُ فِي الصَّدَقَةِ الْوَاجِبَةِ أَوِ الْحَجِّ، وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ، أَوِ الَّتِي يَتَعَدَّىٰ نَفْعُهَا، فَإِنَّ الْإِخْلَاصَ فِيهَا عَزِيزٌ.

▪ وَهٰذَا الْعَمَلُ لَا يَشُكُّ مُسْلِمٌ أَنَّهُ **حَابِطٌ**، وَأَنَّ صَاحِبَهُ يَسْتَحِقُّ الْمَقْتَ مِنَ اللهِ وَالْعُقُوبَةَ.

▪ وَتَارَةً يَكُونُ الْعَمَلُ لِلَّهِ، وَيُشَارِكُهُ الرِّيَاءُ.

فَإِنْ شَارَكَهُ مِنْ أَصْلِهِ، فَالنُّصُوصُ الصَّحِيحَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ بُطْلَانِهِ، وَحُبُوطِهِ أَيْضًا.

وَمِمَّنْ رُوِيَ عَنْهُ هَذَا الْمَعْنَىٰ، وَأَنَّ الْعَمَلَ إِذَا خَالَطَهُ شَيْءٌ مِنَ الرِّيَاءِ كَانَ بَاطِلًا طَائِفَةٌ مِنَ السَّلَفِ، مِنْهُمْ: عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ، وَالْحَسَنُ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، وَغَيْرُهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قَالَ: **"وَلَا نَعْرِفُ عَنِ السَّلَفِ فِي هٰذَا خِلَافًا"**.اهـ بِتَصَرُّفٍ.

- وَقَالَ: **"أَمَّا مَنْ كَانَ أَصْلُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، ثُمَّ طَرَأَتْ عَلَىٰ نِيَّتِهِ الرِّيَاءُ، فَلَا يَضُرُّهُ، فَإِنْ طَرَأَ وَدَفَعَهُ، فَلَا يَضُرُّهُ بِغَيْرِ خِلَافٍ.**
- **فَإِنِ اسْتَرْسَلَ مَعَهُ، فَهَلْ يُحْبَطُ عَمَلُهُ أَمْ لَا يَضُرُّهُ ذَلِكَ، وَيُجَازَىٰ عَلَىٰ أَصْلِ نِيَّتِهِ؟**

وَفِي ذَلِكَ اخْتِلَافٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ، قَدْ حَكَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ، وَأَرْجُو أَنْ عَمَلَهُ لَا يَبْطُلُ بِذَلِكَ، وَأَنَّهُ يُجَازَىٰ بِنِيَّتِهِ الْأُولَىٰ"**.اهـ**

- لَكِنَّهُ آثِمٌ مِنْ حَيْثُ الْمُرَاءَاةِ.

(٧٩) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**». أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

(٨٠) وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**».

أخرجه البخاري (٧٤٥٨)، ومسلم (١٩٠٤).

فَيَتَعَيَّنُ الْحَذَرُ مِنْ هَذَا الدَّاءِ الْعُضَالِ الَّذِي قَدْ لَا يَسْلَمُ مِنْهُ مُكَلَّفٌ، لِمَا عُلِمَ مِنْ طَبِيعَةِ النَّفْسِ فِي التَّطَلُّعِ لِمَدْحِ النَّاسِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَخَطَرُهُ عَظِيمٌ.

(٨١) فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَجُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ**». أخرجه البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٧) عن جندب وانفرد به مسلم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٤٩

بَيَانُ الْمُخَالَفَةِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

[١٣٠] ■ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠].

• ﴿وَذَرُوا۟﴾ اُتْرُكُوا، ﴿ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ يَمِيلُونَ، ﴿فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ عَنْ الْمَعْنَىٰ الَّذِي أَرَادَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

■ وَفِي الآيَةِ: تَحْرِيمُ الإِلْحَادِ فِي بَابِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

وَالْمُلْحِدُونَ فِي هَذَا الْبَابِ أَنْوَاعٌ:

- الأَوَّلُ: (**إِلْحَادُ الْمُمَثِّلَةِ**): الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ، أَوْ صِفَاتِهِ عَزَّوَجَلَّ كَصِفَاتِ وَأَسْمَاءِ الْمَخْلُوقِينَ.

- الثَّانِي: (**إِلْحَادُ الْمُعَطِّلَةِ**): الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ مَخْلُوقَةٌ، أَوْ أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ لَا تَدُلُّ عَلَىٰ مَعَانٍ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الإِلْحَادِ الَّذِي وَقَعُوا فِيهِ.

- الثَّالِثُ: (**إِلْحَادُ الْمُكَيِّفَةِ**): الَّذِينَ كَيَّفُوا صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَيُضَافُونَ إِلَىٰ الْمُمَثِّلَةِ إِذَا قَيَّدُوهَا بِمُمَاثِلٍ، وَيَخْرُجُونَ عَنْهُمْ إِذَا لَمْ يُقَيِّدُوهَا بِمُمَاثِلٍ.

- الرَّابِعُ: (**إِلْحَادُ النَّصَارَىٰ، وَمِنْ شَابَهَهُمْ**): الَّذِينَ سَمَّوْا اللهَ عَزَّوَجَلَّ بِغَيْرِ أَسْمَائِهِ، فَسَمَّوْهُ الأَبَ، وَرُبَّمَا سَمَّوْهُ الْابْنَ.

- الْخَامِسُ: (**إِلْحَادُ الْمُشْرِكِينَ**): إِذْ سَمَّوْا آلِهَتَهُمْ بِأَسْمَاءِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، كَاشْتِقَاقِ اللَّاتِ مِنَ الإِلَهِ، وَالْعُزَّىٰ مِنَ الْعَزِيزِ، وَمَنَاةَ مِنَ الْمَنَّانِ.

- السَّادِسُ: (**إِلْحَادُ الْمُفَوِّضَةِ**): الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ آيَاتِ الصِّفَاتِ غَيْرُ مَعْلُومَةِ الْمَعْنَىٰ، أَوْ لَيْسَ لَهَا مَعْنًى.

○ وَالإِلْحَادُ هُوَ: الْمَيْلُ، وَمِنْهُ سُمِّيَ اللَّحْدُ لَحْدًا.

■ فَمَنْ مَالَ بِهَا عَنْ دَلَالَةِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَمَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ كَانَ مُلْحِدًا بِقَدْرِ إِلْحَادِهِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَمِنْ أَشَرِّ الْمُلْحِدِينَ فِي الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: الْمُعَطِّلَةُ، وَهُمْ أَنْوَاعٌ:

- الأَوَّلُ: (**الْجَهْمِيَّةُ**): الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللهَ لَا أَسْمَاءَ لَهُ وَلَا صِفَاتَ، اتِّبَاعًا لِجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ.

- الثَّانِي: (**الْمُعْتَزِلَةُ**): الَّذِينَ يُثْبِتُونَ الأَسْمَاءَ، وَيُعَطِّلُونَ الصِّفَاتِ.

-الثَّالِثُ: (**الأَشَاعِرَةُ**): الَّذِينَ يُثْبِتُونَ الأَسْمَاءَ وَبَعْضَ الصِّفَاتِ، وَيَنْفُونَ بَقِيَّتَهَا، لَا سِيَّمَا الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ.

• فَلَا يُثْبِتُونَ لِلَّهِ الْغَضَبَ، وَلَا الرِّضَا، وَلَا السَّخَطَ، وَلَا الْمَحَبَّةَ، وَلَا الْكَرَاهَةَ، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ، كَالِاسْتِوَاءِ، وَالْعُلُوِّ.

مُحَرِّفِينَ لِدَلَالَةِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَمُتَابِعِينَ لِلْعَقْلَانِيِّينَ الَّذِينَ تَرَكُوا الِاسْتِدْلَالَ بِمَنْهَجِ السَّلَفِ، وَاسْتَخْدَمُوا مَحْضَ عُقُولِهِمْ، إِذْ يُتَابِعُونَ زَنَادِقَةَ الْيُونَانِ وَالرُّومَانِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

■ فَيَنْبَغِي أَنْ نُحَقِّقَ هَذَا الْبَابَ، وَأَنْ نَتَعَلَّمَهُ وَنُعَلِّمَهُ، وَنَتَقَرَّبَ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِعِلْمِهِ وَتَعَلُّمِهِ، فَإِنَّهُ أَشْرَفُ الْعُلُومِ وَأَزْكَاهَا، فَإِنَّ شَرَفَ الْعِلْمِ بِشَرَفِ الْمَعْلُومِ.

٥٠

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ

[١٣١] ■ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

• هٰذِهِ آيَةٌ عَظِيمَةٌ دَلَّتْ عَلَىٰ: **كَمَالِ اللهِ الْمُقَدَّسِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ.**

حَتَّىٰ إِنَّهُ تَعَالَىٰ لِكَمَالِهِ الْعَظِيمِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ:

- لَا فِي ذَاتِهِ.
- وَلَا فِي أَفْعَالِهِ.
- وَلَا فِي صِفَاتِهِ.

[١٣٢] ■ وَهٰذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥].

• أَيْ: لَا تَعْلَمُ لَهُ مَثِيلًا.

[١٣٣] وَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤].

• أَيْ: لَيْسَ لَهُ نِدٌّ، وَلَا نَظِيرٌ، وَلَا مَثِيلٌ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيِ.

■ وَلِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ كَمُلَ فِي أَفْعَالِهِ، وَكَمُلَ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ.

[١٣٤] قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج: ١٦].

• فَيَفْعَلُ مَا شَاءَ، مِنَ الْخَلْقِ، وَالإِمَاتَةِ، وَالإِيجَادِ، وَالْمَنْعِ، وَالرَّفْعِ، وَالْخَفْضِ، وَالْغَضَبِ، وَالرِّضَا، وَالسَّخَطِ، وَالنُّزُولِ، وَالْمَجِيءِ، وَالإِتْيَانِ، وَالضَّحِكِ، وَالْعَجَبِ، وَالنِّسْيَانِ بِمَعْنَىٰ: التَّرْكِ.

▫ فَكُلُّ: مَعْنًىٰ أَضَافَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَىٰ نَفْسِهِ دَلَّ عَلَىٰ الْكَمَالِ الْمُقَدَّسِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾.

وَهَكَذَا يُقَالُ: فِي وَجْهِهِ، وَيَدَيْهِ، وَقَدَمِهِ، وَسَاعِدِهِ، وَكَفِّهِ، وَأَصَابِعِهِ، وَسَاقِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾.

وَلَمَّا كَانَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ لَا فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ، **امْتُنِعَ أَنْ يُشَارِكَهُ شَيْءٌ فِي عِبَادَتِهِ**، لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، فَهُوَ تَعَالَىٰ الْمُتَفَرِّدُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَالْمُتَفَرِّدُ بِالأُلُوهِيَّةِ.

[١٣٥] قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

فَعَادَ الأَمْرُ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: مُلْكًا، وَخَلْقًا، وَإِيجَادًا، وَتَصَرُّفًا، وَشَفَاعَةً.

فَيَتَعَيَّنُ عَلَىٰ الْمُكَلَّفِ أَنْ يُفْرِدَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ بِمَا لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَأُلُوهِيَّتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، فَهٰذَا هُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَأُنْزِلَتْ بِهِ الْكُتُبُ، وَشُرِعَ مِنْ أَجْلِهِ الْجِهَادُ، وَخُلِقَتْ مِنْ أَجْلِهِ الْخَلِيقَةُ.

قَالَ الْمُعَلِّمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: "فَمَنْ تَدَبَّرَ الآيَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ مِنَ الْفَاتِحَةِ، وَاسْتَحْضَرَ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ دَلَائِلِ التَّوْحِيدِ، لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ رَيْبٌ فِي أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ هُوَ وَحْدَهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

فَإِذَا كَانَ مَعَ ذَلِكَ مُسْتَحْضِرًا أَنَّهُ قَائِمٌ بَيْنَ يَدَي رَبِّ الْعَالَمِينَ يُثْنِي عَلَيْهِ وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ، لَمْ يَتَمَالَكْ نَفْسَهُ أَنْ يَقُولَ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَعَقْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

• وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ كَمَا أَطْبَقَ عَلَيْهِ الْمُفَسِّرُونَ، وَأَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ، وَأَهْلُ الْمَعَانِي: **نَخُصُّكَ اللَّهُمَّ بِعِبَادَتِنَا، وَنَخُصُّكَ بِاسْتِعَانَتِنَا**، أَيْ: لَا نَعْبُدُ غَيْرَكَ، وَلَا نَسْتَعِينُ أَحَدًا سِوَاكَ". اهـ رفع الاشتباه (٢ / ٤١).

خَاتِمَةٌ

فَبِهٰذَا أَكُونُ قَدِ انْتَهَيْتُ مِمَّا أَرَدْتُ تَسْطِيرَهُ فِي هٰذَا الْبَابِ فِي هٰذَا السَّفَرِ الْمُخْتَصَرِ فِي: (بَيَانِ التَّوْحِيدِ حَقِّ اللهِ عَلَىٰ الْعَبِيدِ، وَدَحْضِ الشِّرْكِ وَالتَّنْدِيدِ).

وَبِمَا ذَكَرْتُ تَسْتَدِلُّ عَلَىٰ مَا لَمْ يُذْكَرْ، فَبَابُ الْعِبَادَاتِ وَاحِدٌ، يَجِبُ أَنْ يُفْرَدَ اللهُ بِهَا، وَيُتَابَعَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا أُشْرِكَ مَعَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ غَيْرُهُ لَمْ تَعُدْ عِبَادَةً لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَإِذَا لَمْ تَكُنْ عَلَىٰ طَرِيقَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ تَكُنْ عِبَادَةً عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا، كَمَا قَالَ اللهُ عَنْ نَبِيِّهِ: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: ٤٦].

فَمَنْ دَعَا إِلَىٰ غَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ اللهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ فَقَدِ ابْتَدَعَ.

وَتَمَّ الْمُرَادُ فِي الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ لِسَنَةِ ١٤٤٦هـ.

وَمِنْ فَضْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ الكِتَابَ حَوَىٰ جُمْلَةً مُبَارَكَةً مِنَ الأَدِلَّةِ عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي: ثَلَاثمِائَةٌ وَخَمْسَةٌ وَسِتُّونَ، مِنْهَا مِائَتَانِ وَثَلَاثُونَ آيَةً فِي بَابِ التَّوْحِيدِ، وَمِائَةٌ وَخَمْسٌ وَثَلَاثُونَ آيَةً فِي بَابِ الشِّرْكِ، وَمِنْهَا مِائَتَانِ وَسِتَّةٌ مِنَ الأَحَادِيثِ، مِنْهَا مِائَةٌ وَخَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ حَدِيثًا فِي بَابِ التَّوْحِيدِ، وَوَاحِدٌ ثَمَانُونَ حَدِيثًا فِي بَابِ الشِّرْكِ، فَيَكُونُ مَجْمُوعُ الأَدِلَّةِ خَمْسمِائَةٌ وَوَاحِدٍ وَسَبْعُونَ دَلِيلًا، وَالْأَبْوَابُ خَمْسِينَ بَابًا.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

فهرس المحتويات

المحتويات

اَلْمُقَدِّمَةُ ١٣
التَّوْحِيدُ حَقُّ اللّهِ عَلَىٰ الْعَبِيدِ ١٤
فَضْلُ التَّوْحِيدِ ١٩
تَفْسِير التَّوْحِيدِ وَمَعْنَىٰ لَا إِلَهَ إِلا الله ٢٤
كَلِمَة التَّوْحِيدِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ٣١
تَفْصِيل أَبوَاب التَّوْحِيدِ ٣٨
الصَّلاةُ وَالذَّبْحُ للهِ عَزَّوَجَلَّ ٤٤
التَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللهِ ٤٧
الرُّكُوعُ وَالسْجُودُ للهِ عَزَّوَجَلَّ ٥٣
الدُّعَاءُ وَالاستِعَانةُ وَالاستِغَاثةُ وَالاستِعَاذةُ ٥٧
الحْلَفُ بِاللهِ ٦٢
طَلَبُ الشْفَاعَة مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ ٦٧
الحُكْمُ بِمَا أَنزلَ الله عَزَّوَجَلَّ ٧١
طَلَبُ الْبرَكَةِ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ ٧٤
تَمْكِينُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ ٧٨
حِمَايَة جَنَابِ التَّوْحِيدِ ٨٢
بَيَانُ الحَقِّ فِي النُّجُومِ وَالكَوَاكِبِ ٨٦
بَيَانُ الْمَحَبَّةِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ ٩١
وَالْخَشْيَةِ وَالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ٩١
إِضَافَةُ النِّعْمَةِ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ ٩٦
بَيَان مَعْنَىٰ الوَلِي ١٠٠
حُسْنُ الْرَجَاء ١٠٧
التَّوَسُّلُ الْمَشْرُوع ١١١
الصَّبْر عَلَىٰ أَقْدَار الله عَزَّوَجَلَّ ١١٥
التَّعْبِيد لله عَزَّوَجَلَّ ١١٩
قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ ١٢٢
وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ١٢٩

دحض الشرك والتنديد ١٣٤
دَحْضُ الشِّرْكِ وَالتَّنْدِيدِ ١٣٥
الشِّرْكُ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ وَأَشَدُّ الْآثَامِ ١٤١
تَفْسِيرُ الشِّرْكِ ١٤٦
تَفَاصِيلُ أَفْعَالِ الْمُشْرِكِينَ ١٥١
الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ ١٥٣
النَّذْرُ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ ١٥٦
الشِّرْكُ وَفِتْنَةُ الْقُبُورِ ١٥٨
لِبْسُ الْحَلَقَةِ وَالْخَيْطِ لِرَفْعِ الْبَلَاءِ وَدَفْعِهِ ١٦٢
مِنَ الشِّرْكِ: الِاسْتِعَانَةُ وَالِاسْتِغَاثَةُ وَالِاسْتِعَاذَةُ ١٦٦
الطِّيَرَةُ ١٧٢
مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللّٰهِ فَقَدْ أَشْرَكَ ١٧٨
الشَّفَاعَةُ الْمَمْنُوعَةُ ١٨٢
الْحُكْمُ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللّٰهُ عَزَّوَجَلَّ كُفْرٌ ١٨٥
مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرَةٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا ١٨٩
بَيَانُ عَوْدَةِ الشِّرْكِ إِلَىٰ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ١٩٢
سَدُّ ذَرَائِعِ الشِّرْكِ ١٩٥
بَيَانُ أَنَّ السِّحْرَ وَالْكِهَانَةَ وَالتَّنْجِيمَ مِنَ الشِّرْكِ ٢٠٢
الشِّرْكُ بِالْعِبَادَاتِ الْقَلْبِيَّةِ ٢٠٧
مِنَ الشِّرْكِ إِضَافَةُ النِّعْمَةِ إِلَىٰ غَيْرِ اللهِ ٢١٠
الْغَلَطُ فِي مُسَمَّىٰ الْوِلَايَةِ ٢١٣
بَيَانُ الشِّرْكِ وَالتَّنْدِيدِ بِالْأَمْنِ ٢١٩
وَالْإِيَاسِ مِنْ رَوْحِ اللّٰهِ ٢١٩
التَّوَسُّلُ الْمَمْنُوعُ ٢٢٢
سَبُّ الدَّهْرِ ٢٢٧
الرِّيَاءِ ٢٣١
بَيَانُ الْمُخَالَفَةِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ٢٣٥
لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ٢٣٧
خَاتِمَةٌ ٢٤٠